

النشرة الشهريةنوفمبر 2007حكايات
كلمة
كلمة
الجزء الثاني**النص البشري في سوائه وإضطرابه**

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

يوميًا - نوفمبر 2007

المجلد 2، الجزء 3 - سبتمبر 2007

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية



النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

يوميات نوفمبر 2007

الفصــــر

- الخميس 2007-11-01:
- 379 62- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقامة
- الجمعة 2007-11-02:
- 383 63- حوار/ بريد الجمعة
- السبت 2007-11-03:
- 396 64- مقتطف وموقف من كتاب:سلطان الأسطورة
جوزيف كامبل
- الأحد 2007-11-04:
- 399 65- حالات وأحوال (عن الفصام..)
- الاثنين 2007-11-05:
- 405 66- حالات وأحوال (عن الفصام..)
- الثلاثاء 2007-11-06:
- 414 67- عن الفطرة والجسد وتضميم الألفاظ
- الإربعاء 2007-11-07:
- 426 68- مقتطفات بلا موقف...عن الموت والوجود
- الخميس 2007-11-08:
- 430 69- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقامة
- الجمعة 2007-11-09:
- 435 70- حوار/ بريد الجمعة
- السبت 2007-11-10:
- 445 71- .. انتصار السعادة: برتراند رسل(!)
- الأحد 2007-11-11:
- 449 72- .. عن "المصادقية" وتشكيلاتها
- الاثنين 2007-11-12:
- 453 73- ..عن "المصادقية" بالاتفاق
- الثلاثاء 2007-11-13:
- 458 74- استطرادات طريفة وسخيفة !!
- الإربعاء 2007-11-14:
- 465 75- عن ماهية الوجدان وتطوره! (1)

- الخميس 15-11-2007:
- 469 -76 نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاهاة
- الجمعة 16-11-2007:
- 473 -77 حوار/ بريد الجمعة
- السبت 17-11-2007:
- 484 -78 عن ماهية الوجدان وتطوره! (2)
- الأحد 18-11-2007:
- 492 -79 عن ماهية الوجدان وتطوره! (3)
- الإثنين 19-11-2007:
- 503 -80 مقتطف وموقف... عن الشعر والنثر
- الثلاثاء 20-11-2007:
- 511 -81 المخ البشرى بين التفكيك، والغسيل، وإعادة التشكيل (الإبداع)
- الإربعاء 21-11-2007:
- 516 -82 ... الموت والشعر
- الخميس 22-11-2007:
- 521 -83 نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاهاة
- الجمعة 23-11-2007:
- 525 -84 حوار/ بريد الجمعة
- السبت 24-11-2007:
- 541 -85 ... عن الحب "للشباب" (وغيرهم غالباً!)
- الأحد 25-11-2007:
- 550 -86 ... عن الفصام (2)
- الإثنين 26-11-2007:
- 562 -87 ... عن الفصام (3)
- الثلاثاء 27-11-2007:
- 574 -88 سيمفونية المعرفة الكونية بآلات عزف متكاملة (تسابيح)
- الإربعاء 28-11-2007:
- 581 -89 الوحدة والتعدد في التركيب البشرى
- الخميس 29-11-2007:
- 590 -90 أحلام فترة النقاهاة
- الجمعة 30-11-2007:
- 597 -91 حوار/ بريد الجمعة

الخبيس 01-11-2007

62- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاة

نص الحلم (4)

بهو متزامى الأركان متعدد الأبواب خال من كل شئ فوق
ثلاثتنا في ركن مكنون، صاحبا يرفلان في كامل حليتهما حتى
رباط العنق على حين اكتفيت أنا بالجلباب المغربي ودون شعور
بأى حرج لشدة الألفة التي تجمعنا، سمعت حركة، نظرت فرأيت
رجلا لا أدري من أين جاء في ملابس رسمية توحى بأنه ممن يشرفون
على الحفلات تلفتت في جلبابي وقلت لصاحبي:

أخاف أن تقام حفلة!

فقالا بالتتابع

لا أظن

لا أهمية لذلك.

وجدت حركة أخرى فنظرت فرأيت رجلين مائلين للأول قد
انضموا إليه فزال كل شك وهربت إلى أقرب باب وفتحته وكأني
(ولكن؟) وجدت وراءه سداً من جدار البهو فكررت المحاولة مع
الأبواب جميعا وخاب مسعاً كالمرة الأولى رجعت إلى صاحبي
واندست بينهما كأنما أستتر بهما.

وطمأنني بعض الشئ أن الرجال الثلاثة لم يعبرونا أى
التفات

وتتابع الحركات واهمر سيل من المدعويين من كافة
النواحي.

وأخذوا يملأون المكان دون أن ينظر نحونا أحد مركزين
أبصارهم في ناحية واحدة فلم نملك إلا أن نفعل فعلهم وبدأ
فجأة شخص جليل في هيئة الزعامة فتعالت قعقات الهتاف.
وكلما تقدم الرجل خطوة اشتد الهتاف ولكنهم حذروه في الوقت
نفسه من السير نحو الباب الذى بدأ أنه يقصده وقلت لصاحبي:

سيفتح الباب عن سد لا منفذ فيه.

وتقدم الزعيم وسط هتاف متماعد وتحذير مستمر حتى فتح
الباب ودخل محتفياً عن الأنظار.

القراءة

صعبٌ هذا الخلم

(أحسن)

لا أريد أن أقرأه ناقدا

(من حقك)

من يقرؤه إذن

(أنت مالك - دعه يصل إلى أصحابه بدون نقد).

لكن محفوظ لم يكن ليوافق على ذلك:

على أن تهمل أعماله تحت زعم أنها عصية على النقد.

لا يجيى النص إلا النقد، حتى لو لم يصب هدفه.

بعد هذا الحوار الداخلى، عدت اقلب الصفحات اتمسح أغلب الأحلام، وقررت أنه ليس لزاما على أن أنقدها جميعها

عاد الحوار يحتج

(ولماذا التعميم ، ولماذا القرارات المسبقة أصلا؟) .

القراءة

أشرت في قراءة **تي للحلم "3"** كيف انتهى "بثلاثهم" وهم ينظرون "وقد غلبهم والحزن والصمت"

هنا نقابل أيضا: ثلاثة، وثلاثة، (ليسو هم بداهة، أو قد يكونون هم!) ومجهور غفير، وحركات ذات إيقاع!

الثلاثة الأول: ينتمون إلى الناس

والثلاثة الآخرون: ينظمون الحفل الغامض صاحبه ومناسبته معا

المسرح:

بهو مترامي الأركان متعدد الأبواب

موقع الثلاثة الأول: ركن مكنون

لماذا؟

أليسوا من المدعويين؟ أليسوا من أهل الدار؟ هل هو ركن الفرجة أم الانتظار؟

الملابس: اثنان من هؤلاء الثلاثة في كامل حليتهما حتى رباط العنق، أما الراوى فهو يكتفى بالجلباب المغربى (ولايتخرج من لباسه لشده الألفة التى تجمععه مع صاحبيه).

الحركة:

الحركات تنبثق على المسرح، وكأنها تتخلق فيه،

حتى حركة الزعيم نرى نهايتها لكننا لا نرى بدايتها.

الحركة الأولى: "سمعت" حركة: (الحركة عادة تُرى أكثر مما تسمع!) "ويظهر رجل"؟؟ (المشرف على تنظيم الحفل فى ملابسه الرسمية).

الحركة الثانية: "وجدت" حركة: (الحركة لم تسمع ولم ترَ هنا، لكنها "توجد")، رجلان انضما إلى الرجل الأول مساعداه، ربما.

الحركة الثالثة: الراوى يهرب إلى أقرب باب.

الحركة الرابعة: الراوى يرجع إلى صاحبيه بعد فشل محاولة الهرب ليندس فيهما، يكتئب بينهما / يستتر بهما (منَ ماذا؟)

الحركة الخامسة: يظهر الشخص الجليل في هيئة الزعامة

الحركة السادسة: يسير الزعيم نحو الباب الذى كان مغلقا، ولكن الباب يثبت أنه ليس كذلك بالنسبة لهذا الزعيم.

الحركة الأخيرة: يمضى الزعيم دون أن يلتفت إلى الجمهور حتى لرد التحية، يمضى نحو الباب المغلق ليفتح له دون غيره ويختفى فيه، وراءه.

التساؤل الأول: لماذا يخاف الراوى أن تقام حفلة؟ هل هو يخجل من اختلاف ملبسه في حفل يبدو أن الدخول فيه بالملابس الرسمية؟ لكنه وجد هو وصاحبيه قبل أن يكون ثم حفل أصلا؟ ثم ما دلالة ملبسه المغربية الفضفاضة؟ هل هى الهويّة الخاصة يتمسك بها ولا يخجل منها، أم التخلف أم البدائية أم ماذا؟

وهل اختلاف الملبس هذا كاف أن يبرر هرب الراوى فور تيقنه من أن الحفل الذى كان يخشى أن يقام هو سيقام فعلا في البهو المتزامى الأركان؟

ثم بدا لي أنه هرب الخائف لا الراض ولا الساخط، هرب مذعور بلا مبرر.

ثم يتبين لنا أن الحفل لزعيم لا يبالى بأتباعه المدعويين الذين توافدوا تباعا- وهم الذين يبدو أنهم كانوا في انتظاره منقذا أو قائدا ، المهم أنه "الزعيم المنتظر"، هل هو المهدي المنتظر أم المسيح الدجال؟ (عامّة الشعب) خاصة مع جوعهم إلى الساحر المنقذ القادم يهتفون لأملهم الذى تحقق دون أن تتاح لهم فرصة أن يجتروه ؟

لكن الزعيم (أو من هو في هيئة الزعامة) منفصل عنهم ، لا يشعر بهم أصلا فيمضى - بما في رأسه مما لا نعرف- إلى هدفه الجهول، فتفتح له الأبواب الموصدة، التى تفصله أيضا عن الناس.

تحذير الجماهير له ألا يمضى إلى طريق مسدود لم يصلنى على أنه حرص عليه أن يصاب بالإحباط مثل الراوى، ولكنه بدا لي نوعا من محاولة استبقائه بينهم ، ربما: حتى يتيقنوا من ظهوره واقعا ماثلا، أو يتحققوا من دوره ، هل هو المنقذ المنتظرا أم المسيح الدجال؟

لم نلاحظ في الخلم استجابة الزعيم للهدف، ولا تجاوبه مع الأبصار الشاحصة، ولا احترامه لتحذير الجماهير حتى لو كان ذلك رغبة منهم في استبقائه لما سبق ذكره، الزعيم يمضى في طريقه دون الناس،

ليختفى عن الأنظار قبل أن يقام حتى الحفل.
حضرتني صورتان وأنا أتأمل هذا الاختفاء

صورة باب الهرب إلى سلم الحريق (كما في الفنادق المؤمنة)
من الباب الخلفي، وهي تستعمل ليس فقد عند الحريق، وإنما
عند الإنذار به أو توقعه،

أما الصورة الأخرى فقد حضرتني بالمصادفة البحتة، وهي
صورة هرب "هرمان هسه" وهو يصعد إلى القطار الذي رسمه
على حائط سجنه، تاركاً الحراس وراءه وهو يختفى في القطار مع
الصورة في النفق المظلم، ليترك الحراس "واقفين تغمرهم حيرة
كبيرة"!

خيل إلى أن اختفاء الرجل "في هيئة الزعامة" يحمل
المعنيين معاً، فهو هرب من حريق محتمل، حتى دون أن يحدث فعلاً،
وهو في نفس الوقت هرب إلى حلم في ذهنه بدلاً من واقع لم يخبره
بما هو، وهذا غير هرب هسه من واقع اعتبره أقل واقعية من
واقعه الإبداعي الذي يخلقه بنفسه.

.....

ثم إننا لم نعرف حتى انتهاء الحلم شيئاً كافياً عن تفاعل
الجمهير (المدعوين) إزاء سلوك هذا الذي هو "في هيئة
الزعامة"، والذي لم يظهر إلا ليختفى، حتى دون أن ينتبه
لقعقات هتافهم..

هل سنظل وقوفاً ننتظر الزعيم التالي؟

ومن يضمن أنه سوف يكون زعيماً حقيقياً، وليس فقط "في
هيئة الزعامة"؟

وترك لنا محفوظ الحلم الإبداع مفتوحاً، لنقرر نحن ماذا
نفعل؟

هل سيخلع الراوي لباسه المغربي الفضفاض، ليرتدى الملابس
الرسمية، ويحتنق برباط العنق؟ فلا يخشى إقامة أي حفل، أيا
كانت طبيعته أو دوافعه، أو صاحبه، ما دام ارتدى ما
يرتديه الآخرون المتلزمون بالملابس الرسمية؟

هل سيجمع منظمو الحفل مناظهم وكراسيهم وزينتهم بعد
أن انتهى الحفل قبل أن يقام؟

هل ستفتح الأبواب المغلقة في وجوه عامة الناس، أم ستظل
مغلقة دونهم ولا يسمح لعبورها، أو الهرب منها، إلا للزعماء
الذين قد يثبت أنهم ليسوا إلا "في هيئة الزعامة"؟

الجمعة 02-11-2007

63- وار/ بريء الجمعة

صباح الخير:

يتراجع عدد المشاركين في حوارنا أسبوعاً بعد أسبوع، كما يتواضع محتوى الحوار كذلك، وهذا طيب ودال، أما أنه طيب فلأنه واقع، أما أنه دال، فلست أعرف على ماذا يدل؟ لكنه دال!!

جاءني شفاهة من أكثر من مصدر أنه لا داعي للالتزام، مجدول تقسيم أيام الأسبوع على مواضيع بذاتها.

وأنا موافق (هل رأيتم سهولة التراجع الذي وعدتكم بها)،

كما جاءني آراء أخرى، أغلبها شفاهيا أيضاً، أن باب "سر اللعبة" هو من أضعف أبواب هذه النشرة اليومية، مع أنه من أقربها إلى نفسي، وسوف أحاول أن أبحث عن أسلوب آخر لتقدمه، لكنني في الوقت الحالى لن أرجع عن التمسك به،

وأخيراً جاني - شفاهة ثالثة - أن باب الحوار هذا هو "أى كلام" أيضاً.

وأنا غير موافق.

والآن هيا إلى صديق مجلة الإنسان والتطور (الورقية) الأصلية، وهو صديق قديم جديد باستمرار: هو الابن الأستاذ يوسف عذب، وقد كتبت تعليقات قصيرة على أكثر من أربعين يومية بعد أن ألححت عليه أن يساهم بأن أعطيته نسخة مكتوبة من كل ما نشر حرصى على معرفة رأيه، ورأى صحبته، وقد اعتبرت أن هذه التعليقات مختصة برغم صدقها، لأنها جاءت بناء على طلب صريح وإلحاح سخيف (منى)، فافتقدت التلقائية، ومع ذلك:

د. يحيى:

أهلاً يوسف، لا أريد أن أشرك على ما اضطررتك إليه، ولكن شكراً.

أ. يوسف عذب:

...، أجل ما أتصوره في هذه اليوميات أنها للقارئ العادى.

د . يحيى
لست متأكدا هي لمن؟ خاصة بعد أن بدأت أكتب في باب
الفصام والإدمان.

أ . يوسف
أتصور أن هذا معيار لتقييم اليوميات (أن تكون للقارئ
العادي).

د . يحيى
لا.. ليس هذا هو المعيار الأول، ولا الأهم. أنا لم أضع
معايير بعد

أ . يوسف
دليل على ذلك (أنها للقارئ العادي) ... أني قرأت ما
يقرب من مائتي صفحة في يوم ونصف ولم يتطرق إلى الملل
مطلقا، بل على العكس كنت شغوفاً باللحاق بالباقي.

د . يحيى
هذا - يا يوسف - قد يشجعي أن أجمع مادة كل شهر في كتيب
أو مجلة ورقية.

أ . يوسف عزب
- موضوع الحوار ذكرني بروح الإنسان والتطور فيما كنتم
تفعلونه (في باب الحوار)، ولكن هذه الروح وصلني منها شيء
سلي وليس إيجابيا.

د . يحيى
أشرت في مقدمة حوار اليوم إلى رأيك هذا الذي وصلني شفاهة،
وأنا لا أرفض أن يكون هناك شيء سلي، ربما يرجع ذلك جزئياً
إلى أنني أفتعل حواراً من خطاب، لكن هذا اضطرار كما تعلم
اعتذرت عنه مراراً، فماذا وجدت من سلبيات.

أ . يوسف عزب
(مثلاً) ...فيما يتعلق بالحماس عند الرد، فقد اندهشت
من الحماسة، "واحتمال أن يكون حسداً مني"، ولكن هل
الحماس في الرد سنة 1980 و 1985 و 1990 هو الآن 2007،
أعتقد أنه من أضعف ما في اليوميات.

د . يحيى
... هل تعني أن الحماس هو الذي من أضعف ما في
اليوميات؟! هاأنذا أرد عليك بفتور يا سيدي.

أ . يوسف عزب
يومية (2-9) "أعلى جبال الخوف" هي أساس ما تتميز به
اليومية، وهي أروع ما أتوقع أن تكون هذه اليوميات
له، وهو تحضير العلم والدين والدنيا والفلسفة في "اليوم
الآن" ... لو قدرنا نكمل على كده يبقى تمام.

د . يحيى:
ربما فهمت أكثر ما كنت تعنيه في البداية من أنها

(اليوميات هي) للشخص العادي، لكن عندي أن ثم فرق بين "تحضير العلم والدين والدنيا في اليوم الآن، وبين أن يكون المخاطب هو أساساً "الشخص العادي"، صحيح أن كل اهتمامي هو هذا الشخص العادي، لكن هذا التحديد بهذه الصورة يجعلني أحياناً أبسط ما لا ينبغي أن يتبسط، وأنا لا أريد ذلك، ولا أقدر أن أفعله في كثير من الأحيان.

أ. يوسف عزب
يومية (3-9) "نستعمل الواقع لا نستسلم له" إن عبارة "بمجرد أن يثبت الحق المؤقت تماماً دائماً، يصبح باطلاً هو هو، لأنه ثبت فأوقف مسيرة الحق القادم" أتصور أن هذه العبارة هي جوهر ما وصلني من القرآن، والقرآن فقط.

د. يحيى
ياه!! هل أنا كتبت هذه العبارة هكذا، آسف؟ لكن ما علينا، أنا لم أفهم عبارتك "أن جوهر هذه العبارة هو ما وصلني من القرآن، والقرآن فقط"، أنا مع فكرة أن القرآن الكريم هو مصدر إلهام متجدد، لقد فرحت بهذا الرأي جداً.

أ. يوسف
(لكن رغم صحة عبارتك هذه)، إلا أنها أعطتني انطباعاً حزيناً، ذلك لأن الحركة والحياة بهذا المعنى لا تهتم بأحد، ولا تلق بالآخر، ولا تتوقف عند أحد.

د. يحيى
الحركة هي قانون الحياة يا يوسف، إما أن نواكبها، أو أنها سوف تدوسنا، فماذا يُحزن في ذلك، هيا نواكبها يا أخي، لأنها لن تنتظرنا، أنت الذي قلت "لاتتوقف عند أحد" (ولا لأحد يا أخي).

أ. يوسف عزب
يومية (5-9) "اختبار ذاتي لأستاذ بكلية الطب" الاختبار مخيف، وأعتقد في ضرورته الحيوية الآن للكل، وليس للجامعة فقط، وهو يكفي كده من غير تطوير.

د. يحيى
تصور يا يوسف أنني فعلاً قمت بنشره لأنني شعرت أنه يصلح لأي واحد، وليس خاصاً بأستاذ كلية الطب، ومع ذلك فإن ابنتي أسماء نبيل..... تصورت أنه خاص بأستاذ الطب، ولها حق هكذا يبدو ظاهره...

أ. يوسف عزب
يومية (7-9) "بدال ما نثور فنن" القصيدة رائعة ولكنها بدأت تتدهور ابتداءً من "ما ألقى الفكرة بايئة، ما ألقى الفرصة فايئة" .. إلى أن قالت .. "أي فكرة حلوة يعتبروها بدعة" ورجعت ثاني رائعة

د. يحيى
لك رأيك، أنا لم أفهم كيف تدهورت القصيدة

، وهي أغنية وليست قصيدة على فكرة، أعدت قراءتها وسوف أنشرها في الدستور قريبا باعتبارها أغنية للكبار خارجنا (بعد أن كنت أنشر أغاني للأطفال داخلنا)، حتى لو كانت تدهورت في وسطها كما تقول!

أ. يوسف عزب
"حكاية بدل ما يثور يفن"

إما أنها حدس عظيم لأمر غير مكشوف أو أنها تحتاج إعادة نظر، ثم هل أنت فنان أم تائر، تعتبر ما تفعله فن أم ثورة؟"

د. يحيى
لست متأكدا، الفن (أعني الإبداع)، إن كنت توافقني، هو ثورة مؤجلة، أو هو تمهيد لثورة قادمة قادرة على أن تحتوى حماسها في فعل معين، والثورة هي فن تغيير الواقع، أعني إعادة تشكيل الناس والحياة على أرض الواقع، بجرعة مكثفة من التغيير الجماعي.

أ. يوسف عزب
يومية (18-9) "مع الناس في رحابه" هذا الكلام الذى كتب عن الحج كتب في أى وقت؟.

د. يحيى
لقد أثبت تاريخه منذ واحد وثلاثين سنة.

أ. يوسف عزب
وهل كانت الرؤية بهذا الوضوح في هذا الوقت؟ وهو "ما تتميز به هذه اليوميات"

د. يحيى
أظنها كذلك، كما أظن أنها مازالت كذلك.

أ. يوسف عزب
يومية (23-9) "بعض وصف بعض مصر" عاوزه تكمل

د. يحيى
حاضر. ربنا يسهل.

أ. يوسف عزب
يومية (29-9) "إبداع الشخص العادى وإبداع المرأة" الموضوع كبير قوى وما بينفعلش يتم تناوله في هذه المساحة الصغيرة جدا دى.

د. يحيى
أعتقد أن هذا من أكبر عيوب هذه اليومية، أحيانا أشعر أن أى يومية قد تصلح أن تكون عنوانا لكتاب، أو دعوة للمشاركة في موسوعة، أشعر أحيانا أخرى أن كل هذه اليوميات هي مجرد عناصر أو بالتعبير العامى الجميل: "فتح كلام!!".

أ. يوسف عزب
يومية (30-9) "الصوفية والفترة" تعليقا على قولكم

أن الهدم هو مستمد من الجانب الإيجابي في العدوان وهو معنى الكسر عند الجنيد وليس العدم الذي يفاجئنا به ماسينيون صامداً" اقول لسيادتك أن الذي قال هذا عن العدم هو الشيخ الجنيد بلفظه وليس ماسينيون؟.

د . يحيى

رجعت إلى الأصل والنص يقول: "إن رأى الجنيد إثبات ذات الله من خلال العدم أفضل من إثباتها من خلال الوجود، يجعل ماسينيون يستنتج أن العقيدة الإسلامية تميل بشكل عام إلى إثبات ذات الله من خلال الهدم، وقد أنهت الفقرة قائلاً: "... وبالتالي نفهم معنى الكسر الذي يقوم به الجنيد أو العطار بمعنى غير العدم الذي يفاجئنا به ماسينيون"، فأنا اعترضت على فهم ماسينيون للجنيد، وليس كما قلت أنت. أرجو مراجعة الفقرة كلها لو سمحت.

أ . يوسف عزب

هناك اعتراض آخر لتفسير سيادتك بأن العدم عند الجنيد ليس هو العدم السلبي، وأنه إعدام للثابت المعيق عن الحركة، وأنه هو العدم الذي يتخلق منه ضده، ليصبح وحدة أكبر فعدماً أنشط.

والاعتراض أنه في تصوري أن إعدامنا للثابت المعيق لا يساوي أبداً العدم لأن الأول عمل إيجابي ثوري والثاني عدم، والأمر الآخر هو: كيف ننتظر أن يتولد من العدم ضده، ثم نفاجأ بعدم آخر؟

د . يحيى

إعدام الثابت المعيق أو تفتيته حتى يتفجر من عدمه وجودٌ جديد هو عملية رائعة متداخلة، فالعدم لا يوجد أبداً بالمعنى السلبي الذي نتصوره دائماً.

أ . يوسف عزب

يومية (1-10) "مستويات الوعي وأساطير المتصوفة" عمل رائع وهجول ولكنه يؤكد هنا خطورة فتح الموضوعات الضخمة الخطرة دون قفلها.

د . يحيى

لا.. لا.. لا.. علينا أن نفتح كل الموضوعات مهما بلغت ضخامتها، ومن يريد أن يقفلها يقفلها على مسئوليته، هذه المواضيع لا تقفل أبداً.

أ . يوسف عزب

يومية (5-10) "حوار الجمعة" هو المقصود دكتور أسامة عرفة أم أسامة رفعت، وعندي اعتقاد أن كلام د. زكى سالم حدث له تشويه عند التقطيع.

د . يحيى

لا طبعاً، هو د. أسامة عرفه، وهو أحد أبنائى الأكبر، فى السعودية الآن، أما ابنى الأصغر أسامة رفعت فهو صاحب

الفضل في بداية تسجيل ما أقوم به من علاج جمعي في قصر العيني بالصوت والصورة منذ حوالي عشر سنوات" بإذن المرضى طبعاً"، وللاثنين فضل على متجدد أبداً، أما الابن د. زكى سالم، فقد احتجب عن التعليق، برغم أنني استشهدت به مراراً، وأغنى ألا يكون رأيك في تشويه تعقيبهِ صواباً، وله الكلمة الأخيرة.

أ. يوسف عزب
يومية (9-10) "الطفل الخاص" من أروع ما قرأت، وأروع منه رد طاغور، والأبدع من الكل هو عدم تعليقك عليه.

د. يحيى
معك حق في الجملة الأخيرة بالذات، كثيراً ما أشعر أن عدم التعليق، هو أعظم ما نخدم به المقتطف، وأحياناً العكس، هلا تفضلت معي الآن يا يوسف نستمع إلى زميل كريم يسأل تحديداً عن حلقة الإدمان، وهذا بعض ما يشجعي أن استمر.

د. خليل محمد عبد الفتاح
يومية (23-10) (أدمغة المدمن ومستويات الوعي)

ربما يكون من الصعب على من يقرأ هذه اليوميات استيعاب المراد بها دون شرح وإفٍ لافتراضات الكاتب مثل تغير الوعي و التعتة؟

د. يحيى
عندك حق، لكن اليوميات تكمل بعضها بعضاً، ويستحيل أن أعيد تعريف أجدبي مع كل يومية. عذراً.

د. خليل محمد عبد الفتاح
لم أعرف من هي الفئة المقصودة بهذه الكتابة: الأطباء المتخصصين أم المدمنين أم العامة؟

د. يحيى:
ولا أنا، راجع ردّي على الصديق يوسف عزب في أول حوار اليوم.

د. خليل محمد عبد الفتاح
كطبيب متخصص احتجت أن أعرف المزيد من المعلومات عن المريض وتحديداً معلومات عن علاقاته المختلفة وعن سمات شخصيته؟

د. يحيى
لك حق من حيث المبدأ، لكنني نيهت من البداية أنني أقدم بعض "أحوال حالة"، وليست مشاهدة مطولة لتاريخ حالة، ولقد أكدت ذلك لاحقاً وأنا أكتب عن الفصام (حالات وأحوال أيضاً)، إن تقديم تاريخ أربعة حالات في الإنسان والتطور، (كانوا إخوة)، استغرق مني أكثر من ثلاثمائة صفحة ستنشر في كتاب قريباً، أرجو أن نعود معاً أن نقرأ "الأحوال" مقتطفات دالة في ذاتها، وإلا ستضيع منا الفائدة المحددة من هذا المنهج الانتقائي بالذات.

د. خليل محمد عبد الفتاح:

اعجبتني كثيرا فرضيه أن التوقف عن الإدمان ثم العودة تمثل نوعاً من التغيير الذي يُحدث متعه عند المدمن، لقد فسرتُ عندي بعض السلوكيات التي رأيتها عند المدمنين.

د. يحيى

وأنا كذلك، والابن الدكتور كريم كذلك، والفضل هو لذكاء وحدة وعى وسلامة تعبير هذا الابن المدمن ذى السبعة عشرة عاماً، فهو الذى علمنا كل هذا، لنتبه أن الدماغ هو "ليس وعياً آخر"، بقدر ما هو "حالة التغيّر إلى وعى آخر".

د. خليل محمد عبد الفتاح

لم افهم فرضيه تفسير استمرار المدمن فترة طويلة على نفس المادة

د. يحيى

علمنا أيضا نفس الابن، أن الاستمرار على نفس مادة التعاطى قد يثبت الوعى الذى تغيّر فسكن حتى يفتّر، فيضيع منا "الوعى بهذا الوعى"، "حالة كونه يتغير"، فلا يعود يعمل "دماغ" الذى هو هدف المدمن..، وبالتالي فالمدمن إذا وصل إلى هذه الحالة، فهو إما أن يغير المادة، أو يتوقف ليعود - كما لاحظت أنت تعليقك السابق.

د. خليل محمد عبد الفتاح

برجاء تحفيف بعض الألفاظ المستعملة مثل التعليق على الصورة الخامسة لأنه ليس من السهل على البعض تقبل استعمال هذه الالفاظ على الملأ.

د. يحيى

لا طبعاً...، لا أوافقك..

كلام المرضى هو كلام المرضى، وكلام الناس هو كلام الناس، وقد تشوه التراث واختزل من كثرة التحذير من مثل هذا الخطر، ودعك من حكاية "خدش الحياء العام"، الحياء العام والحياء الخاص لا تحدشه هذه الألفاظ إلا إذا كان زائفاً أو هشاً، الحياء تحدشه أشياء أخرى أرق وأخبت وأكذب.

د. خليل محمد عبد الفتاح

لاحظت عدم التعليق على اختلاف الزمن الذى استغرقه المريض فى التعليق على كل صورة

د. يحيى

عندك حق، وإن كنت قد ذكرت أن الزمن الذى استغرقته المحاولة الثانية (الاستجابة بعيداً عن الانشغال بالإدمان) كان- بصفة عامة - أقصر.

د. خليل محمد عبد الفتاح

أحسست ببعض المبالغة والشطط فى افتراض مغزى تعليق المريض

على الصور، ومع ذلك أرى أن هذه الطريقة مفيدة من ناحيته المبدأ في فهم المريض ووضع خطة علاجية له .

د . يحيى :
مجزوء .

ولكن هذه هي طبيعة تفسير الاختبارات الإسقاطية عامة : إسقاط على إسقاط، ومن حقه أن تسقط بدورك فيكون إسقاط على إسقاط على إسقاط، لا يوجد رأى واحد نهائى في قراءة استجابة الناس والمرضى.

د . خليل محمد عبد الفتاح

نهائية أرى (أنه توجد) فائدة من الاستمرار من تقديم مثل هذه الحالات مع بعض التنقيح؟ ومعدرة على الإطالة والجرأة في النقد .

د . يحيى

... يا رجل جرأة ماذا؟ أشكرك بمجد، إن فضل هذا الموقع هو أنه عرفني بك وبأصدقائنا هكذا، وهذا هو الإين الذى صمم الموقع ويتابعه واسمه إسلام أبو بكر، يريد أن يشارك في الحوار .

أهلا إسلام

أ . إسلام أبو بكر

يومية (21-10) "س و ج عن الإدمان"

... أتابع النشرة يوميا ولكنى أجد في الرد شيئا مقدسا يجب له تحضير الطقوس، والطقوس هنا ورقه وقلم وذهن يقظ .

د . يحيى

يا عم إسلام .. مقدس ماذا؟، وطقوس ماذا؟! هات ما عندك على البركة، على فكرة هذه فرصة لأشكرك على فضلك في إعداد الموقع هكذا، وأنتهز فرصة لأقدمك للناس بصفتك هذه، فلولا مهارتك وانتماؤك وجهدك، ما وصل كل هذا للناس .

أ . إسلام أبو بكر

(أدمغة المدمن ومستويات الوعي)

عنى، لم يحدث لى أن وصلت لهذه الأدمغة من قبل عن طريق وسائل الإدمان المختلفة ولا مرة ولكنى أصل لها في بعض الأوقات التي اعتبرها تجارب شخصية عمومية شمولية .

د . يحيى

.. أتذكر أننى لم أقل "إن قمة الإبداع" هي الدماغ العالية، وأوضح نفسى من جديد هنا كالتالى:

إن ما يسميه المدمن الدماغ العالية، وهو ربما ما يحققه تحريك أكثر من مستوى من مستويات الوعي "معاً"، هو ما يقابل حالة الوعي الفائق التي يعيشها المبدع ليؤلف

تشكيلا جديداً من هذه المستويات في جدل خلاق، وحين أقول "يقابل" لا أعني يرادف، ففي حين يعملها المبدع، فيحرك فينا مستوياتنا معاً إذا أحسنا التلقي، لنبدع إبداعه، يتوقف المدمن عند دماغه العالية، ويروح يدور حولها وحول نفسه نازلاً إلى الهاوية دون أى إبداع يا إسلام.

أ. إسلام أبو بكر

أنا لا أعتقد أن قمة الإبداع هو بالوصول الى الدماغ العالية.

د. يحيى

ما هذا يا إسلام؟ هل أنا قلت ذلك؟ أرجو أن تقرأ الحالة من جديد، ثم إنني سأواصل النشر في ذلك حتى نتعرف على أبعاد هذا الغرض الذى أعود فأوجهه كالتالى ". .. إيش رماك على "الدماغ" الذى تحققه لك المخدرات والمنشطات، قال قلة فرس "عمل دماغ" طبيعى نظيف جميل.

أ. إسلام أبو بكر

يوما ما سألت نفسي: كيف أن الإنسان يظل هو، وهل يبقى هو وللأبد هو نفسه، هو نفس الجسد ونفس الوجه كل يوم، على أنه في داخله واحد أو أكثر، ومع ذلك في جسد واحد، مع ملاحظة وجود حركية الوعى هنا.

د. يحيى

أنا أفرح بذلك السؤال أحيانا - بل كثيرا- أكثر من فرحتي بسداد الإجابة، لعل مهمة هذه اليومية، بل مهمة وجودنا كله هو محاولة الإجابة (الناقصة حتما) على هذا السؤال، سؤالك ذكى فعلاً يا إسلام، ولذلك سوف أتركه "هكذا" دون إجابة، هل له إجابة؟ ألا يكفى السؤال.

أ. إسلام أبو بكر

ماذا لو أحس الشخص انه ليس من "هنا"، وأنه من مكان آخر، سوف يرجع له قريبا قريبا ولكن هناك شيء يجب تحصيله والرجوع لمكان الأصل.

د. يحيى

يقول أحد المتصوفة (لا أذكر من) "كل من انفصل عن أصله يطلب أيام وصله"، لقد نسينا أن هذه الحركة هي الأصل، وأن تشكيل الذات المستمر (وليس البحث عنها، أو الزعم بتحقيقها) هو قانون الفطرة التي علينا أن نحسن دراسة قواعده ليتحقق، وأن الرجوع لمكان الأصل لابد سيوجهنا إلى وجه الحق سبحانه وتعالى .. دون أن نصل أبداً بالمعنى الساذج، فالتوجه نفسه هو غاية السعى وليس الوصول.

أ. إسلام أبو بكر

(رداً على تساؤلك في نهاية الحالة)

"وهل خَلَقْنَا الله بدماغ واحد (مبتذل) أم بعدة أدمغة".
سوف أحاول الإجابة عن نفسي قائلاً:

"... بعدة أدمغة بالطبع وإلا ما حركنا وعينا على مدى التاريخ البشرى بداية من الدين الى علوم التكنولوجيا".

د . يحيى

شكراً ،

وشكراً لاقتطافك ما أنهى به حوارى معك اليوم (وعذراً لحذف الباقي) ، أنت الذى اقتطفت قول:

.... ومادام الحصول على دماغ عن طريق هذه السموم له كل هذا الثمن الغالى، فكيف يمكن أن تحصل \بقية أدمغتنا\ على حقها في التواجد، والتبادل، والتنشيط، والإبداع، والتراجع، والمحاولة، والخطأ؟، ثم نترك السؤال مفتوحاً، فما جعلت هذه اليومية إلا لهذا.

والآن هيا معى يا إسلام لتحية أكثر الأصدقاء انتظاماً في التعليق،

أهلا رامى ، كنت قد خشيت عليك ألا تكون ملتزماً بعمل يومية.

رامى عادل

.... أنا باعشق الشغل اليومية، وهو ركيزة أساسية لحياتى وحياتنا جميعاً، ومن غيره ما قدرش ألم الدور.

د . يحيى

شكراً يا رامى، ثم دعنى أذكرك بفضل هذا التقديس للفعل اليومية على مسيرة شيخنا نجيب محفوظ، ثم أحيلك إلى رائعته "حضرة المحترم" التى أسهمت في توضيح ما هو الفعل اليومية حتى يصل الأمر إلى تقديسه مع تحذيرنا من أن نصل إلى شطح "حضرة المحترم" حتى التألبيه!!، ثم أحيلك أخيراً لفصل كامل في كتابي "حكمة المجانين" بعنوان "قصائد مديح فيما لا يُمدح" مثل العقل البسيط والروتين

رامى عادل

يومية (28-10) (سد هارتا)

أبي العزيز: كلامك ضحكى وبكأنى بكأنى، .. جحود ونكران جيل بل قل أجيال، .. أنت حوالبك ناس كثير وبتشكى من الوحدة ومرارتها..؟

د . يحيى

ما هذا؟ ما هذا يا رامى؟ أشكرك من حيث المبدأ، لكننى آسف إن كان قد وصلك مثل هذا المعنى، لعلى أسأت التعبير، لا يوجد جحود يا رجل ولا نكران جميل، أنا حول كل الناس، حتى من ينكرون أو يتنكرون لى، وأنا لا أشكو من الوحدة، أنا أفرح بالوحدة إذا فرضت علىّ، وأفرح بك إذا كسرتها، "الوحدة" هى الذراع النشط في "رحلة الذهاب، والعودة" للموجود البشرى، وهى رحلة لا تتوقف أبداً، حتى ظننت أنها لا

تتوقف حتى بالموت، ثم إن الوحدة ليست مَرَّةً على طول الخط.
هيا معي الآن يا رامى إلى الابن د. أسامة عرفة.

د. أسامة عرفة يومية (10-25) (حلم رقم 3)

" أتوقع أن يصدر عمل يقرأ الدكتور يحيى الرخاوى من خلال قراءته هو لأحلام الأستاذ .. لكن يا ترى هذا الذى سيقرؤك سيقرؤك أنت، أم أنه سيقرؤك من خلال قراءته لك؟ ثم نقرأه (نحن) من خلال قرائتنا له وهكذا .

... حاجة كده زى طَبَقْنَا طبق فى طبقكو، يقدر طبقكو يطبق فى طبقنا ... وهلم جرا؟

د. يحيى:
حلوة هذه يا أسامة .

أنا موافق.

د. أسامة عرفة: يومية (10-28) (سد هارتا)

"... جاءتني دعوة حضور "الندوة الشهرية" بالبريد الإلكتروني، ولجھلى الشديد بتكنولوجيا الاتصالات افترضت أنه لابد أن تكون هناك وسيلة تقنية بسيطة تسمح لي بالمشاركة في حضورها عبر الإنترنت.

اللهم أجعله خير.

د. يحيى:

إن شاء الله خير، آمل يا أسامة أن يتحقق أملنا هذا، وقد علمت أن ذلك ممكن بدلا من المؤتمرات المشبوهة التي ترعاها جهات مشبوهة، وقد سبق لك أننى أتعجب من من يدعوون لحضور مؤتمر في آخر الدنيا أتكلم فيه نصف ساعة محاضرة افتتاحية تكلف الذى يصرف يبحث على هذا المؤتمر عشرات أو مئات الآلاف من الجنيهات، ولا تتم بعد المحاضرة مناقشة جادة، من أين الوقت يا أسامة؟ أقارن هذا كله بعدد الزملاء الأفاضل الذين يشاركون أو قد يشاركون في الاطلاع على هذه اليومية، ولو عينة من هنا وفقرة من هناك، وعندهم الفرصة للسؤال والإجابة، كأنه مؤتمر يعقد يوميا، والدعوة عامة، ولكن لا حس ولا خبر كما ترى.

دعنا نأمل يا أسامة في تكنولوجيا الاتصالات أن تتجاوز وصاية تلك السلطات المشبوهة التي تنظم المؤتمرات لأغراضها الخاصة ثم هيا معي نختم بابن أخى الذى أنتظر منه أى جديد مهما تهادى في التكرار.

د. محمد أحمد الرخاوى يومية (10-31) (وعد بلفور)

....لا نستطيع أن نسامح الغرب حكاما وشعوبا، وقد عشت

وسطهم على كل هذا الظلم والجبروت؟

د . يحيى

أظن يا محمد، مع حبى الشديد لك، واحترامى لمحاولتك، أننى سوف أكف عن حوارك إذا أصرت على موقفك الخطاى التعميمى هذا، هكذا، تُسامحُ من يا عمّ، دعنا نعمل ونبدع، ربما نضيف إلى من يعملون ويبدعون عندهم، أما السلطات المشبوهة هنا وهناك، فهى تحمل مقومات هدمها. وحينئذ سيحتاج الناس إلى كل ما يحاوله كل الناس الآن شرقا وغربا.

د . محمد أحمد الرخاوى

...بالمناسبة أيام افتتاحيات الإنسان والتطور الورقية كنت تعرج على الأحداث المحلية والعالمية فلم لا تخصص على الأقل جزءا من اليوم الحر لذلك؟

د . يحيى

عندك حق، لكن ربما أجد لهذا مكانا آخر، وقد نيهى الابن مصطفى حسن لمثل ذلك فى أول حوار نشر هنا يوم 2007/9/17، حين قال كلاماً مطابقاً لما قلت تقريبا، ورددت عليه بأننى لا أرفض، ولا أعد، ولكل مقام مقال، وأنا حتى الآن لم أحدد أين تقع الهموم اليومية (التي أشرت إليها أو أشار إليها مصطفى) أو الأحداث المحلية والعالمية من هذه اليومية تحديداً، دعنا ننتظر ونرى، دع ذلك ولنعد لما ورد فى اليومية عن أمر آخر.

د . محمد أحمد الرخاوى

يومية (30-10) (الفصام)

المسألة أقصد من كل ذلك: فقدان التوجه الضام كما سميته أنت أخرج كل ذرة من مدارها بحيث تداخلت الذرات وتناثرت بجروجها من الدوران حول النواة (التوجه الضام).

د . يحيى

إذن ماذا؟

د . محمد أحمد الرخاوى

أرى أن من أهم أسباب تخلفنا وغبائنا ومرضنا هو هذا القهر والغباء والكذب، وكأننا لا نفرز إلا مزيداً من جيوش المرضى النفسيين فعلا أو المرضى المدمرين لأى وجود صحيح سوى؟

د . يحيى

طيب، وبعدين يا محمد، إسمع لما أقول لك، أكبر بناتى د.ماجدة صالح، تصورت من يومية "سد هارتا" أنى آخذ على خاطرى، فقالت كلاما طريفا يخفف من سمومك هذه، هل تسمعها معى؟

د.ماجدة صالح

(الندوة)

ياه يا دكتور يحيى! أنت صحيح مقموس ولا وجدت البديل
اليومي (عن الندوة)؟ ربنا يطولنا في عمرك.

د . يحيى

وهل أنا أستطيع يا ماجدة؟! (هوا أنا أقدر)، سوف
أكتب يوما عن "حق القميص" كحق أساسي من حقوق الإنسان
المنسية مثل: "حق العوزان"، و"حق الضعف" و"حق
الشوفان".

64 - مقتطف وموقف من كتاب: سلطان الأسطورة جوزيف كامبل

المتقطف: ص 130

كامبل

"... كان Black Elk "الأيل الأسود"، كان صبيا من قبيلة Sioux (من داكوتا الشمالية) وكان الصبي حينذاك في حوالي التاسعة من عمره، وقد حدث هذا له قبل أن تواجه الفرسان الأمريكية القبيلة التي كانت أقوام شعب السهول الكبير .

الذي حدث أن الصبي مرض نفسيا، وتحكى عائلته قصة الشامان التقليدية، فقد بدأ الصبي يرتجف ثم أصبح لا يتحرك من أسفل، وانزعجت عائلته عليه جداً وأرسلت إلى الشامان الذي كان عنده تجربة من هذا النوع في صباه، وطلبوا منه أن يحضر كمحلل نفسى وأن ينزع الصبي من حالته، ولكن بدلا من أن يخلص الصبي من القوى الإلهية فإن الشامان حاول أن يجعله يتكيف مع هذه القوى، وأن يجعل القوى تتكيف معه، وهذه مشكلة مختلفة عن مشاكل التحليل النفسى، وأظن أن نيتشه هو الذى قال: "احذر في إخراجك للشياطين أن تخرج أفضل شئ فيك". هذه الآلهة التى واجهها الصبي ولنسمها "قوى" تم الاحتفاظ بها وبقيت الصلة معها بدلا من أن تنقطع، مثل هؤلاء الرجال يصبحون بعد ذلك هم الذين يقدمون النصيحة والهدايا لأقوامهم .

الموقف

(1) حكى جوزيف كامبل هذه التجربة، لصديقه المقدم (المهاور) "بيل موريز" وهو يحاول أن يجيب عن تساؤله عن "قدرة الشامان على مساعدة المرضى"، نتيجة لمرور الشامان نفسه بتجارب ماثلة سابقة، كان موريز يسأل في الصفحة السابقة (129): "وهذا الشخص الذى حدثت له هذه التجربة النفسية؟ تجربة الصدمة وهذه النشوة، هل سيصبح المفسر للآخرين؟ فأجاب كامبل: إنه قد يصبح المفسر للتراث الميثولوجى للحياة .. (ثم حكى هذه القصة قصة الصبي الأيل الأسود)، وكامبل هنا لا يدافع عن موقف، ولا يدعوا لبدل، لكنه يدعونا للتأمل.

(2) نلاحظ أن اساس المعالج هنا هو خبرته السابقة بتجارب مشابهة وخروجه منها إيجابيا.

(3) لا يحاول الشامان أن يطرد هذه القوى التي تلبست الصبي (عكس ما يفعله أغلب المعالجين الشعبيين الآن وهم يطردون الجان)

(4) كامبل سُمي هذه القوى باسم "القوى" فقط، وأحياناً باسم "القوى الإلهية" وهي هي التي اعتبرها الشياطين، وهو يستشهد بنيتشه، فهل هذا يعنى شيئاً؟ لماذا الأساطير، وبعض التصوف تستعمل هذه الكلمات بالتبادل هكذا؟

(5) إن استشهد كامبل بقول نيتشه "احذر في إخراجك للشياطين أن تخرج أفضل شئ فيك" لا يعنى بالضرورة دفاعاً عن الشياطين، التي تسمى في الأساطير أحياناً آلهة، بل إن ما وصلتني هو أن كل هذه التسميات إنما تشير إلى "القوى الأخرى" بداخلنا التي لا نكتمل إلا بها، ربما مستويات الوعى الأخرى، أو حالات الذات الداخلية"

(6) إن أغلب العلاجات الشعبية تكاد تفهم الطبيعة البشرية وتركيبها المتعدد أكثر عمقاً، وعلماء من الطب النفسى الاحتزالي الميكني، الذى يلجأ عادة إلى ما هو ألين من إخراج الجان أو التصالح معهم، حين يقتل هذا الجزء الأقدم (الوعى الآخر) من المخ مجرد أنه ثار من طول المنع والقهر، ثار مستقلاً حتى بدا خطراً على الواحدية oneness (أن يكون المرء واحداً لا أكثر في لحظة بذاتها) إن ما يفعله التداوى الشعبي فيه حوار ما، أما هذا القتل بالكيمياء طول الوقت طول العمر فأمر آخر. (وهذا لا يعنى تفضيل التداوى الشعبي عن فن التطبیب. أنظر بعد).

(7) إن الشامان - في قصة كامبل - حاول أن يجعل الصبي يتكيف مع هذه القوى، وهذا لا يكفى من وجهة نظرى، لكنه حاول أيضاً أن يجعل هذه القوى تتكيف معه.

(8) إن كل ذلك، وهو موجود هكذا في الأساطير، وقد اقتطفه كامبل ليستشهد به هنا، إنما يشير إلى ضرورة إعادة النظر فيما يسمى الطب النفسى الحديث، لا لنستبدل به التداوى الشعبي العشوائى، ولكن لنحترم من خلاله الطبيعة البشرية، بعد أن نفهمها من خلاله أيضاً.

(9) إنه ينبغى إعادة النظر في محاولات الطب الشعبي التخلص من هذه القوى، حتى لا تكون النتيجة وجوداً مختزلاً، تماماً مثل الذى حذر منه نيتشه "تخرج أفضل ما فيك".

(10) إن الطب النفسى التطورى (من منظور تركيبى هيراركى إيقاعى) لا ينكر هذه القوى حتى لو صدرت في صورة أعراض خطيرة مثل الهلوسات السمعية مثلاً (سماع أصوات لا وجود لها) وفي نفس الوقت هو لا يحاول أن يحترمها لدرجة تبرر الجنون أو تسهم في التفسخ وفقد الواحدية oneness، وإنما يتدخل المفهوم الطبى التطورى التركيبى المرن للحد من غلواء هذه القوى (ولو بالعقاقير مؤقتاً، خاصة العقاقير التي يستعملها لأنها تعمل انتقائياً على المخ الأقدم)، ثم هو يحاول أن يتمكن من إعادة إطلاق هذه القوى مع غيرها في الاتجاه الصحيح بعد أن يكون قد توصل مع المريض إلى

الأمد 04-11-2007

65- حالات وأحوال (عن الفصام..)

...الفطرة، والقشرة والانشقاق

بعض أحوال: حالة عصام، (الجزء الثاني)
(وليس بالضرورة: حالة فصام؟؟؟)

انتهى الجزء الأول، ولم يكتمل تقديم أحوال عصام بعد، لكن الحلقة الأولى انتهت بفرض مبدئي متعدد الخطوات

وقبل أن أوصل تقديم ما يثبت أو ينفي أو يعدل هذا الفرض، وجدتني قد استعملت فيه كلمتين غير مألوفتين في الطب النفسي أو علم النفس، وهما كلمتي "الفطرة" و "القشرة"، فكان لزاما على أن أبحث، ثم أحاول أن أوضح ما أعنيه بهما، بالإضافة إلى كلمة ثالثة تمثل إشكالا علميا وطبيا ومعرفيا أيضا هي كلمة "الانشقاق"، فكان هذا الاستطراد - أغلب يومية اليوم - لنعود غدا إلى تطبيقه في حالة أحوال عصام.

قبل أن نقدم هذا الاستطراد، ومع أننا لن نتعرض كثيرا إلى ما عرضناه في الحلقة السابقة، ننصح الزائر (القارئ) أن يرجع للجزء الأول (يومية 30-10 حالات وأحوال طب نفسي "الفصام") حتى يستطيع المتابعة، وبالذات بالنسبة لحلقة الغد، أكثر من اليوم.

سوف نعرض الفرض كما ذكرناه في الحلقة الأولى بألفاظه ثم نناقش ما جاء فيه فقرة فقرة

حتى إذا ما أتى موقع الاستطراد، فسوف نتطرق إليه، ثم نعود للحالة غدا

الفرض (كما جاء في نهاية الحلقة الأولى)

أولا: عصام شاب نشأ في أسرة مزدحمة شكلا، مُفَرَّغَة موضوعاً، تفتقد إلى أي دفء حقيقي يضم أفرادها إلى بعضهم البعض، لا يوجد بها تاريخ عائلي إيجابي لمرض نفسي أو عقلي خطير، الوالد حاضر حضوراً جافاً ملتويًا، يعلم (عصام) وهو الأقرب إليه من الأولاد التجسس على إخوته، ثم لاحقاً - بعد مرض عصام - تقوم "أخته الأصغر" بهذا الدور

الأم ضعيفة سلبية متنحية مقهورة، جافة

ونضيف الآن عن الأم: لكنها تعرف طريقها في حدود دورها الظاهر والخفى

وقد تم وصف الام كما أوردناه هنا من المعلومات والانطباعات والأحداث التالية:

(1) هي امرأة مصرية تقرأ وتكتب بالكاد، والدها فلاح وأسرته فقيرة كبيرة العدد،

(2) رفض الأب السماح لنا بالتحدث مع الأم - بشأن المريض - ولو هاتفيا

(3) رفض الأب ذكر اسمها أصلا

(4) **وصفها الأب بأنها: "هادية، وحنينة، ومؤدبة، وأمينة** ، **ومخلصة،** ثم أضاف: لكنها

عنيذة، في بعض الأمور: يعنى تعمل حاجة من غير ما أقولها، أو أقول لها على حاجة وماتعملهاش!!! (لاحظ رفض الأب لأى احتمال لتلقائية الأم في الجملة الأولى على الأقل!) وهو يضيف في موقع آخر: ما كنتش عايز أتجوز خالص، لكن قلت أتجوز عشان حد يخدمنى. ثم ..كانت بتزعلنى، أحيانا وأقولها إنت جاهلة ما بتفهميش"،

(أضاف عصام لاحقا في مقابلة منفصلة أن الأم كانت تقول لوالده أحيانا ردا على ذلك: "وانت عملت إيه بالبكالوريوس بتاعك".)

(5) **وصف عصام أمه** وصفا أكثر تعرية وشجبا كالتالى " **ست جاهلة طبعا، مش نضيفه، قذرة ، تحب تتباهى قدام الجيران بالأكل والشرب وهى معروف أساسها، شحاتة بنت شحاتين، تبوقع الناس في بعضها، بتحسد الناس، والناس بتحسدها لأنها في نعمة مش بتاعتها"**

هذا الوصف لم يكن يجرؤ عليه عصام قبل المرض

(راجع وصفه للوالد في الحلقة الأولى)

هذه هي الأم، وذاك هو الأب وقد أجبنا عصام، ثم ماذا ؟

نرجع إلى الفرض

(محور للتوضيح) عصام ، مثل أى واحد منا، - ولد كما خلقه الله، فهى **الفطرة** - لكن أحدا لم يتعهدها لا بما هى، ولا بما يمكن أن تكون، ، هذه **الفطرة** تغطت **بقشرة** (سلوكية) تربية لامة، لكنها - **الفطرة** - ظلت تتعامل من وراء **القشرة** مع ما يصلها من بزجة بطريقتها البسيطة الصحيحة .

(هذا ما جاء في فرض الحلقة الأولى)

بالذمة هل هذا كلام؟ ما معنى: " **لكن أحدا لم يتعهدها** - **لا بما هى ولا بما يمكن أن تكون؟**

كلام كبير بلا معنى تقريبا، فنحن لم نحدد ما هى **الفطرة** أصلا، وبالتالي، وأيضا: نحن لا نعرف ما يمكن أن تكون، وذلك برغم كل ما يقال في التربية وعلم النفس، والطبيعة

البشرية، والتركيب التحليلي، وما إلى ذلك (علما بأن الأساطير وبعض الفلسفة، والتصوف الحقيقي، وكثير من الإبداع تعرف الإجابة أحسن!!)

هكذا شعرْتُ بلزوم الاستطراد للتوضيح الواجب لكنني بعد أن كتبتُه وجدت أنه صعب المسألة أكثر وفيها ماذا؟

هذه هي طبيعة هذه اليومية:

وقد نستغرق عاما أو أكثر - يوميا- لتوضيح ما يمكن، وقد نستغرق العمر كله.

نعم، لكن لا بد من بداية، مادما قد تورطنا في وضع فرض لتفسير حالة/أحوال عصام، استعملنا فيه كلا من الفطرة والقشرة، الأمر الذي لا بد أن يعرج بنا إلى مسألة الانشقاق الاستطراد والتنظير

سوف نبدأ بـ الفطرة، لننتهي بأحد أشكال التعامل معها بالانشقاق المغرب الثابت وهو ما أسميناه "القشرة":

الفطرة ليست هي أيا مما يلي

- (1) ليست هي اللاشعور الفرويدي
- (2) ليست هي البدائية
- (3) ليست هي براءة الطفل (خارجنا أو داخلنا)
- (4) ليست هي الحدس العشوائي
- (5) ليست هي فجاجة التكوين البشرى في ذاته (الغرائز منفصلة)
- (6) ليست هي "شيئا محمدا" أو "مفهوما ساكنا"

فماذا يمكن أن نعي حين نستعمل كلمة "الفطرة" إذن؟ (دون ادعاء أننا أحطنا بما تعنيه بالقدر الكافي)

دعونا نزعمر مرحليا ما يلي

- (1) الفطرة هي "حركة في اتجاهها" يا خير!!! ما معنى ذلك؟ في اتجاه ماذا؟ في اتجاه الفطرة ذاتها: التي هي حركة أصلا.
- (2) مجرد أن تفكر في الفطرة وأنت في الوضع ساكنا، فسوف تجد نفسك بعيدا عنها!
- (3) الفطرة هي التنظيم الأساسي لكلية الوجود بطبقاته المُرْتَبَّة هيراركيًا، النشطة، المتبادلة، النامية، في دورات.
- (4) الفطرة لا تنفصل عن الوجدان والجسد من ناحية،
- (5) هي تتجلى في العقل (والمنطق) والسلوك والأخلاق والإيمان والدين والإبداع من ناحية أخرى
- (6) الفطرة هي "كلُّ" مشتمل، بحيث تحوى أجزاءها، ولكنها لا تحل محل أي من أجزائها
- (7) إن ما يسمى العقل المنطقي والسلوك الظاهر هو عادة المُتَاح من الفطرة للتعامل مع الواقع الظاهر المائل (هذا عند معظم الناس وفي أغلب الأحوال).

(8) يظل الحلم هو الواقع الأكثر تمثيلا للفطرة باعتبار فرط نشاط حركيته التشكيلية، ورحابة مساحة حركته الحرة .

(9) نحن -غالبا- كما ننكر الحلم، (ندعى أنه لم يحدث، أننا لا نحلم) أو نتنكر له (ننساه) ، أو نشوّه بالخي المختزل، أو نُحلّ حله حلم مزيف (دون أن ندرى)، أو نفسره برموز ثابتة عمياء، نحن نعمل مثل ذلك في فطرتنا أثناء اليقظة بشكل أو بآخر.

(10) ثم انفصال مشروع وضروري، وذلك حين ينفصل جزء من الفطرة عن شمولية تواجدها- ينفصل بتواتر منظم أو عشوائي- وهو أمر لازم لتواصل حركية النمو، هذا الجزء إنما ينفصل ليتصل - مع حركية الفطرة في اتجاهها باعتبارها حركة وليست كيانا له ما يميزه بذاته- ليتبادل مع سائر الأجزاء، ثم يتضفر، ثم يتجادل، (دون ثبات أو تكرار حرفي)، فهو النمو الممتد،

كما قلنا: هذا انفصال مشروع وضروري، فهو الانشقاق للنمو

(11) يحدث التبادل بين حالات الوعي لكل من النوم واليقظة، وأيضا النوم الحالم والنوم غير الحالم.. (أنظر الإيقاع الحيوي في كتاب "حركية الوجود وتجليات الإبداع") مثبت بالموقع.

وهكذا يتواصل الانشقاق العرّضى بالتبادل الدورى عادة، مثلما

(12) من ناحية أخرى تتواصل عمليات الانشقاق الطولى المتوازي، فالمتضفر، فالنامى في تشكيلات مختلفة مثل ما يلي:

• تعدد مستويات برجة (اعتمال) المعلومات في نفس الوقت (هذا ما سوف نشر إليه في حالة/أحوال عصام .

• تعدد مستويات التواصل بين الناس في نفس الوقت (التحليل التفاعلاتي transactional analysis

• تعدد مجالات الانتباه في نفس الوقت .. إلخ

(13) إذا انفصل الجزء ليحل محل الكل، أو ثبت هذا الجزء في حله منفصلا،

أو اكتفى بحركية مغلقة من "الانفصال فالعودة كما كنت" تماما، فهو الانشقاق للاغتراب: للتوقف، (مثل حالات الهستيريا التحولية أو الانشاقية مثل كاسي أثناء النوم، ونسيان أحداث بذاتها لدرجة فجوات الذاكرة ذات الدلالة... إلخ)

(14) إذا تمادى الانفصال للاغتراب: يحدث التفكك، فالتفسخ، فالتناثر فهو الفصام في صورته المتأخرة النشطة معا

(15) حين ينشط "الانشقاق للنمو" معا بجرعة مكثفة إيجابية فعّالة، قد يتجلى نأجه في القدرة على إعادة تشكيل الوعي مجدل خلاق، وعادة ما يظهر في شكل إبداع ما (يختلف باختلاف الأداة والمجال ووسائل التعبير والتوصيل) .

(16) إذا ما ترسخ انشفاق الجزء عن الكل، حتى أصبح هو الظاهر الثابت، المعيق لأي نمو لاحق، نجد أنفسنا أمام ما يسمى "العادية" التي تتماهى عادة إلى "فرط العادية" hyper-normality التي تتصف بالمبالغة في تثبيت السلوك النمطي الدفاعي (الميكانيزماتي) المغترب السائد، لدرجة الاكتفاء (حتى الاستبعاد) بالمنطق الظاهر الخطي السببي الختمي المعقلن، محل كل ما عداه (محل الجسد والوجدان والحدس والوعى وأنواع المنطق الأخرى)، وعادة ما يغطي هذا الجزء الظاهر المرجم بكفاءة مناسبة سائر مكونات الفطرة الأخرى،

وهذا هو ما أسميناه في حالة عصام "القشرة"

(17) أغلب تنويعات الإبداع الحقيقي، وكذلك ما نلاحظه من تلقائية البسطاء (إيمان العجائز) وطهارة الأطفال وهم يتحدثون عن الله عز وجل ..، كل ذلك هو بعض ما يعايشه الناس العاديون دون تسميته بالفطرة، ولكنهم يستعملون عادة لغة دينية تلقائية بسيطة، مع ذكر الله سبحانه غالباً.

(18) على النقيض من ذلك، فإن منظومات السلطات الدينية والأخلاقية الفوقية والاستهلاكية الاستغلالية هي أقرب إلى القشرة التي تضخمت حتى أعاقت عبر العصور، والتي تصبح بانفصالها أبعد ما تكون عن الفطرة.

(19) القشرة قادرة على "اعتمال المعلومات" Information processing لتحقيق الشطارة والنجاح والامتلاك والتفوق وكثير من أشكال حفظ المعلومات واستعمالها، وأيضاً بعض تشكيلات العلم الكمى الجيد والمفيد، أو المزيف والضار، وكذلك كثير من إجازات التكنولوجيا (وهذا هام بالنسبة حالة عصام: أنظر بعد)

(20) الفطرة هي أيضاً بكل مستوياتها وتشكيلاتها (عما فيها القشرة غير المنفصلة) قادرة على "اعتمال المعلومات" Information processing (وهذا من أهم ما يميزها عما أسماه فرويد "الهو" الذى هو من أهم مكونات اللاشعور) ولكن ذلك يتم بطريقة أشمل، وإن كانت أقل تحديداً وأبعد عن الاختيار المباشر، وإن كنا نتعامل مع أغلب نتائجها تعاملًا عملياً جيداً

وبعد؟

ما علاقة كل ذلك بأحوال "حالة" عصام؟ (حالة فصام؟؟)

تعالوا نقرأ بقية الفرض - بأقل قدر من التعديل- وهو الفرض الذى عرضناه في الحلقة الأولى، حين تورطنا في استعمال كلمتي "الفطرة" و "القشرة" فلزم هذا الاستطراد!!

- القشرة (عند عصام) تنجح وتتم صفقاتها مع الوالد
- والفطرة "تعرف" وتدرك، وتتعامل مع المعلومات باستيعاب سليم
- تتصامد الفطرة مع القشرة في مرحلة باكرة (الابتدائية)

· يظهر الصداع في المرحلة الابتدائية، ثم يختفى ربما بالبعد بينهما (بين القشرة والفطرة) مع استمرار نشاط كل منهما.

· تستمر القشرة في النجاح الظاهر، والصفقات الداعمة الخبيثة (بين الابن والأب: التمييز والتجسس) كما تستمر الفطرة في النشاط والتماسك والمعرفة السليمة والادراك الداخلى.

· تنجح الفطرة حتى في برمجة المعلومات والإسهام في أداء الامتحانات، فيفسرها الابن حامداً فضل الله، لكن يبدو أن الداخل تجاور هذا المستوى سراء، وفي نفس الوقت أجل إعلانه.

· حادث دال خطر يحدث بالصدفة يهز هذه التركيبة برمتها، فتختل صورة الأب ليظهر على حقيقته بلا رجعه، فتفسد الصفقة،

فيحدث التباعد بين الابن والأب (الزعل: سنة) دون ظهور الأعراض بعد،

· يجتنب الابن أباه، لكن الكسرة قد حدثت في الداخل، فطالت الفطرة التي انفصلت، وارتدت، وانطلقت لحسابها البدائي محترقة القشرة منفصلة عنها لتصبح بدائية عشوائية متفسخة..

· الفطرة وحدها لا يمكن أن تواصل إنجازاً واقعياً ظاهراً إلا إذا تكاملت مع أجهزة الأداء السلوكي.

· المرض يعلن أن القوة الفطرية التي أصبحت بدائية قد انطلقت بين شقوق الكسرة التي جفت فكسرت فور الحادث (الصفح) وإن لم ينطلق فور الكسر.

· تتعملق قوة الدفع من الداخل ولا تتوقف عند حد استعادة تلقائية الفطرة وأحقيتها، بل تتفاقم حتى تنقلب الفطرة إلى تسليم بدائي قدرى أعمى،
تفتقد الذات أبعادها تماماً،

· يتضاعف التمداد في الانفصال وتجلي سلبية مطلقة لقوى لم تعد هي القوى الضامة المساعدة، ولكنها أصبحت قوى شكلية هابطة من المجهول وإن ظلت في نفس الوقت تتعامل بنفس الألفاظ، اللغة الدينية التي تسطحت فلم يبق منها إلا نداءاتها.

· تشوهت الفطرة على أنقاض القشرة وظهر الفصام.

(حتى لو كانت المسألة قد صارت أصعب فأصعب فلا سبيل إلا المحاولة والمثابرة،

نلتقى غدا لنواصل تطبيق الفرض على أحوال عصام من خلال هذا الاستطراد التنظيري)

(هل عرفتم لماذا فضلنا إلغاء الجدول إياه بتخصيص كل يوم لموضوع بذاته؟

حتى نأخذ راحتنا هكذا ونكمل ما لا بد أن يكتمل)

الفاصل الزمني بين حادث الصفع وظهور الأعراض الذهانية الخطيرة (الفصام) كان أكثر من سنة،

لكن عصام ذكر هذه الأحداث وراء بعضها وكأنها حدثت متلاحقة تماماً الواحد وراء الآخر،

وقد بيّنا معنى ذلك في الحلقة الأولى أساساً لكنه يحتاج إلى تذكرة للتأكيد على دلالاته. هذا الربط ما بين "أنا اعتبرته وحي"

وبين "أنا ما فهمتشي بابا ضربني ليه"

ثم بين ظهور الأعراض الجسيمة، حين انقلب الوحي الذي أنجحه إلى وحي يقول له

"قلّد صوت الديك، فيقلده .. ثم يستنتج أن

"ده معناه حان وقت الانتصار"

كل هذا هو بمثابة إعلان على ما تم بالمرض من إعادة تشكيل الذوات في هذا التركيب المرضى الذي وإن بدا عشوائياً إلا أننا سنجتهد في قراءته كالتالي:

عودة إلى الفرض الذي جاء في الحلقة الأولى بألفاظ أخرى:

(1) إن فطرة عصام (حركيّة كليّته دون استثناء القشرة : انظر الحلقة الثانية) كانت يقظةً ومتماسكة ونشطة حتى لحظة الصفع (وكانت تنمو، وتفوّت لوالده، بل وتستعمله - تستعمل الوالد- أحياناً)

(2) إن قشرة عصام (ظاهر سلوكه وإنجازته مع ربط متواضع بالفطرة) كانت جافة ومطبعة ومغتربة حتى لحظة الصفع (وكانت تنجح، وتستمر عصام بما يحقق من إنجازات) وفي نفس الوقت تُرضى والده

(3) كانت ثمة علاقة تصألح بين القشرة والفطرة تكمل حياته، وتنجحه، فتستمر مسيرته (مرة أخرى: مع التذكرة بأن الفطرة لا تكون كذلك إلا بهذه الوصلة مع القشرة: (الحلقة الثانية).

(4) إن الذي أُنجحه متفوقاً - على عكس توقعه ورفضه دخول الامتحان - هو هذه العلاقة التصالحية بين القشرة والفطرة، مع غلبة دور الفطرة (توفيق الله)

(5) عزي عصام نجّاه متفوقاً للفطرة دون القشرة (تقريباً) ، وأسماه وحيًا (من هنا بدأ تعظيم الفطرة منفصلة عن القشرة، بل وناكرة دور القشرة " لأنّ ده مين يقول كلام في نافوخك غير ربنا" (الفطرة النامية هي الأقرب لربنا)

(6) حتى حادث الصفع لم يحدث ما يعلن أي درجة من التباعد بين القشرة والفطرة، اللهم إلا إذا أخذنا حدس الوالد في تفسيره لحكاية الصداق في الابتدائي.

(7) حدث حادث الصفع (الإهانة أمام غريب + عدم رؤية موقف

عصام المدافع عن أبيه (الذى هو هو من صفعه) --> السحق --> انهيار صورة الوالد --> انهيار الدعم الخاص انهيار حدود الذات Loss of Ego Boundaries (وتأجيل إعلانها) حدث كل ذلك والقشرة منفصلة، وكانت قد جفت لبُعدها عن الفطرة الذى لم يكن قد أُعلن إلا لاحقاً: بالمفارقة بين عزوفه عن دخول الامتحان (القشرة) ثم توفيقه في أدائه هذا التوفيق غير المتوقع الذى عزاه إلى الوحي (الفطرة) دون اجتهاده الشخصى (القشرة).

8) تشققت أو رقت القشرة لكنها ظلت متماسكة على السطح لمدة عام، محتجة بما يشبه الخصام مع الوالد، ثم تزايدت العزلة، وتراجع التفوق، ثم حدثت الإعاقفة في الدراسة كلها، إذ لم يعد شيء يغذى تماسكها، لا تصفيق الوالد، ولا اقترابها من الفطرة، ولا التفوق الدراسى في ذاته (لم يعد عصام "الديك الفصيح" في الدراسة)

9) انهارت القشرة بمحادث الصفح لكنها لم تتمزق تماماً وفوراً،

وانسحبت الفطرة إلى ظلام غائر حتى تحولت فيه إلى بدائية محتجة، متفسخة، معلنة المرض العقلى الخطير

أصل المسألة في خلفية الحالة

برغم حرصنا على عدم الربط المباشر بين ما يبدو سبباً وما يظهر على أنه نتيجة إلا أننا في هذه الحالة، ومع عدم وجود تاريخ للمرض النفسى في الأسرة، ومع احترام حدس الوالد برغم خطئه وغروره وشكوكه واغترابه، نضع خلفيات للخلل الذى حدث في تركيبه عصام كما يلي:

(1) يقول الوالد عن "فطام" عصام

"..أول إنسان اتظلم في الجمهورية، ظل 21 يوم بدون أكل وشرب، يعنى حاجات بسيطة خالص، بسكوتة بتاع، لدرجة إنى قلت ده حايوت" لو طلت أبوس جزمته وياكل كنت عملتها،

وقد فوجئنا أن الوالد يربط هذه الـ 21 يوماً -بعد الفطام- بتوقف عصام عن الاستذكار!! ثم يلحق الوالد -بنفس الحدس-

لما بطل يذاكر في الثانوية العامة ربطت ده بده (ربط جوعه بعد الفطام بعدم استذكاره).

ولغرابية هذا الربط سأله الزميل كاتب المشاهدة: ربطت فطام عصام بمرضه النفسى؟ فيجيب الوالد:

"أكيد ده أحد عوامل عياه، ولكن هل الطب بيقول كده، ولا بيتعد عن رأيي؟"

(2) ربط الوالد أيضاً، بنفس الحدس، بين "صداع الابتدائية" الذى أصاب عصام ثم اختفى وبين مرضه لاحقاً (كما جاء في الحلقة الأولى)

" العيا في أساسه خالص إنه حصل واشتكى من دماغه ..الكلام ده كان في الابتدائي، .. رحنا لكتورعيون قال ما فيش حاجة، وراح الصداق، ظل الموضوع تمام التمام لحد الثانوية العامة، (بعد الحادث)، وماكانشى راضى يجش الامتحان.. لكن أنا دخلته إجبار، ونجح وجاب الدرجات النهائية في الرياضة" وقتها أنا اطمأنيت وحسيت إن موضوع ابتدائي (الصداق!!) ده ما أثرشى عليه !!

هذا والد له وضع خاص، استطاع أن يربط بين صداق ابنه في الابتدائي، وبين درجاته النهائية في الرياضة في الثانوية العامة؟

ولكن أى طبيب - أو معالج أو عالم - يمكن أن يصدق هذا الربط العجيب؟

نحن صدقناه -تقريبا- وكان من أساسيات ما بنينا عليه فرضنا هذا الآن.

هذا الوالد هو الذى استطاع أن يربط بين جوع ابنه 21 يوما بعد الفطام في سن سنة، وبين ما أصابه بعد عشرين سنة؟

يبدو أن هذا الأب له رؤية خاصة، وحُدس متميز لا يمكن إغفالهما، فهو برغم تحفظه وتقليديته، واستعماله عصام ثم أخته للتجسس على بقية الإخوة إلا أنه يبدو أن عنده صفات ليست مألوفة عند الأب الجبار المؤلف المتمثل في "سى السيد" مثلا، كما أنه هو الذى صفع عصاما بلا داع أمام غريب فانهار لاحقا!!

هنا يجدر بنا أن نثبت وصف الأب لنفسه

"أحب الأخلاق العالية، وألتزم جدا بالشريعة الإسلامية، أصوم وأصلى، وأكره الموبقات، بس في طبعى عصبى شوية ، أقدس عيالى بعد الله ... "

(قارن ذلك بوصف الابن له، وأيضا وصف الأم (لزوجها) الخلتين السابقتين)

يبدو أن جوع هذا الأب العاطفى لم يمتلئ أبدا، وأنه كان يستعمل أولاده، وخاصة عصام، لإشباع هذا الجوع بشكل ما، فلم يتواجدوا أبدا بذواتهم لذواتهم.

عودة إلى معنى الوحي عند عصام

(1) عصام استعمل كلمة "الوحي" ليفسر بها توفيقه في حصوله على الدرجات النهائية في الثانوية،

(2) ثم تهادى في استقباله لهذا الوحي (المفيد في البداية) بعد أن تعمق وتخطى الحدود فأصبح "قوة دامغة" إذ راح يأمر بما ذكرنا ..قلد صوت الديك... الخ.

(3) ثم عاد يستعمل كلمة الوحي الناحية الأخرى بعد ظهور المرض، ثم الإفاقة المؤقتة منه حين يقول:

"لما جاني الوحي في سنة رابعة (جامعة) إني ما اخشش الامتحان، قلت لابويا، قال لي انشالله تأجل ثلاث آلاف سنة، ولا يهكم"

لاحظ مساحة السماح عند الأب لو صدق!

هل هو نفس الوحي؟

في الاستعمال الأول (لكلمة الوحي) : افترضنا أن الفطرة (مثل الجسد والعواطف، والوعي على مستوياته المختلفة) تساهم في التحصيل واعتماد المعلومات، حتى لو أنكرتها القشرة، وبالتالي هي التي أدت الامتحان من خلال القشرة وحصلت على الدرجات النهائية.

في الاستعمال الثاني: انفصلت الفطرة، وتعملقت البدائية، وصدرت الأوامر الذهانية (الجنون) لما تبقى من القشرة فأطاعت الأخيرة

في الاستعمال الثالث الأخير (الأمر بعدم دخول الامتحان) يبدو أن الفطرة بعد انفصالها النسبي عن القشرة، أصبحت ترفض أن تقدم خدماتها للقشرة بعد أن تشوهت وتشقت واهتزت إثر الحادث (الصفع).

النكوص إلى البدائية

حين انهارت القشرة، بعد حادث الصفع، رقت وتشقت دون أن تفقد تماسكها، لكنها لم تتفتت إلا بعد ما يقرب من سنة، وفي نفس الوقت لم تحل الفطرة محلها بل تمادت في الانفصال عن القشرة المهتزة على وشك التمزق، لتصبح أقرب إلى البدائية كبديل، وكاحتجاج معاً، وهكذا، ظهرت دلالات تنشيط المخ البدائي

فسرت إحدى الزميلات تبول عصام بجوار السيرير باعتباره إعلاناً لعزلته، وتحديداً جزيرته (منطقة نفوذه)، حتى لا يتخطاها غريب، كما تفعل بعض الحيوانات وهي تحدد منطقتها بمثل ذلك، ليصبح قوة طاردة بما ينبعث منه من روائح كريهة.

علامات أخرى على مسار المرض

كان عصام يتحسن لفترات تسمح باستمرار الدراسة، والنجاح المتقطع، وفي نفس الوقت كان المرض يتماهى:

"في رابعة كلية بدأت أحس ان تصرفات أبويا وأمي اتغيرت، يقولوا عصام مش عصام، العلاقة ما بقتشى زى الأول، عصام كان بالنسبة لهم حاجة كبيرة، وهما كانوا بالنسبة لي حاجة كبيرة، حسيت إنهم مش أبويا وأمي، ... فكرت أسيبهم، لكن ما اقدرتش على الأكل والشرب والنوم"

هذا الإعلان عن تغير العلاقة مع الوالدين حتى الانكار (وهو أمر متواتر في هذه الأمراض خاصة في سن المراهقة، وحول ذلك)، هو يدل -عادة- على اكتشاف المريض مدى

" الإنسان أول حاجة بيحى على إيديه ورجليه، ولو حيوطى يجيب لعبة من على الأرض حا يتكفى على وشه زى السجود، وبعدين بيقف!! "

وبسؤاله عن موضوع التبول مجوار السرير قال :

الواحد بيتوضأ بإيه، بالمية، إذن الماء أظهر شيء، والبول ده ميه، إذن ماينفعشى ترمى ميتك فى الحمام، عشان كده كنت باتبول جنب السرير.

العلاج والتحسن المتقطع

ومع خطورة كل هذه الأعراض، إلا أن عصام استطاع، بالعلاج المتقطع أن يواصل دراسته، فبرغم رقة القشرة، ونفاذيتها لنشاط البدائية (التي كانت فطرة) ولسلوكيات النكوص، إلا أنها -كما قلنا- تشقت فقط ولم تتحلل تماما وتتبعده، وكان ما تبقى منها قادراً على الاستمرار والتحصيل بشكل يدل على كفاءة وقدرة البرجة والتدريب السابقين على التحصيل، يقول عصام عن أدائه فى الجامعة (بعد الحادث)

كنت باروح فارد عضلاتى، مافيش أصحاب ماثقى فى حد، لكن الكتاب أفهمه من نظرة واحدة بإذن الله،

وبرغم كل هذا المرض وأضل المريض دراسته وحصل على الليسانس وسنه 23 سنة فقط، (بعد تأخر سنتين لم يدخل فيهما الامتحان).

الخلاصة والمناقشة

لست متأكداً إن كانت الحالة، بعد أن شرحنا "أحوالها" هكذا، قد أصبحت أقرب إلى الفهم فالعلاج، أم أنها أصبحت أكثر تعقيداً وإلغازاً؟

تفسيرات بديلة

ثمة حلول وتفسيرات جاهزة بدلاً من كل ماقدمنا إليكم بعضها

(1) هذا الشاب مصاب بفصام من النوع التفسخى Disorganized Schizophrenia، وأعراضه تدل على أن التفسخ أصاب التفكير والكلام، ثم إن عنده أعراض ذهانية صريحة من "هلاوس وضلالات" ولا بد له - حتى لو لم نعرف السبب - من جرعات هائلة من المهدئات الجسمية أو ما تيسر من صدمات كهربائية إن لم يتحسن، وكل ما عدا ذلك باطل لا لزوم له، لأنه لا يمكن اثباته.

(2) هذه حالة فصام صريح نتيجة خلل فى كيمياء المخ، فى الموصلات النيورونية، وربما داخل الخلايا، نعم، لقد حدث نقص فى مادة "كذا" أو زيادة فى مادة "كيت"، ويمكن إصلاح ما حدث بتعويض النقص، أو معالجة الزيادة بما يقللها بعقاقير قادرة على ذلك.

(3) هذا شاب ملبوس، ترك الصلاة وعق الوالدين، فلبسه جان خبيث، يأمره بالأذان دون أن يصلى ويشوه عقيدته، وبجرعة من الرقى والقراءة وطرده الجان يمكن أن يعود إلى صوابه.

النقد المحتمل للفرض المطروح

إن من يقرأ هذا الفرض الذى أوردناه، وهو يعرف تلك التفسيرات الجاهزة التى ذكرناها حالاً، لابد أن يتهمنا أننا نكبّر الصغرة، ونتعسف في التفسير، وأن كل هذا الجهد لا لزوم له في النهاية، وخاصة أنه لا يوجد دليل علمي صحته، فهو إضاعة للوقت بلا طائل.

وبمنتهى الصراحة أنا ليس عندي رد مقنع في مواجهة مثل هذا النقد الوجيه، ومع ذلك سوف أرسم خطة العلاج كما تصورناها، وكما أمّلنا أن نمارسها، في ظل الفرض الذى وضعناه:

أولاً: نحن لا ننكر أن ما أسميناه **الفطرة**، حين انفصلت عن **القشرة** قد انقلبت إلى **البدائية**، فهى قد أعلنت -بذلك- نشاطاً بيولوجياً محمداً صادراً عن المخ البدائي مستقلاً بلا رادع، مع العجز عن احتوائه من مستوى مخي أنضح، وبالتالي **وجب إعطاء العقاقير التى تعمل على هذا المخ البدائي انتقائياً** -المهدئات الجسيمة- أى على هذا المخ الأقدم، على ألا تشله هذه العقاقير تماماً ودائماً، ولكن لتحذ من نشاطه مستقلاً (Major Tranquilizers (Neuroleptics) بشكل مؤقت.

ثانياً: إن احترام معنى أعراض عصام وإعلانها لافتقاده التواصل في الأسرة وخارجها، وغير ذلك مما ذكرنا، لابد أن يكون حافزاً إلى أن يشمل العلاج توفير نوع من التواصل أعمق وأصدق، تواصل له معنى ومصداقية وهدف: بدايةً: عن طريق المعالج/ أو المجتمع العلاجي، ثم نقلاً إلى الأسرة بشكل تدريجي، حتى يشاركوها في **"استرداد" عصام متكامل "إليه"**، حين يتبين عصام (كما نتبين نحن) من خلال كل ذلك أننا لسنا بعد **"يوم يفر المرء من أبيه وأمه وأخيه"**.

ثالثاً: إن احترام حدس الوالد وحسن نيته (برغم عيوبه وخطئه الجسيم) يوجهنا إلى محاولة تصحيح بعض مواقفه، التى يبدو أنها اقتصرت في الماضي على تغذية القشرة دون الفطرة، بالإضافة إلى امتلاكه للأولاد بزعم التقديس (بعد الله!)

إن تغذية احتياجات الوالد من خلال العلاج أو غيره، من مصدر مناسب، مجردة مناسبة، يمكن أن يغنيه عن استعمال ابنه هكذا حتى التفريغ فالكسر.

رابعاً: إن الحفاظ على ما تبقى من كفاءة القشرة عند عصام، مع التذكرة بأن تلك القشرة هى التى نجتحت أن تواصل الدراسة حتى الحصول على الليسانس، يجعلنا نحافظ على مكاسبها، ونسارع بأن يعمل عصام - وقد تخرج- عملاً يومياً، نأمل أن يوفق فيه كما وُفق في الدراسة .

خامساً: إن احترام الفطرة، برغم مآلها المؤقت المنهار إلى البدائية ، قد يسمح لنا بترجمة ما ذهب إليه من تنويعات في استعمال لفظ **"وحي"** ترجمته إلى لغة التكامل البشرى. الذى يتجلى في لغة **الإيمان البسيط العميق** معاً، وليس في صورة

القهر التديني السطحي، وكل ذلك قد يكون قادراً على أن يجمع عصام إلى نفسه بمساعدة كل ما سبق من عوامل علاجية مجتمعه، الأمر الذي يجعل هذا النوع من الإيمان من أروع تجليات الفطرة السليمة باعتباره القوة الضامة لمستوياتنا إلى بعضها، ولبعضنا إلى البعض الآخر، بأقل قدر من القهر السلطوى السطحي.

تذكرة أخيرة

يسير كل ذلك جنباً إلى جنب مع تعاطي العقاقير بطريقتة مذبذبة انتقائياً، بحيث لا تشل حركة المخ القديم نهائياً وطويلاً كما قلنا، وإنما تسمح بإطلاق نشاطه تدريجياً ليتكامل مع سائر المستويات، متصالحاً، ثم متجادلاً، مع القشرة طول الوقت عوداً إلى اطلاق مسيرة النمو في اتجاهها الصحيح، ثم تسحب العقاقير بقدر ما يتجمع عصام على نفسه، وتنتقل طاقته في الناس إلى الناس، إليه.

اعتذرا وإصرار

كل هذا ليس خيالا طوبائيا

ذلك أن أى قدر منه، في الاتجاه السليم، هو قادر على تحقيق بعض ما نرجوا لأنفسنا

إن لم يكن لعصام.

والله أعلم

نبهت أن اللغة الإنجليزية يدخلها كل سنة حوالى 1500 كلمة جديدة كل عام global language monitor، في حين أن إدخال (تحت) كلمة جديدة في اللغة العربية لا يحدث إلا بعد معارك مهولة، يعقبها رفض عام منظم.

من هنا اضطررت أن أعود إلى استعمال الكلمات الشائعة مع الالتزام بتعريف إجرائي واضح في كل حال.

إن أى بحث عن الفصام -مثلاً- لا يعنى شيئاً إطلاقاً ما لم يجد الباحث ماذا يريد بكلمة الفصام في بحثه هذا بوجه خاص، حتى لو كان قد أشار إلى "دليل" علمي، أو قومي، أو وطني، يجد معالم مفهوم هذا التشخيص بحكات واضحة، إلا أن تحديد اسم المرض لا يكفي في كثير من الأحيان، إذ لابد من الالتزام بعدد من المواصفات الخاصة للعيننة قيد البحث، مع تحديد موقف الباحث وهدفه، الأمر الذى يعطى للبحث تميزه، وقد يسمح بالمقارنة بأبحاث أخرى، بعد مراجعة التعريف الخاص في كلِّ

فإذا جننا لكلمة مثل "الحب" كان الأمر أصعب وأكثر التباساً

وحتى لفظ الجلالة ، الله سبحانه وتعالى، لو اقتصرنا على تعريف المعاجم أو تفسير السلطات المنغلقة له، خرمنا أنفسنا وسعيينا الإيماني وجوديا من كل عطاء المبدعين، والمتصوفة والفلاسفة ، ولتوقف الاجتهاد الممكن، ولأجهضت الاشراقات النورانية الهادية.

ما العمل؟

هل يتجنب المتصوفة والمبدعون الكادحون إلى وجهه تعالى استعمال لفظ الجلالة مادام المحتكرون قد استولوا عليه لصالح سلطاتهم، أو يواصل المبدعون، والكادحون إليه كدحا امتلاك ناصية اللغة رافضين أى احتكار حتى ينبض لفظ الجلالة من جديد بموضعية معناه وحركية تواجهه مغبِراً بين الوعى الخاص والوعى الكونى سعياً إلى وجهه سبحانه وتعالى؟

فإذا انتقلنا إلى موضوع الفطرة، كما ورد في مقال 3-11-2007 ، أعترف أننى لم أجد لفظ الفطرة بديلاً، بل إننى لم أجد له ترجمة بالانجليزية تحتوى ما أريد، حتى أننى حين أكتب بالانجليزية أدخله إلى الانجليزية (ضمن الخمسة عشر ألف كلمة، مطمئناً إلى ترحيب أهلها، أدخله هكذا Fitra كما سبق أن أدخلت لفظ Wijdan حيث لا يوجد أى مقابل للكمة العربية الرائعة "وجدان" فرحت أكتبها هكذا بالانجليزية Wijdan: لا Emotion ولا Affect ولا غيرهما)

ماذا كنت أفعل وأنا أتحدث عن الفطرة أكثر من استبعاد ستة احتمالات قديمة، وابتداع اثني عشر محكا جديداً؟ لابد أن أعترف هنا أن كل ماوصلنى مُقتطفا عما شاع - عن الفطرة - خاصة فيما يتعلق بالتفسير الفقهي الرسمى - هو بالضبط ضد المفهوم الذى أستعمله هنا، والذى مازلت أصر على استعماله، لأن الله سبحانه سوف يحاسبني على تراجعى إن أنا

فعلت، وعليهم هم أن يتراجعوا إذ شاؤوا،
هذا وأستطيع أن أقسم ما وصلني من تنبيهات واعتراضات إلى
قسمين:

القسم الأول : قَدِمَ مفهومه عن الفطرة بمعنى **البدائية الفجة**، وهو ما نفيتهُ تماماً، وحقَّقَ لمن خدعه الترادف بين الفطرة والبدائية أن ينبه أن شعوب الفطرة لا دين لها.

القسم الثاني : هو الذي عرّف الفطرة بإجراءات نظافة وتشايب وتحفيف، لامتت للفطرة التي أعنيها بصلة، من أول اختان حتى تهذيب الشارب.. ضد ما أريد تماماً، ومع احترامى لكل مافي ذلك من أصول فقهيه يتحمل قائلها مسئوليتها، وله أجرهما، إلا أن هذا استعمال آخر، في مقام آخر، مهما كانت له مبرراته،

أما ما وصلني من معنى الحديث الشريف أن الإنسان يولد على الفطرة.. (الإسلام) أو أن الاسلام دين الفطرة.. الخ، فأنا لا أقرأ هذه الأحاديث -بعد التوقف ملياً- إلا من خلال الآية الكريمة "قالت الأعراب أمناء، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا..." (الآية) فإسلام هؤلاء الأعراب - بنص القرآن- ليس هو الفطرة التي يعنيها الحديث الشريف لأنهم أسلموا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم...!! فأين الفطرة؟

مراجعة وتوضيح

أعود للترامى وتمسكى بموقفى برغم الصعوبة التي عاينتها من البداية وأنا أحاول أن أربط الفطرة بالحركة ضد السكون، وبالتخلف ضد الجمود، وبالإبداع ضد النكوص، وبالجدل ضد التسوية، فأعيد الفقرات التي توضح ذلك:

أولاً : قلت في محكات الاستبعاد

"الفطرة ليست شيئاً محدد أو مفهومها ساكناً"
ثانياً: ثم قلت في محكات التحديد

"الفطرة هي حركة في اتجاهها!"

(وقد أضفتُ فزعاً: يا خير ما معنى ذلك؟)

في اتجاه ماذا، في اتجاه الفطرة ذاتها، التي هي حركة أصلاً، ثم يبدو أن فزعى هذا من الغموض لم يثنني عن إضافة:
"إنك بمجرد أن تفكر في الفطرة من الوضع ساكناً. فسوف تجد نفسك بعيداً عنها"

ثالثاً: قلت أيضاً: "إن الحلم هو الواقع الأكثر تمثيلاً للفطرة باعتبار فرط نشاط حركيته التشكيلية ورحابة مساحته حركته"

هذه الفقرات الثلاثة جعلتني أقيس كل ما وصلني من تعريفات -أغلبها فقهية - بمقياس ما قلت، فانتهيت إلى أنها تعريفات ساكنة لا تمت إلى مفهوم الحركية بصلة.

وبالتالى هي أبعد ما تكون عن الفطرة كما عرّفتها تحديداً.

ما الحل؟

هل الحل -كما قلت في بداية المقال- أن أجنب استعمال اللفظ وأتركه لهم يصنّمونه، ويجمّدونه، ويشوّهونه مجرد أنهم أسبق في استعماله، ألا يجزنا هذا، لو قبلته ورضيت به، إلى التنازل عن استعمال لفظ الجلالة (استغفر الله العظيم) إلا بمثل ما يستعملونه له، الأمر الذي حرم - أو كاد أن يحرم- عامة الناس من معاشة نص الإيمان سعيًا إليه سبحانه في دورات الإيقاع الحيوي، ومع تسييح الطبيعة، وفي حركية الوعي البشرى "معاً"، ولإعادة خلق ذواتنا في رحابه ذهاباً وجيئة، وعبادات، طول الوقت، طول الوقت؟

من هنا وجدت لزاماً عليّ أن أعود هادئاً لأوضح بعض موقفي بالتفصيل، وسوف أتناول -كلما أتحت لي الفرصة جانباً من جوانب المسألة، بدءاً اليوم بموضوع:

1- الفطرة والجسد

الفطرة وإعادة إحياء الجسد

نشر أصل هذه الأطروحة بعنوان: "هل تعرف أن لك جسداً ولا مؤاخذة" في صحيفة يومية قومية مجهولة كنت أكتب فيها أسبوعياً وتصورت أن أحداً يقرأ ما أكتب، لكن يبدو أن هذه أول مرة -بعد تحديث الأطروحة وإجازها- أطمئن أن زائر الموقع سوف يقرأها بأمانة تتناسب مع ما كتبت به.

برغم أنك تقرأ هذا الكلام بعينيك، وتقلب الصفحة بيديك، كما تغلق التليفزيون بأصابعك على الريموت أو مباشرة، ثم تذهب إلى الحمام سائراً على قدميك، لتعود عليهما، ثم تستلقى وتمطى قبل أن تنام، أو تلقى بجسدك على السرير فيقلب منك أو لا يتقلب، حتى تستغرق في النوم، برغم كل ذلك فأنت - مثلي غالباً- ليس عندك خير أن لك جسداً، بما هو كما هو، مع أنك أنت شخصياً - مثلي أيضاً- لست إلا جسداً. تصور؟!

لا يمكن أن تتعرف على جسدك بحق من خلال رأى عقلك فيه، أو تصوير عقلك له. مع أن الجسد له أولوية في الوجود، وكذلك عبر تاريخ التطور.

كانت الكائنات الأولية تفكر بجسدها، وتحفظ بقاءها بجسدها، وتحافظ على نوعها بجسدها، وتمارس مشاعرها بجسدها، كل ذلك قبل أن يتخلق لها دماغ (مخ) .

جسدك ليس في حاجة إلى توصية من عقلك المحترم حتى تعترف به. كيف السبيل لتتعرف معاً على ما نسيناه حتى ألغيناه؟

بالنسبة لما نحاوله معاً هنا والآن، للأسف ليس هناك سبيل إليك، إني، ونحن نتكلم عن جسدي وجسدك، إلا من خلال عقلك الذي تقرأ به هذا الكلام. أليست القراءة هي وظيفة عقلية حتى لو كانت تمر من خلال عضو إحساس رائع، هو "العين" التي لم نعد نستعملها إلا مغبراً لما يتجاوز ما يصلها؟ ومع ذلك دعنا نحاول:

ماذا فعلنا بأجسادنا حتى تاريخه؟

ماذا طرأ على مفهوم الجسد عند الإنسان المعاصر؟
وبالتالى ماذا طرأ على ما هو جسد؟ عند أغلبنا؟.

لقد انتهى الأمر بنا

وبأجسادنا إلى اغتراب منذر. (برجاء عدم التعميم)،
وإليك بعض ذلك:

(1) تم إهمال الجسد، أو تهميشه، لحساب ما يسمى العقل، فنحن نعرف أجسادنا من خلال ما شاع عنها في كلامنا وأحكامنا، أكثر مما نعرفها من خلال ما يصلنا منها مباشرة، اللهم إلا في حالات المرض (أو توهم المرض الجسدى: المراق **Hypochondriasis**)، وبعض حالات الجنون، وأحيانا الإبداع حتى لا نظلم الجميع.

(2) تم احتقار الجسد، أو ازدراؤه، لحساب ما يسمى الروح. ومع أن الروح من أمر ربى، فالأفضل ألا نفنى فيها، فإنه ما أسهل على أى واحد لا يعرف جوهر دينه أن يضعها استقطابا على أقصى الناحية الأخرى من الجسد (الجسد هو ضد الروح!)، يحدث هذا في التدين المنغلق المنشق، كما يحدث حتى في بعض أنواع العلاجات تحت مسمى "الروحانية"، فيصل هذا الاستقطاب بين الروح والجسد، وكأنهما نقيضان، إلى الشخص العادى ليسود الحديث عن طهارة الروح، وعشق الروح الذى ليس له آخر، "لكن عشق الجسد فانى، عشق الجسد فانى!!" (كذا؟)

(3) يصل الأمر إلى أن نعامل الجسد كمجرد أداة، أو وسيلة لغيره، ومن ذلك:

• أن نقصر دوره على أن يكون وعاء ثم مطبخا لطحن الطعام وهضمه وأيضه، (تمثيله الغذائى) ليمدنا بالطاقة، وأحيانا

• نبني من خلال ذلك بعض وحدات من الخلايا البديلة نعوض بها ما تلف منها.

• كما قد نستعمل الجسد أداة للمتعة بما يحقق لنا ما تيسر من لذة أو يطفى ما أثير من شبق.

• كذلك قد يستخدم الجسد معرضا للممتلكات حين نضع عليه ما نملك من "إكسسوارات" لزوم "رموز الطبقة"، للإعلان على

• أننا نمتلك من المال ما يمكن الاستغناء عنه ووضعنا على رف الجسد للإعلان والتنويه.

• ثم إنه كثيرا ما يستعمل الجسد كلوحة تتلقى عبث الوشم المؤقت، أو الدائم، كلافئة تعلن عن هوية صاحبه أو رغباته أو احتياجاته أو حتى موقفه السياسى أو المذهبى أو الدينى.

• وأيضا: راح أهل السوق والشطارة يستغلون أجسادنا كمجال ومرتع لتسويق بضائعهم، سواء كان جسدنا

يحتاج هذه البضائع أم لا.

• وقد يبدأ استعمال الجسد لما ليس له منذ الطفولة، كأداة للتنافس المسعور، وذلك مثلما يحدث حين يعدّ الأهل بناتهم ليصبحن

• أبطالا في ألعاب القوى، فتظل الطفلة فالفتاة فالبطلة تقوم بتدريباتها سنين عددا لتكسر الرقم القياسي، أو تفوز على منافستها بواحد على ستة عشر من الثانية (أى والله!!)، والأكثر قسوة أننا نفرح بذلك ونصفق لها وهى طائرة فى الهواء، أو ساجدة فوق الحاجز!!!

(4) نلحق بالجسد إهانات باليتر (مثل الختان) أوالتزييف أوالحقن أوالتعديل (تحت زعم التجميل!) بقدر أكبر من أى تصور وللأسف

بعض الفقهاء يعتبرون بعض ذلك هو "الفطرة!!"

(5) مع زيادة الاهتمام بالصحة الجسمية والوقاية من الأمراض والتلوث والمخاطر ينقلب تعاملنا مع الجسد إلى اعتباره سلعة لها ظروف تأمين خاصة، حتى نكاد نوصى أن نمسكها من الناحية التى بها أسهم إلى أعلى، لأنها تحتوى محتويات قابلة للكسر، ونظل نتبارى فى إطالة عمرها الافتراضى، بغض النظر عما تعنيه أو تحتوية هذه السلعة، وبغض النظر عما ستقوم به فى السنوات التى طالت (متوسط العمر) بفضل حرصنا على سلامتها.

خامسا: فى العلم، والطب، والتطبيب، يتم اختزال الجسد - عادة - إلى وحداته الأولية، باعتباره خلايا ومشتبكات، ترسل رسائلها إلى أعضاء وعضلات، ليصدر عنها سلوك وحركات.....إلخ.

ما هو الجسد إذن؟

إذا كان هذا حال ما آل إليه الجسد، فأين الجسد من مفهوم الفطرة كما قدمناه؟ تبدو الإجابة التى حضرتنى للتو غريبة، لأنها جاءتى هكذا "الجسد الذى يمثل الفطرة هو الوعى المتعين فى اللحم الحى الذى أمكنه أن يكون ضد كل (نعم كل) الاغتراب السابق الذى أوردناه تحت: "ماذا فعلنا بأجسادنا حتى تاريجه؟"

الجسد هو كيان متكامل بكل وحداته، بما فى ذلك الدماغ/المخ، وفى نفس الوقت فإن له تجلياته التى لها استقلالها من حيث المبدأ، لكنها تصب فى حركية التكامل مع تجليات مكونات الوجود الأخرى.

ليس من حق العقل أن يصيغ الجسد رمزا مجردا. للجسد حضوره كوعى قائم بذاته.

نحن نحتاج إلى منهج حياة آخر يسمح لجسدنا بالحضور من جديدا وعيا فاعلا متكاملا يعرف وينبض ويتحرك، ويتلقى، ويعطى ويضيف.

نحن لا ندعوك بسذاجة عقلية أن تعترف أن لك جسداً،
أو أن تعي ذلك بقدر من الاحترام والاهتمام،

ثم إننا لا نقصد التركيز على الجسد، أو الانقلاب إليه،
ثم إن التركيز على الزعم بأن الجسد هو أحد مجالات "تجليات
الوعي" لا يعدو أن يكون شكلاً آخر من وضع الجسد في موضع
ثانوي.

نعم. إن استعادة دور الجسد لا تتم ونحن جلوس على
المكاتب نمارس تجريده بالألفاظ، ولا هي تتحقق بتدريبات الوعي
به،

ولا بدراسة وحداته كل على حدة.

فلا مفر من إعطائه حق الحضور ممارساً مشاركاً بأعلى
تجليات الحوار، والحركة، والإبداع.

الرياضة البدنية - برغم أهميتها- ليست هي المقصودة
بذلك، خذ مثلاً: رياضة "واحد اثنين"، "واحد اثنين"، هذه
رياضة ليس لها علاقة بالجسد الفطرة بالمعنى الذي نقدمه،

أو خذ الرياضة المسماة كمال الأجسام أو رفع الأثقال
كلاهما أبعد ما تكونان عن "الجسد الوعي"، بل إن أيا منهما
لا تمثل في النهاية إلا استمناء ضد "الجسد الوعي" المتعين
(أشرنا فيما سبق إلى اغتراب الصغيرات المتنافسات في ألعاب
القوى..)

الجسد يعزف لحن الوجود مع جسد آخر

إن الجسد يحضر متناغماً أكثر من خلال الحب فالجنس
وبالعكس، ومن خلال العمل الجسدي/اليدوي الفاعل، يتم هذا
وذاك في مساحة سماح يتحرر فيها الجسد من الاحتقان والاختناق.

ثم إنه بالتواصل الحسي والجنسي على مستوياته المختلفة،
تقوم الأجساد بإجراء حوار أعمق بعيداً عن وصاية عقلها
القابع أعلى الهامة، حوار يتجاوز اللذة وهو يشتملها، لا
هو يتوقف عندها، ولا هو يلغيها.

وأخيراً فإنه بالإيمان الجسدي الكلي، مروراً بالطبيعة إلى
الكون المفتوح النهاية، يمكن أن ينطلق الجسد الوعي الممتد
إلى ما بعده ليتأكد به.

وحتى اختفاء الجسد الفرد بالموت، لاينهي دور هذا الجسد،
فثم فرض خطر لي وعاشته يقول:

إن الجسد وهو يرحل، وقيل أن يرحل، يترك بصمته الحيوية
في أجساد آخرين، كما قد يتركها في أنغام الكون، الأمر الذي
قد يكون مدخلاً لتفسير كثير من الظواهر الفيزيائية، وأيضاً ما
يسمونه بالظواهر الميتافيزيقية، مع أنني أرفض هذه التسمية
التي لم يعد لنا بها حاجة بعد تقدم الفيزياء العملاق أصلاً،

العلم المعرفي والجسد

إسهامات العلم - في حدوده الحالية - لاستعادة دور الجسد، فطرةً ناميةً فاعلةً، والتعرف على حقيقة ما آل إليه ليست قليلة، خصوصاً الاجتهادات الأحدث لإسهامات العلم المعرفي، والعلم المعرفي العصبي، وبعض الهندسة الوراثية، وعلم النفس الثقافي، والطب النفسي التطوري، وكلها إسهامات رائعة لكنها متواضعة لاتكفي، حالياً، هي فقط تفتح الآفاق لفهم جديد يربط بين مفهوم الفطرة كحركية نابضة، وبين الجسد كوعى متعين، وإذا كان العلم مازال قاصراً عن الإلمام بهذه المسألة، فإن اللجوء إلى أشكال أخرى من الإبداع قد يسعفنا ولو مؤقتاً.

وهذا بعض ذلك:

أولاً: من أصداء محفوظ

النص: الفقرة 112: ذكاء الجسد

" فوق السطح وقفا يتناحيان، هو أطول قامة وهي أجهل وجها، أما أنا فألعب بالطوق مرة، ثم أراقبهما ولا أفهم. وبغيبان في حجرة السطح قليلاً ثم يرجعان فأعود إلى استراق النظر بمزيد من الخيرة. وجاء الإدراك متعثراً من خلال الأعوام الحامية".

القراءة:

هل لاحظت وظيفة النظر وهو يتبادل ويتكامل مع الحركة، وطفلنا محفوظ يتحسس الطريق إلى التعرف على الطبيعة البشرية بشكل مباشر؟

هل لاحظت التنقل ما بين اللعب بالطوق واستراق النظر إلى الخبيين حتى التقط طفلنا بتلقائية عفوية تلك الفروق المميزة لهما وفيما بينهما، دون أن يسجنه الفهم (ثم أراقبهما ولا أفهم)؟

ألا يلهمك ذلك أن تُراجع كيف يتعلم الواحد منا الجنس؟

هل نتعلمه بالدروس؟! أم بالشرح النظري؟، أم بالنمو التلقائي؟ أم بالتقليد؟ أم بالممارسة؟ أم بالكشف؟ أم بكل هذا وغيره مما لانعرف؟.

العنوان الذى عنون به محفوظ هذه الفقرة لا بد أن يدهشك ويعلمك كما أدهشتى ونبّهت، العنوان يقول: " ذكاء الجسد". تصور؟ وهل يحتاج الأمر إلى مزيد من تعليق؟ وهل هناك معنى للفطرة أوضح من ذلك؟

يكفى هذا لننتقل إلى فقرة أصداء أخرى عنوانها يبدو لأول وهلة أبعد ما يكون عن العنوان السابق "ذكاء الجسد". حين تقرأ عنوان فقرة رقم 116 في الأصداء بعنوان "سيدتى الحقيقية"، ماذا تتوقع قبل أن تقرأ متن الفقرة؟ ولأزيد الأمر عليك صعوبة وإلغاز، لتكتمل الفزورة، سوف أقول لك كيف

انتهت هذه الفقرة قبل روايتها، لقد انتهت وهي تقول: "نعم الرفيق الشغف والمنازل". ثم خذ عندك البداية أيضا لعلها تسعفك (بيتي وبينك أنا أصعبها عليك أكثر)، تقول البداية: "عرفت منازل الحقيقة في عصر الفطرة".

إذن فنحن عندنا حقيقة، لها منازل، يمكن التعرف عليها في عصر الفطرة، لنتهي أنه "نعم الرفيق الشغف والمنازل". تصور ما شئت، ويا حبذا لو توقفت عن إكمال ما تقرأ، ثم تكمل مع القراءة ما بين تلك البداية وهذه النهاية تحت ذلك العنوان "سيدتي الحقيقة": هكذا:

الفقرة 116 "سيدتي الحقيقة"

"عرفت منازل الحقيقة في عصر الفطرة. عندما تقرص المرأة أمام طشت الغسيل أقرفص قبالتها فتلعب يدي في الماء وتسترق عيناي النظر. عندما أهو فوق السطح في الليال البدرية أمد يدي في الفضاء لأقبض على وجه القمر. عندما نزور القبر في المواسم أركز عيني على جداره لأرى.

نعم الرفيق الشغف والمنازل."

هيا نقارن استعمال محفوظ لفظ الفطرة، مع استعمال بعض الفقهاء المتوقفين عند حروف المعاجم، محفوظ يستلهم ويبدع حتى نعرف معه "منازل الحقيقة في عصر الفطرة"، والفقهاء الأفاضل يفسرون ويفتون ولهم أجرهم، وكل منا يختار وهو مسئول عن اختياره.

هل كنت تتصور -قبل أن يصلك هذا الصدى- أن يبدأ التعرف على الحقيقة في عصر الفطرة، من قرصة طفل يسترق النظر إلى حقيقة الجسد والفخذان منفرجان حول طشت الغسيل،

ثم ينتقل إلى استراق الخيال وهو يمد يده يقبض على وجه القمر،

ثم ها هو بهم باقتحام جدار القبر أثناء زيارات المواسم وهو يكاد يخرقه بنظراته ليتعرف على حقيقة ما وراءه،

هل وأكبتني ومحفوظ يمضى بنا واحدة واحدة بأرجحنا لنعرف الحقيقة، ونحن نترجح بين:

بؤرة جسد امرأة،

وحضور وجه القمر،

ومحاولة استكشاف معنى آخر للموت،

لنتهي القصيدة بهذه الحركة النابضة:

"نعم الرفيق الشغف والمنازل"

تقدم لنا هذه الفقرة ذكاء آخر لا يقتصر على ذكاء الجسد، وإنما تتكامل به وسائل المعرفة بالانتقال النشط بين العارى الفج، والخيال الحى، على أرض واقع الوعى اليقظ،

المرتبط برفيق لم يظهر، ومنازل لم تتحدد. هل هذه المنازل هي متدرج الوعي النامي، أم متعدد الخبرات اللاحقة، أم أنها الفطرة النامية جدلاً وإيماناً؟!

ولكن كيف يكون الرفيق هو الشغف برقته وجماله، ولماذا عَطْفُهُ محفوظ على المنازل؟

المسألة لا تحتاج إلى الرجوع إلى المعاجم، وإنما تحتاج إلى إعادة قراءة الفقرة وتركيزك على الحركة، والرؤية، والإدراك، و"الجسد الوعي"، لتتأكد بوعي جسدي بدورك أنه: "نعم الرفيق الشغف والمنازل".

ثانياً: نص من خالدة سعيد

في نقد أنسى الحاج : "حركية الإبداع" دار العودة، بيروت 1979 ص 65

"... تراجع أنسى الحاج ، انسحب من العالم الخارجي المضيء اللامع الثابت المستقر، إلى عتمات الجسد حيث التشوش الفظيع فجأة لكل نظام، حيث النظام المؤسس للنيار. ضمن حدود الجلد أدرك وحدته، وأنه، حتى حلفه مع جسده باطل ومتداغ، وأن جسده مفكك وخائن لبعضه البعض الآخر.

في عالمه الداخلي ذاك، بدا شعوره المتضخم مجسده، ففي قصيدة "فقاعة الأصل" تبدو "شارلوت" ذات شخصية مستقلة لها سلوكها، واتجاه حياتها، تبدو عدواً للشاعر، حتى قد يلتبس الأمر على القارئ المتسرع ويحسبها امرأة. شارلوت، هذه الشخصية الغريبة، هي ما تنسله الإصبع في منتهيها قبل بداية الظفر". شارلوت هذه "خطت القافلة كشافة تتجسس". إذن فأجزاء جسده تستعد للسفر، للتحلي عنه، وما هي تنذره "إن العقد سينفطر، إننا متخلون عنك، إنك مبدد شر تبدد"، إذن جسده الذي حسب حليفه الوحيد سينفطر و"ينسل نسلة نسلة حتى يبدو لحمه العاري، ثم ينهار لحمه العاري ويسفر عن عظامه، ثم تلقى عظامه في الليل"، وما تلك النسلة إلا علامة".

القراءة

قبل أن أدعوك لقراءة هذا النقد معنا، أرجو أن تنظر إلى أحد أصابع يديك، وأن تركز على تلك المساحة التي ركز عليها شعر أنسى الحاج، أو هو شخصياً، وهو يتعرف عليها، المساحة التي بين نهاية الإصبع وبداية الظفر، هل ترى شيئاً؟ هل ترى نسلة صغيرة من لحم عار؟ الإجابة هي بالنفي على الأرجح (لقد رأيته أنا شخصياً الآن). أنس الحاج شاعر قصيدة النثر، حكايته مع الشعر واجنون والسرطان تحتاج إلى تفصيل آخر، لكن الذي يهمنا هنا في نقد خالدة سعيد هو ما التقطته من رؤية الجسد يتحلل، ثم وهو يحضر بتحلله في وعي الشاعر، ثم تتبدى استقلالته في ما أسمته الناقد "عتمات الجسد" حيث التشوش الفظيع فجأة لكل نظام. هذا التناهي في التركيز على تفسخ الجسد وتناثره، يكاد يقابل التناثر الفصامي الذي يفكك كل شيء عن كل شيء، والذي يصيب الفكر

بقدر ما يصيب الوعي، هو التفسخ الذى يقابل هنا تحلل الجسد هكذا في رؤية أنسى الحاج شعرا، وليس جنونا وانسحابا بعد. إن أنسى الحاج يعرف جنونه بوجه خاص هو يقرنه بالخرية. هو الذى يقول: إما الاختناق أو الجنون، بالجنون ينتصر المتمرد ويفسخ المجال لصوته كى يسمع"، الجنون هو الوصمة التى يحملها من اختار أن يكون حرا، أن يتحرر من عبودية المفاهيم المعممة والسلوك المألوف والضياع بين الأرقام...". وأيضا كما تقول الناقدة عنه: "في الجنون لا قوالب، لان نسب للجمهور، اللعنة حرية العذاب الداخلى.. في السقوط حرية الفوضى، حرية التوغل في الجسد" فتلاحظ أن التوغل في الجسد زاده تمزقا ولم يجمعه وعياً.

ما العلاقة بين هذا التفسخ الذى حضر في الوعي/الجسد بهذه الصورة الشعرية فالنقد، وبين اغترابنا نحن العاديون عن أجسادنا؟ إن ما يصفه أنسى الحاج وتلقطه خالد سعيد بهذه الصورة المرعبة، إنما يذكرنا كيف أننا نعيش في سجن صنعناه من أجسادنا المخدّمة المغتربة، فلا نحن نحررنا من سجنها، ولا هي تحررت فأغفنتنا من أوهامنا المعقلنة، فيزيد الضغط والاحتقان.

الجسد لا يمثل الفطرة إلا حين يدب فيه، وبه، حضور الإيقاع الخيوى من جديد، لتعود حركية الفطرة إلى جدليتها، ولا يصبح الجسد إلا أحد أدوات إيقاع نحن الفطرة المتكامل

ثالثاً: استلهام من نص ديني

إن النصوص الصوفية والنبوية والإلهية ليست نصوصا للنقد العادى، ولا حتى للتفسير مهما بلغ الاجتهاد، لكنها مصدر إلهام متجدد، لذلك وجب التنويه في كل مرة دون كلل.

جاء في معنى الحديث الشريف وصفا لصهيب، بعد أن أنكره الحاضرون، ووصفوه بأنه: "إذا حضر لم يُستشَرْ، وإن غاب لم يُسأل عنه"، إلخ، جاء معنى النص النبوى الشريف يرد لصهيب حقه بما معناه:

النص: "... صهيب مؤمن نسي، إذا ذكّر ذكر، خلط الإيمان بلحمه ودمه، ليس للنار فيه نصيب"

من يقرأ هذا الوصف الشريف قد ينتبه إلى آخره أكثر من أوله، وهو قد ينتبه أكثر وهو فرح كيف أن صهيب ليس للنار فيه نصيب، لكننى أنا انتبهت أكثر إلى أنه "نسى"، صهيب مؤمن نسي، وأنه "إذا ذكّر ذكر"، ثم إنه "خلط الإيمان بلحمه ودمه".

الذاكرة التي ندرسها تقليديا نتصورها بمثابة كتاب به معلومات مرصومة، أو مخزن له غلاف محكم، أو مكتبة وضعت على رفوفها الذكريات، هذه الذاكرة ليست هي الذاكرة الحقيقية الأشمل التي تُقَمِّلها ذاكرة الجسد،

ذاكرة الجسد كله -شاملا المخ- تكون فيها كل خلية بلا استثناء ممثلة لسائر الوجود،

هذه الذاكرة تصبح أكثر فاعلية حين لا تعود ذاكرة، إذ تصبح جزءاً لا يتجزأ من وعى مشتمل.
وهي بذلك ، تمثل الفطرة الأصلية .

صهيبُ هذا نَسِي بمعنى أنه تَمَثَّل ما أدركه حتى صار جزءاً منه، فهو لم ينس بمعنى الاخفاء بالتخزين المغلق، أو التآكل أو الكبت، ومن هنا نفهم -استلهاما- كيف أن صهيبا حين نسي ازداد معرفة، بمعنى أن هذا النسيان ليس محوا أصلا، إنه استيعاب تام للمعرفة المُدخلة بحيث تصبح غير قابلة للاستعادة كما هي، لكنها قادرة أن تتخلق منها الخبرة الموازية عند الطلب، هذا هو المعنى الذي استلهمته من أن صهيب "إذا دُكِّر ذُكِر".

هذا النوع من التذكر ليس مجرد إحضار معلومة من مخزن، لكنه إحياء فطرة كامنة تم تدعيم تشكيلها حتى تخلقت بالإيمان المتجدد،

من هنا لا يمكن أن يكون للنار فيها نصيب، فالنار لا تلتهم إلا النيازك الساقطة بعيدا عن هارمونية الكون والجسد.

(هذا ليس تفسيرا لنص ديني يعلمُ محدث، لكنه استلهام مسؤل)

الإيمان المعنى هنا الذى خلطه صهيب بلحمه ودمه وصلنى باعتبارِه ليس مسألة اعتقاد فكرى محدد، الأمر الذى قد يلزم لضمان جدية المسار، لكن الإيمان هنا يشير إلى الحركية الإيمانية الأعمق التى يؤكدُها هذا النص ليتم من خلالها "خلط الإيمان باللحم والدم" حتى يلتقى جمال الفطرة بجمال الكون فى رحاب الحق سبحانه وتعالى،

هذا هو ما يمثل لقاء الوعى الجسدى الفردى بالوعى الكونى الممتد، وهو الذى لا يسمح بالنيازك أن تتساقط، حتى لو حاول عقل صاحبها أن يفرض وصايته على كل ذلك.

فكيف بالله عليكم نستعمل نفس الكلمة "الفطرة" ونحن نتساءل "هل تملك شعوب الفطرة ديناً؟ ثم نجيب على هذا التساؤل بالنفى، وننفي بالتالى أن أى دين هو دين الفطرة؟

هذا خلط أوراق لانلوم فيه أحداً، لأن لكل واحد الحق أن يستعمل ماشاء لما شاء، ولكن أى لفظ لايعطى معناه إلا فى سياقه الخاص جداً.

تماما مثل وضع الألفاظ القديمة فى قصيدة شعر جديدة جميلة

الإبراهيمية 07-11-2007

68 - مقتطفات بلا موقف... عن الموت والوجود

أثناء بحثي عن مقال "هل تعرف أن لك جسدا" (ولا مؤاخذة) في تلك الصحيفة اليومية القومية (كان الله في عونهم)، وجدت موضوعين من أهم ما يمكن، يصلحان لفتح باب النقاش حولهما في هذه النشرة: الأول نشر بتاريخ 2005/11/25 بعنوان: **كيف ومتى يعرف الطفل ما هو الموت؟ ونحن أيضا؟** والثاني 2005/12/2 بعنوان: **من الموت "الجمود إلى الموت المولود"**، ودون أن أتمفحها، رجعت إلى ما شغلني في الأعوام الأخيرة، وأيضا إلى نقدي خرافيش نجيب محفوظ، كان هذا الذي شغلني قد دعاني إلى أن أوقف هذا التدفق التساؤلي، والفروض المتلاحقة، وأرجع إلى بعض أدبيات وتراث هذا الموضوع "الموت"، وفي مكتبتي وجدت هذا المرجع الموسوعي عن "الموت والوجود" **"دراسة لتصورات الفناء الإنساني في التراث الديني والفلسفي العالمي"**، تأليف: **جيمس ب. كارس**، ترجمة بدر الدير، إصدار المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، قلت بدلا من أن أحدث أحد هذين المقالين السالفي الذكر لأقدمهما في النشرة اليومية، أتصفح هذا الكتاب، ونبدأ بتقديم بعض فقراته قبل طرح فروضي المتدفقة، وليكن باقتطاف بعضها، ثم التعليق عليها تحت عنوان: **"مقتطف وموقف"**.

أخذت أتصفح الكتاب البالغ "610 صفحة"، من القطع الكبيرة، ووجدتني قد **خطت وهمشت أغلب صفحاته**، حاولت أن أتذكر: متى قرأته بهذا الاتقان؟ وماذا وصلني منه وأنا أقرأه وأصارع أفكاره هكذا؟ وماذا تبقى من كل ذلك؟ ثم إنني اكتشفت أنني - شخصا - قد اتخذت موقفا ما بعد كل فقرة خططتها أو عقبت عليها في الهامش، فاحترت أي من هذه الفقرات فالواقف أقدمها لقارئ هذه النشرة اليومية؟ وكيف؟

الأصعب من ذلك أنني شعرت بمسئولية مضاعفة وأنا أتساءل: أي مقتطف من هذه المقتطفات يصلح للنشر؟ وأي موقف مما كتبت يمكن أن أعيد صياغته لينزل في موقعه عند القارئ؟ وخطر بيالي بعض التعليقات التي ترد إلى الموقع من زواره الطيبين فأرد عليهم بدوري في بريد الجمعة، كما خيل إلي أن أغلبهم إن لم يكن جميعهم عندهم رد حاسم وقاطع في هذه المسألة بالذات، فلماذا النشر؟ ولماذا الخرج؟.

ثم إنى رجعت أسئال من جديد: لماذا تُرجم هذا الكتاب (ومثله)؟ ومن ذا الذى قرأه؟ وما الذى تحرك فى وعى من قرأه؟ إلى أين؟ ثم ماذا؟

ثم إذا أنا لم أجد إجابات تسمح لى بنشر ما هو "مقتطف وموقف"، مما قد بلغ الآلاف، فعزفت عن النشر فما فائدة أى شئ؟ إذا كان الخطر سيسبق القول، والخوف سوف يصاحب الفهم، والتزدد سوف يجول دون البوح إلى هذه الدرجة؟ ما فائدة أى شئ؟.

أخيرا طرأ على بالى خاطر غير مسبوق، وهو أن أنشر مقتطفات محدودة من المقدمة، ثم مقتطف واحد هو "بعض آخر فقرة فى الكتاب"، وألا أعلن عن موقفى الشخصى من أى منها، (ومن هنا العنوان: مقتطف بلا موقف).

ثم أطلب من القارى / الزائر: أن يتخذ من هذه المقتطفات المقدمة الموقف الذى يراه، ويرسله إلينا متفضلا، ثم بعد ذلك نقرى ما نرى فى أمر الاستمرار فى اقتطاف ما هو أصلح وأنفع ويمكث فى الوعى بإذن الله إلى وجهه تعالى.

المقتطف (1) ص "أ"

كلمة محرر السلسلة

... صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة بعنوان "الحركات الدينية المعاصرة" عن دار النشر الأمريكية جون ويلي John Wiley التى تصدر السلسلة بعنوان إضافى على أنها سلسلة تعتمد على ترابط العلوم وتشاركها.

ومحرر السلسلة هو إرفانج. إ. زاريتسكى Irving. I. Zaretsky، وقد أعد محرر السلسلة المقدمة التالية للكتاب:

... تعتبر مواجهة كل فرد منا لمسألة فنائه الشخصى ذات أهمية مركزية فى حياته، ومن هنا يتكون لديه إتجاه أو نظرة شاملة نحو الحياة والموت تشكل كيفية ومضمون سلوكنا اليومى.

إرفانج إ. زاريتسكى

نوفمبر 1979 نيويورك

الموقف:

... من السطرين الأخيرين لو سمحت.. (أو غير ذلك كما ترى)؟

المقتطف (2) ص "ج"

كلمة تمهيدية للمؤلف

... "لقد سجلت نفسى فى هذا البرنامج الدراسى لأننى أعلم أن ليس هناك شئ على الإطلاق يمكن أن أتعلمه منه، وقد كانت تلك كلمات طالب فى أول فصل دراسى تعرضت فيه لموضوع الموت،

الموقف:

..... عن "الموت من حيث هو"، أو عن مجالات الحوار!!
(أو كما ترى).

المقتطف (5) ص "1"
مقتطف من مقدمة الكتاب

... هذا الكتاب، هو دراسة نقدية لعشر تصورات رئيسية للموت، وتهدف المقدمة إلى أن تضع الخطوط الخارجية لتصميم الدراسة وأن تبين الأسباب التي دفعتني على القيام بها.

وعلى هذا فسنحاول أولاً أن نصف أي نوع من الظواهر هو الموت؟ ولماذا يمكن تصويره بطرق مختلفة؟ بل، في الحقيقة، هي غاية في الاختلاف حتى إن كل منها ينفصل ويستعبد الآخر.

الموقف

..... عشرة؟؟!! لماذا كل هذا التعب وهذه الخيرة، وكل شئ محسوم؟ (أو ما هو رأيك)؟

المقتطف الأخير
آخر سطور الخاتمة ص 610

... وقد كانت فكرة كير كجارد أننا نتغلب على اليأس الذي هو أعلى صور الحزن ليس عن طريق بلوغ حالة الخلود التي لا تغيير فيها (والتي هي المرض حتى الموت في ذاته)، بل بأننا نحمل الموت إلى تاريخنا الشخصي وذلك بنقل معنى حياتنا إلى الآخرين.....

الموقف من هذا المقتطف الأخير (؟؟؟؟)

موقف محرر النشرة

..... ما لزوم ترجمة ونشر مثل هذه الكتب أصلاً؟
إذا كنا لا نحتاجها من الأساس هكذا؟؟!!

المفاجأة هنا ليست فقط في أن الراوى اكتشف أن الشوارع - المدينة - العالم - الحياة - ليست إلا سركاء، ولكن في أن الشوارع كانت شوارعاً بما هي كذلك، لكنها تنقلب سركاء بمجرد أن يضع قدمه فيها.

فالحياة إذن ليست مسرحاً كبيراً، ولا هي سركاء عجائبياً في ذاتها بذاتها، ولكننا نحن الذين نجعل منها ما هو كذلك، ونحن لا ننصب السيرك في الشوارع، ولكننا ننميه بديلاً عنها، عن الشوارع وما بها، عن الواقع، لأن بقية الحلم تقول إن السيرك **يجل محل الأبنية مجرداتها، بل ومحل السيارات والمارة.....**

هي المفاجأة، وهي تظل مفاجأة ماظلت مُدهشة مع أننا نحن الذين نصنعها بمجرد أن نضع أقدامنا فيها، لكن - مثل أي مفاجأة- إذا ما تكررت تتراجع الدهشة، فتفتُر الفرحة، ويظهر الضجر، وهو ما دعا الراوى للرجوع إلى مسكنه، لكنه عند عودته منسحباً لم يجد البيت قد تحول سركاء مثل الشوارع، لكنه وجد في استقباله البلياتشو (مثل السيرك)، الذي بدا وكأنه يعلنه أن ما أدهشه في الخارج هو نابعٌ من ذاته أصلاً، وبالتالي لماذا الدهشة فالضجر؟ بل إن البلياتشو بدا مرحباً بعودة صاحبه: فإذا بالبلياتشو **"يستقبلني مقهقها"** (وإن كنت لا أنفي احتمال مسحة من السخرية أو العتاب)

هل هذا يعنى أننا إذا أردنا أن نلعب **"لعبة الحياة: بإعادة تخليقها"** فعليتنا أن نحرس على التجديد وليس مجرد إعادة الألعاب؟ وأنه لا يكون التجديد أصيلاً إلا بالبدء بأن نقبل هذا البلياتشو داخلنا فهو الأصل، بدلاً من أن ننتظر أو نفتعل التغيير خارجنا؟

إن المُجَدّد في لعبة الحياة هو القادر على المشاركة بما هو - بلياتشو مقهقها من الداخل- في السيرك الكبير الجميل في الخارج، شريطة ألا يتكرر حتى نمل؟

ربما.

حين يسير الواحد منا في الحياة يخلُق الألعاب، ويندهش للتحولات، ثم تتكرر المسألة حتى تفتُر، فإنه قد يتعب من المشى، ويمل الرؤية، محفوظ هنا في حلمه يقرر ذلك، إنه **"يضيق بالمشى والرؤية"** معاً، فهو لم يتعب ولم يمل، لكنه ضاق بهما:

المشى وصلنى باعتباره مواصلة السعى في الحياة، أما الرؤية فقد وصلتنى في صورة تجدد الكشف،

لكن الحلم هنا يقول إن تكرار النص - كما هو- تكرار ألعاب السيرك، يُفقد المشى صفة السعى، ويفقد الرؤية صفة الكشف، فمن ذا لا يضيق بما يتكرر هكذا؟

الرجوع إلى المسكن يمكن أن يقابل التراجع عن السعى، وهو **نكوص** من حيث المبدأ

لكن النكوص لا يكون سلباً إلا إذا كان نهاية المطاف، أما إن كان **"حركة الذراع الراجعة"**، فهو بداية الدورة

التالية، ولو في دورات النوم واليقظة، شريطة أن نبدأ بالبياتشو داخلنا،

هكذا وصلتني فرحة الراوى وكيف سبقت ظهور البلياتشو، وهى فرحة تولد فرحة "فرخت .. وأمنت بجئى الفرح"، ثم يظهر البلياتشو مستقبلاً مقهقها تأكيداً لرسالة أن "وجه الدنيا" يشرق من داخلنا، وهو الذى يخلق الشارع فالشارع سيركا فسركا، شريطة ألا يجل الخارج على الداخل، وألا يتكرر بما هو، دون الرجوع إلى الداخل، لتشرق الدنيا ويقهقه البلياتشو من جديد، وهكذا دائماً أبداً.

ثانياً: حلم (6)

نص الحلم (6)

رن جرس التليفون وقال المتكلم:

الشيخ حرم استاذك يتكلم

فقلت بأدب وإجلال:

أهلا استاذى وسهلاً...

- إني قادم لزيارتك.

على الرحب والسعة

لم تسمى أية دهشة، على الرغم من أننى شاركت في تشيع جنازته منذ حوالى ستين عاماً، وتتابعت على ذكريات لانسى عن أستاذى القديم في اللغة في معاملة التلاميذ، وجاء الشيخ بحبته وقفطانه الزاهيين وعمته المقلوطة وقال دون مقدمات: هناك عايشت العديد من الرواة والعلماء، وبين حوارى معهم عرفت أن بعض الدروس التى كنت ألقئها عليكم تحتاج إلى تصحيحات فدونت التصحيحات في الورقة وجئت بها.

قال ذلك ثم وضع لفافة من الورق على الخوان وذهب.

القراءة

... تابعت بحيب محفوظ وهو قادر على أن يرفع الحاجز بين الموت والحياة بسهولة ويسر في أكثر من موقف شخصى، وأكثر من موقع إبداعى مثلاً في "ليالى ألف ليلة"، "ورأيت فيما يرى النائم"، وحتى "ملحمة الخرافيش"، وغيرها.

وباعتبار أن الفرض الذى لاح لى مؤخرًا وأعايشه حالياً لإكماله يقول: إن الموت هو نقلة الوعى الشخصى إلى الوعى الكونى ليكمل المسيرة إلى وجه الحق سبحانه وتعالى، فإن هذه النقطة تصبح سلسة بقدر ما يكون الإنسان قد سعى في نفس الاتجاه: من الذات إلى المطلق إلى وجه الله، أثناء حياته، وعباداته، ونسكه، وإبداعه، من هنا يمكن رفع الحاجز بين الموت والحياة بقدر جدية وكده مشوار الإنسان في الاتجاه الصحيح.

لكل ذلك لم أتعجب من قدرة محفوظ على رفع هذا الحاجز والتنقل بين الموت والحياة بسهولة في كل أحواله، فما بالك في إبداعه إلامه؟

من هنا نفهم انعدام الدهشة في هذا الحلم والراوى يرى/ يسمع صوت أستاذه في الهاتف وهو يستأذن للقدوم لزيارته، بعد أن شيع جنازته من حوالى ستين عاماً.

الزمن هنا أيضاً اختزلَ بنعومة حتى يمكن أن نقرأ هذه الستين وحدة بأى تمييز (عاماً، شهراً، أسبوعاً، أو كما شئت)، هو أستاذ، وأستاذ في اللغة وليس بالضرورة اللغة العربية، وليس معنى أن يكون الأستاذ "محرم" في الحلم قد جاء بجيبته وقفطانه الزاهين أنه أستاذ العربى والدين، وإن كان هذا هو الأرجح.

أما ما قاله الأستاذ محرم، فلم أجد فيه جديداً: فهو دعوة مباشرة (وساذجة) لمراجعة كل الدروس التى تلقى علينا وبالذات الدروس سابقة التجهيز،

الجديد في الحلم ربما هو في التنبيه على أننا: إذا كنا أجبين من أن تختبر المعلومات -كل المعلومات- التى تصلنا بالمراجعة ونحن أحياء، فهذا إثم سوف يجاسبنا الله عليه، وما هو شاهد على نفسه، يأتى إلينا وهو يراجع نفسه بعد أن انتقل وعيه إلى الوعى الكونى إلى وجه الحق سبحانه وتعالى، وهو على نفسه بصيرة، لم تنفعه معاذيره، فاكتفى بنفسه عليه حسيباً، فيقرر أن يعترف ويرجع ليصحح ما كان ينبغى أن يكتشفه حياً، فهو -برحمة ربنا- أعطى الفرصة أن يعود، وذلك حين اكتشف أنه من الأمانة أن يصحح دروسه القديمة، وأن يبلغ هذا التصحيح الواجب لمن اتبعوه ثقة فيه، بل إنه ربما فعل ذلك بدلا من أن يتبرأ من الذين اتبعوه دون أن يُعملوا النقد فيما قاله لأنه يعلم أن ليس لهم كزة ليتبرأوا منه لو أنه تبرأ منهم، فعاد يبرئ ذمته، وربما استشعر أنه بتراجع هذا سوف ينال غفران ربنا أكثر فأكثر مادام قد صحح غلطته، وعاد بالتعديلات الواجبة، يبلغها للذين اتبعوا

(ملاحظة: لم أتوقف كثيراً عند اسم "محرم" لأربطه بالخلال والخرام، فمحفوظ قد تجاوز مثل ذلك).

بقيت بعد ذلك مسألتان.

أولاً: إننى خشيت أن يتوقف "المتلقى" عند الورقة التى تركها الشيخ على الخوان وفيها ما فيها من التعديلات اللازمة ويتمصور أن غاية المراد هو: مجرد تصحيح القديم عن طريق نفس الأستاذ بعد أن عايش العديد من الرواة، والعلماء وحاورهم، وأن الأستاذ هو الذى عليه أن يقوم بتصحيح ما وصلنا باستمرار.

ثانياً: خشيت أيضاً أن يغفل المتلقى كلمة "بعض" التى حرص محفوظ (برغم صعوباته) ألا ينساها (عرفت أن بعض الدروس ... تحتاج إلى تصحيحات).....

غامرث -شخصياً- أن أكمل الحلم من عندي هكذا،
 "...فمتمت وفتحت اللفافة، وإذا بها أوراق مرقمة بيضاء من غير سوء".

وتصورت أن الحلم بهذه النهاية المقترحة يدعونا أن نتحمل مسئوليتنا فنقوم نحن باستمرار بتصحيح ما يصلنا أولاً بأول، ولا ننتظر الشيخ محرم مهما حسنت نيته واعترف بخطئه

هذا ليس مأخذاً على الحلم، إن لم يحفظ أن يقف حيث أراد هذا،

وقد أبلغني شيخى محفوظ أمس هاتفياً أنه بعد أن ناقش الأمر مع الشيخ محرم، وافق على السماح لي بما فعلت على مسئوليته.

الجمعة 09-11-2007

70- حوار / بريء الجمعة

مقدمة

برغم ما وصلني من تحفظات على مستوى الحوار هكذا، إلا أن أغلب الآراء كانت في اتجاه الإبقاء عليه، وقد كان رأي مع أغلب الآراء، أملا في تواصل أوسع، وشبكية أثنى اختلافًا. أغلب الآراء أيضا رفضت تخصيص يوم بذاته من أيام الأسبوع لموضوع بذاته، وقد تراجعنا لذلك عن ذلك، (فيما عدا الخميس - محفوظ- والجمعة -الحوار).
ثم نبدأ اليوم بالصديق الابن د.كريم محمد شوقي

د . كريم محمد شوقي (سلطان الأسطورة) 3-11-2007

تعتة!! دا بقا زلزال بقوة عشرة ريتر... والجهل نعمة، وفيه كرامه زيه زى الجنون، وحضرتك مصمم تفوقنا من الجهل والكسل اللذيذ والعتة البليد. استخدام الاسطورة للربط بين التداوى الشعبي والتداوى بالأدوية الحديثة وضل لى معلومات جديدة قد تساعدنى على مساعدة مريض أحتمل أنا مسئوليته الآن؟.

د . يحيى

يارب سهل شكراً، يا كريم، بصراحة أنا أعتبر قيمة الكتابة بقدر ما تسمح بمثل هذا التغيير في الموقف أو في السلوك خصوصا حين يصل النفع إلى مريض يحتاجه مثلما تقول. ولعلك تعرف موقفى من التطور بصفة عامة. وأن اسم الجمعية التى تصدر عنها هذه النشرة، وهى ما تبقى من مجلة الإنسان والتطور، هو جمعية الطب النفسى التطورى والعمل الجماعى!!، (هل وصلتك دلالة إضافة "العمل الجماعى" إلى اسم الجمعية؟) أنا لست أدري كيف رحب الناس بهذه المجلة طوال عشرين سنة دون التطرق بشكل مباشر إلى قضية التطور بما ينبغى كما ينبغى، مع أننى لم أكف عن الإشارة إليها سواء بالنسبة لموقفى الشخصى من الوجود والموت والله سبحانه وتعالى، أو لموقفى العلمى والمهنى من المرض النفسى، وخصوصاً "الفصام".

د . كريم محمد شوقي

يبدو أن الواحد لازم يقفل علي نفسه ويقعد يقرأ عشر

سنين متواصلة عشان يعرف مجاريك أستاذى الفاضل

د . يحيى

ليس هكذا تماما، (مش قوى كده)! أنا لو قرأت مليون صفحة لايمكن أن أصل إلى ماوصلت إليه من خلال قراءة النص البشرى لمريض واحد، متجادلا مع نصى البشرى الذاتى، كنت دائما أنصح طلبتى تحت التدريب أقول لهم إن رحلة سنوات مع مريض فصامى واحد سوف تعلمك كل الأمراض، وربما كل البشر وكل الحياة.

د . كريم محمد شوقى

فرضك بشأن مرض عصام مثير للجدل وصعب الهضم نوعا ما، رغم بساطته، أعتقد أن حضرتك علمتنا أن الفطرة و ما شابهها...، أن أى تناول لها بالكلام يشوهها ويفسد معناها وبالتالي كان الله في عونك وأنت تكتب هذا الفرض (أعتقد أنك ترددت كثيرا قبل أن تتناول الفطرة بالكتابة).

د . يحيى

فعلا ترددت لكننى غالبت ترددى حين أخت على هذه الورطة بالالتزام اليومى التى بدأت أعتقد أنها قادرة أن تزيل بعض هذا التردد، وخاصة وأن جرعة الطب النفسى (قراءة النص البشرى) تتزايد باستمرار، وهى تثير من الفروض الجديدة، ما يستحق النظر وإعادة النظر.

د . كريم محمد شوقى

حضرتك علمتنا أنه مفيش فرض صح وأخر خطأ، ولكن هناك فرض مفيد... أتمنى أن يكون هذا الفرض الصعب السهل قد أفاد عصام وكانت النتيجة هي إتجاه السهم للمسار الصحيح

د . يحيى

بصراحة لا أخفى عليك أن عصام هو صديق حالى، وأن استجابته الإيجابية لاتبدو في الأفق، وأنها ليست شرطا لصحة الفرض، وذلك أن عوامل كثيرة تحدد ذلك كما تعلم، ربما لهذا جاء تحفظى في النهاية أنه إن لم يستطع عصام أن يستفيد منها، فلنفعلها نحن.

د . كريم محمد شوقى

بس فيه شئ مش فاهمه...ناس كتير بيعيشوا حياة زى حياة عصام، بيحصل تباعد بين القشرة والفطرة...يا ترى ليه مش بيتفسخوا هذا التفسخ الرهيب

د . يحيى

عندك حق، مجد عندك حق، وأرجو أن أستطيع الإجابة عليك من خلال الاستمرار مع عشرات الحالات ومع أنفسنا ومع عطاء المعرفة من كل مصدر أتى وسابق، وفي هذه النشرة إن شاء الله وطال العمر مع أننى أرى أن اللغة تزداد صعوبة على من يسميهم الابن يوسف عذب الشخص العادى، لكن أرجو أن تصل إلى تعقيدات ابن أختى الذى تتعاطف أنت معه يا كريم هلا سمعته

د. حمد أحمد الرخاوي (أحوال وحالات) 2007-11-5
 في تعامل اليومى مع عامة الناس يشق على جدا التعامل مع
 كتل الجمود في الخلك سر، ولذلك أوافق تماما على أن الفطرة هي
 الحركة المركزية الغائية إليها - الفطرة - وإلى المطلق.

د. يحيى
 يا محمد، يا محمد، شكرا لاقتطافك أهم ما جاء في حديثي عن
 الفطرة، وشكرا لمشاركتك، أنا حين كتبت أن الفطرة هي
 حركة وليست "مفهوما" كنت مترددا خشية أن أفهم خطأ أو
 ألا أفهم أصلا، أما حين كتبت أنها "هي الحركة إليها"، فقد
 فزعت أكثر، وأنا مازلت حتى الآن لا أفهم جيدا ما كتبتة
 أنا شخصيا، وأشعر أنني سأعود إليه كثيرا، فإذا كان قد
 وصلك ما خطر لي بالرغم من ذلك، وبهذا الوضوح، حتى أضفت
 إليها "المركزية الغائية" كما أضفت توجهاً محمداً: "إلى
 المطلق"، فهذا شئ يفرحني ولا يطمئنني، يفرحني أنك تحاول،
 ولا يطمئنني لأن المسائل شديدة الصعوبة، وينبغي أن نحذر
 الإسراع هكذا بالفهم أو بالشرح.

د. حمد أحمد الرخاوي
 أضيف أن خطر الانقراض يأتي حالا من الحركة العكسية - أي
 ضد الفطرة - في صورة تعمق هذا التوقف الميت؟

د. يحيى
 ليكن يا محمد، ليكن، لعلك تتبعت ما نشرته لاحقا عن
 توضيح ما عنيته بالفطرة ردا على ما وصلني من هجوم، وفي
 نفس الوقت من سوء فهم لاستعمال كلمة الفطرة، حتى أنني
 تعهدت أن أوصل العودة إلى شرحها وبدأت بالحديث عن
 الفطرة والجسد يومية 6-11، كما أنني مازلت لا أجد
 لكلمة الفطرة ترجمة إلى الإنجليزية، وأرفض رفضا قاطعا أن
 تكون الترجمة Instinct، ثم تأتي أنت لتعقد الأمور أكثر،
 ماذا تعنى بقولك "تعمق هذا التوقف الميت"؟

د. حمد أحمد الرخاوي
 ... أعنى انسلاخ الغائية بتفاعلاتها الجدلية الآتية الحيوية؟

د. يحيى
 الله يسامحك، برغم أنني لا أنكر جديتك واجتهادك! هل تعرف أن
 من أهم ما ساعدني أن أتجنب مثل هذه العبارات هو ما قرأته
 يوما من "إن الحديث عن الجدل هو ضد الجدل"، ومع ذلك فليس
 عندنا بديل على ما يبدو، أما عن إضافتك كلمتي "الآتية
 الحيوية" فقد وصلني أنك أصبت بعض الهدف لو كنت تحقا تشير بـ
 "الآتية" إلى روعة الالتزام بمبدأ "هنا والآن"، أما استعمالك
 لكلمة "الحيوية" فقد طمأنني إلى أن تم من يشاركني علاقتي
 "بالبيولوجيا الحقيقية"، التي اختزلوها إلى كيمياء وتشرح
 في معظم الطب النفسى الأحدث، لست أفهم كيف يتجنب هذا الطب
 الذى يتعامل مع كل هذا اللحم الحى وحركية الوجود والموت،
 كيف يتجنب مواجهة هذه المسائل عن الموت والوجود التى
 يعريها المرضى ليلا نهار.

د. حمد أحمد الرخاوي

الأصل هو الموت والحياة احتمال يفشل فيه الكثير. الحياة هي اليقين بالموت واعبد ربك حتى يأتيك اليقين!!!!!! قال نجيب محفوظ "الموت لا يجهز على الحياة وإلا أجهز على نفسه "لولا الموت لما كانت هناك حياة ولولا الحياة لما كان هناك موت، دورات متلاحقة من محاولة التشبث بأمل الحقائق وروعة الوجود وهوالموت، لكي يتم الابداع كله!!!!!!

د. يحيى

أذكر أن هذه التوجهات كانت أطروحتي بعنوان (دورات الحياة وضلال الخلود "ملحمة الموت والتخلق في الخرافيش")، ويمكن أن ترجع إليها من جديد إن شئت فهي في الموقع .

والآن أدعوك معي إلى الصديق يوسف عزب الذي أرسل تعليقاته بأثر رجعي مثل الأسبوع الماضي، وأنا مضطر إلى تجاوز أغلبها إما لأن مواضيعها أصبحت بعيدة تاريخياً. وإما لأن التعليقات غامضة وقصيرة، وقد لا تسمح بالمشاركة مع أغلب الأصدقاء .

أ. يوسف عزب (بعض وصف بعض مصر(1) & من ملف القيم والأخلاق 10-16

تعليقي الرابع: هو (يوسف يعني الكاتب، أنا) مش عارف الناس الغلابة عايشة إزاي (؟).

وتعليقي الخامس: إزاي يقول كده..؟ هو مش عارف الناس سقفا قد أيه؟

د. يحيى

أهلا يوسف... اسمع يا عمنا، أنا أقول ما عندي، ورزقي على الله، أنا لو عملت حساب الناس الغلابة الذين تعنيهم فلن أفتح فمي، أو أنطق حرفاً، أحسب أنك تعني أولئك الذين يستعملون دفاعات ثقيلة وجاهزة تمنعهم من إعادة النظر، أنا يا يوسف لو عملت حساب سقفا الناس الذي تشير إليه، والذي يبدو أنك تراه منخفضاً جداً، فلن أفعل شيئاً هكذا هنا، ولا في أي مكان آخر.

حين أرجع إلى مجلتنا (الورقية) "الإنسان والتطور" التي مازال الكثيرون يذكرونها بالخير، أجد فيها ما هو أصعب شكلاً، وأخطر شطحاً، ومع ذلك فقد بقي منها عند من أعرف ومن لا أعرف ما يطمئنني أن اثق "في الناس" - "عامّة الناس"، وألا اضع لهم سقفاً من عندي يمنعني شخصياً أن أوصل سعيي إليهم .

يكفيني يا يوسف ما وصل للابن د. رفيق حاتم وهو حيث هو، وقد ربط بين ممارسته الطبية في بلاد الفرجة، وبين ما تطرقنا إليه هنا عن مفهوم الغيب، صحيح أن رفيق سقفه عالي، وهو متخصص، ولا يمثل عامة الناس، لكن إيش عرفني أين يقع سقفا الباقيين.

أ. يوسف عزب حوار الجمعة 10-19

الحديث بتاع الدكتور رفيق مذهل وعظيم الفائدة (الله ينور يا د/ رفيق) خاصة حديثه عن الغيب،

(ثم دعني) أستاذنكم فيما ورد بذهني عن الإيمان بالغيب: فقد أصبح لدى اعتقاد أساسي بأن العبادات شرعت لصالح كفاءة وعمق واتزان حياة البشر للحفاظ على طريق ما .. طريق غير معلوم.

إن الله باكتماله لاحتاج عبادات من البشر، وفي هذا الإطار أخيراً، رأيت أن الإيمان بالغيب هو ترجمة مباشرة لمفهوم "أن يضع الإنسان في ذهنه أن هناك احتمال آخر لا يعرفه"

د. يحيى

أنا لا أميل يا يوسف إلى البحث فيما شرعت له العبادات، لأن هذا ليس من اهتماماتي ولا من مهمتي، العبادات شرعت لأنها عبادات، وقد رفضت طول عمري - مثلاً- تعداد فوائد الصيام التي يبالغ في سردها الأطباء كل رمضان، حتى تبدو لي أنها رشوة خائبة للمؤلفة قلوبهم تبرر مشروعية الصيام، وكأن الصيام شرع لهم ليحققوا رجيماً ربانياً، أو ليعالجون به ضغط الدم، أو السكري، أنت لم تقل ذلك، لكن الشيء بالشيء يذكر. العبادات يا يوسف تؤدي عندي وظيفة ضرورية، وهي "معنى الالتزام الغامض بالإيقاع الحيوي المتجدد"، سواء هي شرعت لذلك أم لا، ثم إنها تشد وسائل التواصل الأخرى مع العوالم الأخرى، مع المجهول، مع الغيب، مع المفتوح النهاية، التواصل بالجسد خاصة، كما أنها تحضر في الوعي بالممارسة لا بالكلام تحضر "المجهول/المعلوم/المجهول"، تحضره بانتظام راتب، بالنسبة لي، أنا أستطيع أن أجزم أن محوراً ما يتكون حوله وجودي الخاص من خلال تكرارها، كل هذا دون الدخول في التفاصيل عمداً، وعدم الدخول في التفاصيل هو أيضاً جانب من الإيمان بالغيب.

أنا لست مع الذين يناقشون العبادات بالألفاظ، أو بالشرح، أو بالتفسير أو بمبدأ الفائدة العاجلة، ولا أعرف بدلاً عن العبادات يحقق لنا هذه العلاقة المنتظمة مع الكون إلى من وسع كرسيه السموات والأرض سبحانه وتعالى، لا أعرف كيف، ولا أريد أن أعرف جداً، ولا أستطيع ..

أسف يا يوسف، يبدو أنني أحدث نفسي، فلتسمح لي أن أعرج إلى رسالة من صديقة جديدة تبدو أنها حسنة الظن بنا جداً .. إلخ.

أ. سندس محمد (من رسالة خاصة طويلة جداً، ليست تعليقاً على موضوع بذاته)

(أنا) ... بافهم الناس، وباعرف ما في نفسيتهم وعمقهم، أحياناً باحس بهم، وباعرف بيفكروا في إيه وده شئ طبيعي؟

د. يحيى

يا سيدتي، شكراً لرسالتك التي بلغت عدة صفحات، وعذراً للاكتفاء بالرد بهذه السطور التي تفيدك أن رسالتك الأولى

أ. رامى عادل (فصام عصام) 2007-11-5
الفطرة هيه أنك تبقى على طبيعتك، ... أقصد إنك تعيش حياتك على قد ما تقدر، وتلؤن الأيام....

د. يحيى
حلوة "تلؤن الأيام"، هذه يارامى (إحذر عملية خلط الألوان يارامى مع أنها ضرورة رائعة) لكننى توقفت كثيرا عند قولك "تبقى على طبيعتك"، وهل أنت أو أنا، أو أى واحد يعرف طبيعته، حتى يمكنه أن "يبقى على طبيعته"؟ ما زلت أكرر ما كان يتقرب به بعض الصوفية وهو يذكر الله قائلا "ربى كما خلقتى .. ربي كما خلقتنى" لأنه لا يعرف طبيعته، ويدعو الله أن يعينه أن يكون كما خلقه دون تحديد، بحيث يستجيب ربنا لدعوته، والله سبحانه أدرى كيف خلقه، خلقنا.

أ. رامى عادل (الفطرة والجسد) 2007-11-6
عيني في عينك وواحدين وضع جسدى بنتشكّل، وساعات أيوه ساعات.. بنقابل ربنا، إحنا بين ايدينا، بنتشكل، ومن جوانا، وبنتمرد على كل وضع، وبنتحرق وبنتحرق، وساعات بنطير، ومعانا ربنا جوانا، تمام زى العصافير، ونحب، ونغنى، نمسك مزامير نلبس طراوير.

د. يحيى
أوافقك يا رامى وأنت تعقّب بكل هذا الشطح الجميل على مقال الفطرة والجسد، أوافقك لأن الكلام المنظم أخرجنى وأتعبنى ولم أعرف كيف أرد، أوافقك حتى أننى أتوقف عن الرد عليك بالألفاظ.. من أهم ما استفدته منك يارامى أن مزاجك يتقلب بنشاط طازج حسب اليومية، فالذى يسمعك تغنى هكذا، لا يصدق أنك توقفت بهذا الصمت الجميل عند نهاية يومية "الموت والوجود" واكتفيت بتكرار جملة واحدة وردت في آخرها.

أ. رامى عادل (الموت والوجود أو الموت والجسد) 2007-11-7
"... أننا نعمل الموت إلى تاريخنا الشخصى وذلك بنقل معنى حياتنا للأخريين"؟

د. يحيى
مجرد اقتطافك هذه النهاية أثلجتى، وأعتقد أن عودتنا إلى هذا الموضوع الصعب كما طلبت د.سنا قد يفتح لنا أفقا جديدة وصعبة للحوار فيما بعد، ربنا يستر.

د. سناء (عن الموت والوجود) 2007-11-7
We need such books, (كتاب "الموت والوجود") in my opinion, because we learn from them even a little..... Not grasping the whole is not a good excuse to let all go.... But doctor, in your opinion...how you define death? and existence?

د. يحيى
يا سناء، لم أعرف أنك أنت تلميذتى الهاوية إلا هذا الصباح، ياسناء ربنا يخليك، ما زلت أذكر تشجيعك

مناسبة أغنية "وبدال ما يثور يغن" وأنت تكتين إلينا بالإنجليزية حتى عنوان اليومية، وقد تعمدت هذه المرة ألا أترجم ما كتبت، وأنا أمثل غيظاً من أحفادي وأصحابهم الذين لا يعرفون الكتابة على حاسوبهم إلا بالإنجليزية، لهذا لن أترجم ما كتبت أنت هذه المرة لأغيطك، وليعرف سؤالك من لا يعرف الإنجليزية من ردى عليك هكذا: .

..أنا لم أتساءل في نهاية يومية "عن الموت والوجود" لماذا نترجم وننشر هذه الكتب لأنني أعتز على نشرها أو ترجمتها، بل كان تساؤلي نوعاً من الاحتجاج على أن تكون الترجمة مجرد الترجمة، ما الفائدة إذا نحن لم نتحمل يا سناء مسئولية ما ننشر ونترجم بأى قدر حقيقى.

إذا لم يصلنا بعض ما أراده المؤلف أو المترجم أو الناشر، فنحن لا نستحق هذا الجهد، لقد تصورت أن كل من يقرأ مثل هذا الكتاب الرائع الذى بلغ 610 صفحة من الحجم الكبير كما قلت، ثم يخرج منه بنفس الإجابات التى كانت عنده قبل أن يقرأ عن الموت بالذات، عن الوجود، أتصور أن الأفضل لمثل هذا الشخص أن أنصحه ألا يقرأه أصلاً، أنت لا تتصورين كم أفادنى هذا الكتاب وطور فروضى حول الموضوع، كما صخ بعض فكرى، وحفزنى للمزيد من البحث حوله .

شكراً لتشجيعك يا سناء مرة ثانية، أما طلبكم أن أقول لك تعريفى لما هو "الموت"، و"لما هو الوجود"، فاسمح لى أن أذكرك أنه لا يحنق المعنى إلا حبسه فى تعريف جامع مانع، كثير من التعريفات هى سجن للمعنى، ولكن دعينا نستمع لرأى الصديق الابن د. أسامة عرفة فى هذا الموضوع الشانك

د . أسامة عرفة

هل سنتناول الموت لأجل تشكيل الحياة؟؟.. يعنى هو إحنا عرفنا نعيش لما نشوف (إزاي) هنعرف نموت ..؟؟
هل الموتى فى الحياة أو بعضهم قادرين على الحياة فى الموت أم الأحياء فى الحياة هم الأقدر على ذلك؟

فى العلاج الجمعى هل يمكن الشغل فى الموت الموت فى هنا والآن؟؟

د . يحيى

بصراحة يا أسامة كنت أحسب أنك ستدلى بدلوك فى هذه المسألة، وإذ بك تغمرنا بأسئلتك الذكية، وبما أنها أسئلة ذكية، فهى تحمل إجاباتها غالباً، فاسمح لى أن أكتفى بأن أضع لبعضها هوامش مثيرة، وليست إجابات بالضرورة .

- أتصور أن الوعى بالموت، كوعى آخر، يجعله حياة كامنة ومن الآن.

- الأحياء، فى الحياة هم القادرون على الموت والحياة معا .

- الموتى فى الحياة لاهم قادرين على الموت ولا على الحياة .

- فى العلاج الجمعى يمكن الشغل فى الموت فى هنا والآن كأروع ما يكون، وإذا أتاحت الفرصة يا أسامة سوف أفضل لك ذلك.

وبعد يا أسامة، إن الدخول في هذه الأمور هكذا قد يجير القارئ الزائر أكثر فأكثر، وأنا لا أعرف حلاً لهذه المسألة، وقد واجهتها كما لاحظت وأنا أتناول مسألة الفطرة، وعلى فكرة قضية الوجود والموت عندي لا تنفصل عن قضية الفطرة كحركية متنامية، ولكن قبل ذلك دعني أسمع رأيك في قراءتي (خلمى محفوظ (5)، (6) يومية 8-11-2007).

د. أسامة عرفة

ماذا لو جمعنا الخلمين معا في حلم واحد افتراضاً ثم نعيد قراءتهما من منظور ظهور (البلياتشو والأستاذ) باعتبارهما رموز حركية وتفاعل الكيانات الداخلية .. معا أو مع الواقع الخارجى.

ولأ بلاش شقاوة؟؟

د. يحيى

طبعاً بلاش شقاوة، أنا جحان من الجملة التى أضفتها للحلم (6) وغالبا لن أكرر مثل ذلك أبدا مع أن شىخي محفوظ سمح لي بها بعد نقاشه مع الشيخ محرم بمكاملة هاتفية موثقة، أنا يا أسامة أجد صعوبة متزايدة في نقدي لأحلام فترة النقاها هكذا واحدا واحدا، ويبدو أنني ورطت نفسي إذ ألزمتها بمنهج قراءتي النقدية للأصداء، وهأنذا أتبين أكثر فأكثر أن هذا شئ وذاك شئ آخر، ولا أعرف إن كنت سوف أستمر هكذا أم سأجد منهاجاً آخر.

ربنا يسهل، وآلآن هات ما عندك عن الفطرة.

د. أسامة عرفة: الفطرة الجسد وتصميم الألفاظ

جاء في مقالكم المكثف أن الفطرة حركة في مقابل السكون الفطرة حركة واتجاه ..

د. يحيى

أظن أنني كنت أريد التأكيد أكثر على أنها "حركة في اتجاهها".

د. أسامة عرفة:

أود أن أشير أن الاسلام لم يقل غير ذلك بل قال ذلك نصا وروحا ..لنتأمل قوله تعالى: "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها"، فطرة تركيب جدلية ثنائية القطبية على مدى طيف شديد الامتداد بين الفجور والتقوى، وعليه فاختزال الفطرة إلى الفجاجة من ناحية أو النقاء من ناحية أخرى يؤدي إلى المحصلة صفر، إذ يسقط هذا التركيب الجدلي.

ثم نتأمل قوله تعالى: قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها: وهو يعرض لفعل حركي جدلي ممتد من قطب في اتجاه القطب الآخر فجورها- تقواها وهو "زكاهها - دساها"، حركة التزكية في الاتجاه من الفجور إلى التقوى ودساها في الاتجاه من التقوى إلى الفجور

د . يحيى

لن أعلق على تعليقك حتى لا أفتح الباب للمناقشات اللفظية التي لا تنتهي حتى قبل آخره، لقد وصلني توجعك، وأنا أوافق عليه من حيث المبدأ، فقط أريد أن أذكرك بما جاء أغلبه في مقال عن الفطرة والجسد، من حيث أن أغلب الفقهاء، إن لم يكونوا كلهم، قد اختزلوا الفطرة إلى عكس ما تقول وأتصور، ثم دعني أعلن لك أن هذه الآيات الكريمة لم يصلني منها أى استقطاب إلا في نقطة البداية حين ألهمها ربها ما ألهمها، أما بعد ذلك فقد وصلتني حركية الفطرة، والفطرة الحركية من خلال "زكاها" التي ليس لها معنى إلا "تأها"، فعرفت منها، ومن كل ما أعرف، أننا نحن الذين ننمينا بهذا الجدال الذي يجتوى فجورها لا ينفيه، وفي نفس الوقت يتصاعد بتقواها ولا يكتفى به، فتكون الحركة كدحا إليه هي هي طريق "تأها".

إياك يا أسامة أن تتصور أنني أفسر النص الكريم بالعلم العاجز، هذا ما وصلني استلهاما لا أكثر، وهي مسئوليتي فردا، حتما ودائما.

دعنا أنت وأنا نعتذر للقارئ الزائر إن كان لم يستطع متابعتنا، ونختم بصوت هادئ ونحن نستمع إلى الابن صاحب الفضل اسلام أبو بكر على هذا الموقع. وقد كتب لي هذا الأسبوع كثيرا شاكرا حوارى معه، الأسبوع الماضى، وأنتى ذكرت فضله، مع أنتى لم أوفيه إلا بعض حقه، ماذا عندك يا اسلام اليوم؟

أ. إسلام (حوار بريد الجمعة) 2-11-2007

...عن مستويات الوعى، أعتقد أنتى أريد أن اجتهد أكثر فأكثر كى اتلاحم فكريا وكليا مع مصطلح "تحريك مستويات الوعى معا"، حتى أفهم أكثر فأكثر؟

د . يحيى

تصور يا إسلام أن التقاطك لتعبير "تحريك مستويات الوعى معا" كان من أروع ما طمأننى أن وضع هذه الكلمات الأربعة بجوار بعضها هكذا، قد أوصل شيئا ما إلى من أريد، شيئا هاما ورائعا، أرجو أن نقدر على الإحاطة به بهدوء: "واحدة واحدة". تقول يا إسلام: "حتى أفهم أكثر"، وأنا أيضا أريد أن أفهم أكثر وأكثر، ولكن لنتذكر "معا" أن المسألة لا تتوقف عند الفهم ولكنها - يارب - تمتد إلى "المعايشة" و"الخبرة" و"الوعى" و"المعرفة"

... دعنا لا نتوقف، وسوف نفهم ونعرف ونعمل معا مادامنا قررنا أن نعيش.

السبت 10-11-2007

71.. انتصار السعادة: برتراند رسل (!)

هذا عنوان خادع، فاحذر

سبعون يوماً (30 + 31 + 9، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر) وسبعون يومية: تغيّر من خلالها نمط الإلتزام اليومي، وتلاحقت الأفكار، وتعددت الاقتراحات، وتكررت التراجعات، سبعون يوماً وأنا أحاول الهرب، أو التراجع فلا أستطيع لكنني مضطر إلى هذه الوقفة معكم لأعود إلى التساؤل:

ما هذا؟ ما هذا الذي يجري؟ لماذا؟ إلى أين؟ حتى متى؟

كلما لاحت لي فرصة للتوقف للتقييم أو محاولة الرد على مثل هذه الاسئلة، اختفت وراء إلحاح السكرتارية وهي تطالبي بيومية الغد، بشكل ملاحق يستحيل صده.

ثبت أن اليومية ليست عاموداً يومياً يتابع مجريات الحياة ليسهم برأى ما أو يضئ ظلام زاوية ما،

وهي ليست عملاً متملاً يصدر في حلقات.

وهي ليست عملاً جماعياً يساهم المسئول عنه مواصلة تنظيمه بمشاركة آخرين في دفعهم إلى إنجازهم والحفاظ عليه.

حتى دائرة الذين وصلتهم بعض ملامح هذه اليومية هي دائرة محدودة محدودة، لم تتجاوز بضعة أشخاص - نفس الأشخاص - صحيح أنها تتسع ببطء؟ ولا أنكر أنني أحاول أن تتسع أكثر، ولكنني في نفس الوقت أرجو ألا تتسع أكثر،

أحاول أن تتسع لأبرر الاستمرار، وأنها البداية القادرة أن "تضري إذا ضريتُموها فتضرم".

وأرجو ألا تتسع فلست مستعداً أن أكون مسئولاً عن التماذي في اتساعها، مع الإلتزام بالتجاوب والحوار المتصل.

أكتشف من خلال كل ذلك أموراً غريبة، مفيدة وصادمة وجديدة ومرعبة معاً:

أكتشف مثلاً أنه لا شيء ينتهي،

وأن البدايات أصبحت أعجز عن أن تيرر تكاثرها،

وأني لا أستطيع أن ألاحق ما أكتشفه مخزوننا في حاسوبى (الكمبيوتر)

ولا أنا قادر أن أوجز بعض أو ما هُمّشت به - مُضارعاً - أغلب الكتب التي قرأتها ولم أجد كتاباً ما وصلنى منها، كما لا أستطيع أن ألاحق الأفكار التي تراودنى وأريد توصيلها إلى أصحابها.

ولا أن أتابع راصداً ما يغمرنى به مرضاى من رؤى جديدة، تعيد تنظيم كل ما أعرف، أو تجعله يتناثر منى وأنا غير واثق متى أو كيف يعود ليستقر في شكله الجديد.

أتوقف لدقائق - ليس أكثر - وأنا أحاول أن اختار موضوع يومية اليوم (أى يوم)، ولا تطول الدقائق فلا وقت للتردد، فأمد يدي إلى أقرب كتاب من مكتبتى التي تقع أغلبها خلف مكتبى، أحيانا أمدى يدي دون أن أنظر ورائى، وأمسك بالكتاب الذى ينجح أن يقفز إلى يدي دون أن أعنيه تحديداً: إنجليزية، عربي، نفسى، شعر، طب، فلسفة، مكتبة الأسرة، أى حاجة، أنصفح الكتاب فأجد به "آثار عدوانى" على صفحاته باخوار والشجار، والاحتجاج، وعلامات التعجب، وعلامات الاستفهام، والدوائر التي تحيط ببعض الفقرات، وأحيانا بعض الجمل، وأحيانا بعض الكلمات، فأعرف أنني زرت هذا الكتاب يوماً ما، وإلا ما لخصت به كل هذه الإصابات والكدمات، والزخارف والخلقيات. حين يطلب منى أحد أبنائى أو بناتى أو زوجتى أو طلبتى أن أصور له نسخة من كتاب نادر أكون قد مدحته أو اقتطفت منه شيئاً، ويعرفون أن به ما به من آثارى هذه مما يحول بينهم وبين تلقائيتهم، يترددون في الإحاح على النسخة، ويبحثون عن نسخة عذراء لم يمسهما بشر، خصوصاً بشر مثلى لا يرعى للبياض (ولا لسواد الحروف) حرمة بشكل حضارى مهذب،

أكتشف أن أى هامش من هذه الهوامش يصلح لموضوع يومية،

الكتب التي مازالت صفحاتها تزهو بعذريتها تُبْلِغنى رسائل أكثر تحدياً: إذا كنت هكذا لم ألمسها فلماذا اشتريتها؟ ولماذا احتفظت بها في مكتبتى؟ لأعود إليها؟! متى؟ وكيف أعود إليها والكتابة أصبحت تلاحقنى هكذا حتى زحفت على الهامش الذى قد كنت قد جنّبتة للقراءة؟ أقلب في هذه الكتب العذراء فأعرف لماذا اقتنيتها، وأحيانا أتذكر يوم اشتريتها أيام أن كنت أشتري كتبى بنفسى، ومؤخراً قد أتذكر متى كلفت بعض مساعدي بالبحث عنها وشرائها، طيب ماذا فعلت بها بعد اقتنائها؟ ها هي تقيع ساكنة منسية بين مئات الكتب دون أن تعبر حتى شريط ذاكرتى وأنا بعيد عنها، لا أجد في صفحاتها - كما قلت - أى أثر من آثار عدوانى، فأذهب إلى المحتوى (أو الفهرس) فأكتشف فصولاً كنت أدفع جزءاً من عمرى لأعرف ماذا بها تفصيلاً، ويدفعنى دافعى الأول أن أرجع إلى متن أحد هذه الفصول، فأفاجأ أنها كذلك، أنها هي التي كنت أريد أن ألم بموضوعها حين افتتيت الكتاب، كنت أريد أن أحيط بوجهة

تفاجئني وأنا أبحث في حاسوبى حين أجد عنواناً رائعاً على وجه الوثيقة أو الملف، ثم أفتحه فإذا به يحوى موضوعاً آخر تماماً ليس له أدنى علاقة بالعنوان، وقد لا أجد المحتوى الخاص بالعنوان أصلاً!! والعجيب أنه حتى هذا الموضوع الآخر الذى اُخْتَبِأ وراء العنوان الزائف أجده جديراً بالنظر، وإعادة النظر كما أجده صالحاً للتقديم هنا أيضاً.

ما هذا الذى يجرى؟ ما هذا؟

أرجع أتأمل وأسأل نفسى لو أن فرويد العظيم (وليس العبد لله الأئى كلام)، أو هيجل مثلاً كانت عند أى منهما فرصة لتسجيل أفكاره وآرائه بمثل هذه العشوائية، وهذه التلقائية، وهذه الكثافة إذن لتكوا لنا من الثراء والإضافة ما هو أكثر مما تركوا، ربما عشرات المرات.

ما هذا الذى يجرى؟ ما هذا؟

الكتاب الذى وقع في يدي صباح اليوم، والذى كان سبباً في هذا الاستطرداد هو كتاب "انتصار السعادة" لبرتراند رسل، وأنا اكره كلمة السعادة هذه وأحفظ على استعمالها الطبي والتخديري والطفول والعشوائى، وقد كتبت نقداً لكتاب خصه المرحوم أ.د. أحمد مستجير في مجلة وجهات نظر، بعنوان "علم اسمه السعادة" وقد رفضت أغلب ما جاء فيه وحادثت المرحوم مستجير في ذلك محذراً ترويح عقار لشركة بذاتها (ذكر د. مستجير اسم العقار في المقال بحسن نية) تحت هذا الزعم، وكأن السعادة أصبحت حبوباً تباع فتشترى،

تساءلت وأنا أقلب كتاب برتراند رسل العظيم كيف يكتب رجل بهذا الحجم والعظمة كتاباً بهذا العنوان "انتصار السعادة"؟

تصفحت الكتاب وإذا بي أكتشف أنه من الكتب التى قرأتها بعنف، حتى أن الاعتداء ظهر بألوان أقلام مختلفة، بدأت بالأسود والأزرق، ثم سالت الدماء بالأمهر العادى، والأمهر دم الغزال، لم أصدق وواصلت التقليل حتى وصلت إلى آخر صفحة فوجدت أننى فعلاً أجهزت عليه.

وسوف نعود إلى بعض ذلك مرة فمرة، ربما في باب "مقتطف وموقف".

.... هل عرفت الآن لم حذرتك من خداع عنوان هذه اليومية؟

الأحد 11-11-2007

72.. عن "المصادقية" وتشكيلاتها

وعدت أمس أن أتكلم عن "المصادقية بالاتفاق الطولي"، لكنني رجحت أن زائر هذا الموقع قد يحتاج إلى التعرف على استعمال (أو استعمال) كلمة ومفهوم "المصادقية" عامة قبل أن أتحدث عن المصادقية بالاتفاق، ناهيك عن المصادقية بالاتفاق الطولي أو التاريخي.

كلمة "مصادقية" لها استعمال أكاديمي حين تعني validity وتشير إلى متانة وكفاءة أداة قياس ما في مهمتها التي حدتها، مثلاً: قدرة اختبار ذكاء على قياس ما هو ذكاء، مع أن هناك اختلافاً حول تحديد الذكاء، ولا تنزعجوا من فضلكم، بقدر ما أن هناك اختلافاً حول ما إذا كانت هذه الاختبارات تقيس الذكاء أصلاً أم لا، فلا تدهشوا.

وعلى ذلك فكل معلومة، وكل مقياس يحتاج من الناس موقفاً ناقداً، وليس بالضرورة حذراً.

الاستعمال الثانى لكلمة مصادقية هو الاستعمال العام الذى يتواتر أكثر في مجالات السياسة والتاريخ، فمثلاً حين نتكلم عن مصادقية بيان الحكومة أو وعودها، نحن نبحث عن مدى ما تحقق من التطبيق الفعلي لما أعلنوه، على مدى جدول زمني (عادةً لإجودونه).

وبالنسبة للتاريخ فحدث ولا حرج.

حين دعيت مؤخرًا لمناقشة مسلسل "الملك فاروق"، اعتذرت للقناة لئلا تكون الأخرى لسبب بسيط، وهو أنني لم أشاهد المسلسل أصلاً، اللهم إلا لحظات متفرقة بعد عودتي من العيادة متأخرًا. لحظاتي لا تصل أبداً إلى دقائق، مع أنني سمعت عنه ما كان ينبغي أن يدفعني إلى متابعته، لكنني لم أستطع، ولم أرغب، خاصة بعد أن انقطع عن متابعة كل المسلسلات بلا استثناء، ليس فقط بسبب الوقت، وإنما تحدياً لما شعرت أنه يحيط بي (وبالناس) من عمليات أسميها "الإغراق" و"التشتيت" مع سبق الإصرار، كان أي دائماً يردد بيت شعر جميل يشرح العجز عن الانتقاء حين يختار صياد غزلان أي غزال (ظني) يصيد، كان اسم الصياد "خراش" (هذا هو اسمه أنا مالي! لم أسأل أي فليس هو

الذي سماه)، كان هذا البيت يقول "تكاثرت الطباء على خراش... فلا يدري "جراش ما يصيد". وبالقياس: أدركت سر عزوفك ذاك، حيث "تكاثرت المسلسلات على المشاهد، فما يدري المشاهد ما يتابع"، تراجعته بهدوء، وحُرمتُ حتى من مشاركة مرضى بعض اهتمامهم التافهة ومنها المسلسلات (وهذا من أهم علامات الصحة النفسية!! الاهتمام بالتفاهة اختياراً)، المهم قبيل أغلب الذين دعوتُ إلى مناقشة المسلسل اعتذارى إلا مُعْدَةٌ شابة في قناة جديدة متحمسة، قالت لي إنك مدعو لتناقش التاريخ، بمناسبة المسلسل، وليس لمناقشة المسلسل، أفحمتني الشابة فقبلت، وتكلمت - على الهواء - عن "مصادقية التاريخ" (على فكرة البرنامج في الموقع الآن) ، وقلت فيما قلت إن التاريخ - حتى الذي يحكيه المؤرخون، حتى ما يُدرّس أكاديمياً ، هو على أحسن الفروض ، ليس إلا وجهة نظر، وأضيف هنا أن التاريخ حتى إذا كان مدعماً بالوثائق، هو يحتاج إلى وقفة متأنية قبل قبول ما يزعمون -ولو بالوثائق- أنه حقائق.

هنا، وقد سبق أن أعلنت مرارا موقفي مما يقوله ويكتبه هذا الخرفي الرائع، أستاذ أجيال الصحافة المتلاحقة، محمد حسنين هيكل حين رحلت أحذر من الاستسلام لما يقول انبهارا بالوثائق التي يقدمها، ثم استعملت لهذا التحذير تعبيرا لا يخصه -شخصياً- بالضرورة أسيئته، "الكذب المؤثق"، أعني به ما يصلنا حين يكون للمؤرخ أو للمحرر أو للراوى موقفا متحيزا (شعوريا أو لا شعوريا) ثم يروح يبحث، أو يعثر!، على ما يؤكد موقفه انتقائيا، فيوثق ما يقول بما يخالف الحقيقة - بقصد أو بدون قصد- أسيئُ هذا الموقف المتحيز المدعم بالأوراق الرسمية "بالكذب المؤثق"، بل إنني حين كنت أجد جدلا خطيرا حول صحة حديث شريف من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يعتذرون بعلم "الجرح والتعديل"، فأذهب إلى منهجية هذا العلم، وأقيسه بأغلب معطيات مناهج التسجيل الموضوعية، وبالأسول الأكاديمية لسعة الذاكرة، ومداه، ثم أستغفر الله العظيم، وأدعو لمن يبلغه (أولا يبلغه) ما بلغني، ولنفسى، بالغفران والهداية، وأنتفع بالحدِيث النافع الملهم شاكرًا أفضالهم، مصليا ومسلما على رسولنا الكريم،

ثم جانب آخر يتعلق بالمصادقية التاريخية أيضا وهو مدى مطابقة ما يسمى بالسيرة الذاتية على واقع الحال، وقد أشرت إلى ذلك تفصيلا في يومية سابقة - هرمان هسه -

أما أغرب ما دعاني إلى الشك أكثر فأكثر في مصادقية بعض التاريخ. فهو الاعتماد على صور وتماثيل وآثار وكتابات قدماء المصريين، واستخراج حقائق تاريخية، منها: نفخر ببعضها، ونفسر بعضها، ونعتبر بعضها مقياسا لغيره.. إلخ

ثم خذ عندك استنتاج حقائق سيرة ذاتيه تحليلية نفسية عن مبدع تشكيلى (مثلاً)، مثلما فعل فرويد مع ليوناردو دافنشى، وغيره، أنا لا أرفض أن يكون الإبداع مصدرا للتاريخ

العام، أو الشخصي (كما سيرد حالاً)، لكنني أنبه إلى أنه أيضاً "وجهة نظر"، وزاوية محددة لا ينبغي أن تتعدى مساحتها.

التاريخ ليس هو المكتوب في وثائق التاريخ، لا المتاحة أولاً بأول، ولا الرسمية المخزونة لعدد من السنين ثم يفرج عنها للدراسة، وكأنها الحق الذى ليس وراءه ولا أمامه.

التاريخ الموضوعى الحقيقى هو ما احتوته خلايانا حتى الآن، هو تركيبنا الجبلى وما ترمج في أمهاتنا النووية، نوعاً بعد نوع، وجيلاً بعد جيل، وأسرّة بعد أسرّة، ثم أفراداً تحمله ونسعى به: نشوّه، أو نفسد إنجازاته، أو نرعاه.

ليس معنى ذلك أننى حتى أعرف تاريخ الملك فاروق أروح أفحص الدنا DNA من ابنته الأميرة فريال، ولكن ما أريد تأكيدّه هو ضرورة البداية بما هو "الآن"، مما هو "نحن" هكذا، صحيح أنه من المفيد أن نخطط بالأحداث التي جرت بدرجة ما، لكن لا بد أن يكون ذلك باللجوء إلى أكثر من مصدر، ومن خلال موقفٍ نأقِد طول الوقت.

المصادر المتاحة -الأخرى- التي أؤكد لزوم الاستعانة بها، قبل وبعد الوثائق والمؤرخين، يمكن تعدادها كالتالي:

1. الإبداع المنشور بكل أشكاله وخاصة إبداع الحكى، نحن يمكن أن نعرف على القاهرة، وحقبة مهمة من تاريخنا الحديث جداً، من روايات نجيب محفوظ أكثر من أى مصدر أكاديمى
 2. الإبداع غير المنشور (بالمعنى الرقائى أو بانعدام فرص نشره) وقد يكون أهم، لأنه قد يحوى من المعلومات ما يتصف بالصراحة والجرأة أكثر بكثير مما يحويه الإبداع المنشور
 3. ما سجله الوعى الشعبى بما يتيح أن نقف منه موقف النقد لا التسليم، وهذا يشمل تنوعات كثيرة من أهمها:
 - ما سجله الوعى الشعبى الممتد قديماً في أمثال ومواويل وملاحم وسير (السيرة الهلالية مثلاً، وما طرأ ويطرأ عليها من ارتجال وتلوين، شكراً يا عم عبد الرحمن يا أبنودى)،
 - ما ابتدعه يسجله الشباب الآن من لغة جديدة ويسجلونه ويستعملونه (بالاشتراك مع مجتمع "البيئة" كما يطلقون عليه)،
 - ما تسجله "ثقافة الإدمان" خاصة، وما يصلنا من تعرية المرضى خاصة بعد كسرهم
 - ما تسجله الفنون التلقائية والشعبية، والتدين الشعبى في الموالد، والمديح خاصة... الخ
- أكتفى بهذا القدر من المصادر المساعدة لأنبه إلى رأيي في "مستويات المصدقية التاريخية" التي تعرض على الناس عادة
1. مستوى الواقع الواقعى "بما هو" (ونحن لا نعرفه، وقد لا نعرفه مهما حاولنا)

2. مستوى الواقع الحكى (شهادات الشهود على عصر ما، أو فردٍ ما)
3. مستوى الواقع الوثائقي الرسمي، حالاً ومستقبلاً
4. مستوى الواقع الوثائقي الشخصي (بعض الأحاديث المسجلة والسير الذاتية وغير الذاتية).
5. مستوى الواقع الإبداعي، والتشكيلي

.....

- فانظر بعد ذلك كيف نرادف بين آخرمستوى (5) وأول مستوى (1) حين نأخذ ما جاء في دراما أو مسلسل باعتباره مصدرا تاريخياً مسلماً به
- أو انظر كتب التربية الوطنية ، والتاريخ المقررة في المدارس الرسمية
- أو أنظر الوصاية اللفظية السلفية التفسيرية المغلقة، على الواقع الحى المتفجر نورا نحو الأصل...إخ
- هذا ، ناهيك عن عبث الحكام بتاريخ من سبقوهم، سرقة، أو نفخاء، أو تزويرا أو تشويها.

.....

أنا لا أريد أن أخلص من كل ذلك إلى أية توصية بإهمال التاريخ،

فقط علينا أن نحسن قراءة ما يصلنا منه،
 وأن نحسن نقده
 وأن نحدد مستواه
 وأن نتحمل مسؤوليته،
 خاتمة

يا خير !!! كل هذا عن المصادقية التاريخية فقط
 كل ذلك ولم ننتقل بعد إلى ما أسميته "المصادقية بالاتفاق الطولى" التي تعلن جهلى، وفي نفس الوقت أستعملها مبعثاً لفخرى أحيانا ؟
 فلنؤجلها إلى يومية لاحقة إذا سمحتم .

الإثنية 2007-11-12

73-.. عن "المصداقية" بالاتفاق

تحدثنا أمس عن المصداقية عامة، تمهيدا للحديث عن المصداقية بالاتفاق consensual validity وهو حديث أصعب، وأخطر، لكن يبدو أنه أهم.

الفكرة الأساسية هي أن الفرض، أو الرأي، أو الموقف، يكون حقيقى وصادق (أى تتحقق مصداقيته) إذا اتفق على صحته أكثر من واحد (بالإضافة إلى صاحبه).

هى مسألة أصعب لأن تعبير "اتفق على صحته" يصعب تقييمه، كما أن صفات ومواصفات المتفقين يصعب تحديدها أكثر

وهى مسألة أخطر لأنها قد تفتح الباب لتصديق آراء وأفكار قد تكون خاطئة، وقد تكون سلبية، وقد تكون ضارة، ثم نعتد بمصداقيتها مجرد الاتفاق عليها

وهى مسألة أهم لأن كثيرا من أحداث التاريخ، بل واستمرار التطور، وربما بقاء الأنواع قد تم بنوع خاص من الاتفاق الذى سمح بهذا البقاء أن يستمر ويتطور.

إذن الذى نقصده بالاتفاق هنا ليس مجرد "إبداء الرأي بالموافقة" أو بتسجيل الأصوات أن نَعَمْ!، وإنما يعنى الاتفاق هنا كلا من: الاتفاق بالمشاركة، الاتفاق بالمواكبة، الاتفاق بالتكافل، الاتفاق بالرأى غير المعلن، الاتفاق بالرأى المعلن.

طبعاً، سوف لا أتناول كل هذه التصنيفات معا فى يومية واحدة،

بداية شخصية

أشرت أول أمس أن البحث فى مكتبتى عن مواد مثرية لكتابة هذه اليومية جعلنى أكتشف أن "...مواضيع ونظريات وآراء" أكون شخصيا قد وصلت فيها مؤخرا إلى فرض أو تصور أو نظرية تصورت أنها جديدة وأصيلة، أكتشف أنها قديمة، وأن هناك من سبقنى إليها بأروع وأدق مما اكتشفته أنا بينى وبين نفسى مؤخرا، فأخجل من جهلى، وأحمد الله أننى لم أسارع بنشر أفكارى هذه حتى لا تبدو أنها سرقة بشكل أو بآخر، ثم أعود أفخر أننى وصلت بنفسى إلى ما سبق أن وصل إليه هؤلاء الرواد الثقة،

3- يا ترى ماذا فعلت الفرص التكنولوجية التواصلية الأحدث في هذا العقل الجمعي (الوعي الجماعي المبدع)؟ هل زادت من فرص نشاطه معاً، ومن ثم من فرص أن "يحمل" بالأفكار الجديدة أفراداً أكثر فأكثر، حتى من الأفراد العاديين فتكون فرص ولادة ما ينفع الناس أكثر فأكثر؟ أم أنها أفسدت تناغم هذا الوعي المعرف الجمعي (العقل البشري الجماعي) بالتركيز حتى الإغراق بتواصل رمزي لفظي ملاحق طول الوقت؟

4- هل توجد علاقة بين احتمالات تكوين الأفكار والنظريات الأصلية المتجددة في رحم هذا العقل الجمعي، ثم ولادتها في أزمان متقاربة (أو إعادة ولادتها في أزمان متباعدة) من خلال بعض الأفراد المتميزين عادة، وبين نظرية "المثل" لأفلاطون (أذكر أن احدهم - ربما أليكسيس كاريل- قال إنه يشك أنه عبر التاريخ لم يفهم جمهورية أفلاطون أكثر من "دسته" من البشر، وأنا أصدقه)

5- هل يمكن أن يطمئننا ذلك إلى أن الكون، بهذا التركيب، يحمل مقومات حفظ الحياة، بفضل الله، فتتقن البشرية ضمناً، في مواجهة كل هذا العيب القاتل الذي تمارسه قوى الانقراض التدميرية الانتحارية الزاحفة من أعلى معظم الوقت؟

وأسئلة أخرى كثيرة، لا أستطيع، أو لا أريد، الإفصاح عنها

اعتذار (نصف نصف)

ولكن ما جدوى كل ذلك في هذه اليومية؟

لست أدري

لابد أن لها جدوى،

وإلا ما كتبتها هنا الآن.

الوجه السلي

ثم إنني سوف أؤجل الحديث عن الوجه السلي لما أسميته "المصادقية بالاتفاق" التي لابد وأن تكون سلبية، بل وضارة وخطرة حين يكون الاتفاق زائفاً، أي يفعل فاعله، أي بتأثير مغرض أو أعمى، يشوه الطبيعة البشرية كما خلقها الله. فنحن نعرف - مثلاً- عبثية الديمقراطية المزيفة التي يتبرمج بها مجموعة من الناس فيتفقون على تولية أسوأ من فيهم عليهم،

كما نعرف الإعلام الغاسل لأخاخ البشر حتى يتفقوا على هلاكهم، لصالح هلاك الأثرى فالأثرى!! من خلال عماء الانتحاري،

وأيضاً لا يخفى علينا غياب الاتفاق على استهلاك ما لا لزوم له مجرد الاتفاق على أنه له لزم جداً بفضل الإعلانات،

كل هذا جدير بأن يقلل من غلواننا ومحاسنا لما يسمى المصادقية بالاتفاق "المصنوع".

وفي العلاج الجمعي

في خبرتي في العلاج الجمعي، أثناء الجلسة النشطة، التي تستغرق 90 دقيقة أسبوعياً، وتتكون من مجموعة من 8-10 أفراد غير المعالجين، يحدث التالي: يُطرح رأئ ما، أو يعلن أحد المرضى موقفاً ما، أو يبدو على المريض، أو المعالج تعبير جسدي، أو

يلوح في عين أحدنا قولُ ماء، ونحن في المجموعة لا **نُتناقش**، وإنما **نعيش ما نقول** بكل اللغات(!!)، لا يوجد: **إثبت لي وأثبت لك**، لا يوجد **"بأمارة، وعشان، وبما إن..."**،

إذن ما ذا يوجد؟

نروح نعمّق هذا التعبير أو نعيش هذا الرأي ، ونعرضه على بعضنا البعض، فيصل إلى البعض ولا يصل إلى آخرين، وقد يصل معكوسا إلى بعضنا، فنذكر عكسه، ثم نعيش الاحتمال ونقيضه، ونشارك في القبول والرفض، وننتهي باتفاق نسبي (طبعاً ليس بأغلبية الآراء، وإنما بتحريك رأي جمعيّ يُخضّر - دون إعلان مباشر - وسط المجموعة ضامًا نشيطاً) ثم نأخذ ما اتفقنا عليه، ليس قضية مسلمة، فنعيد اختبارها، ونرى نتائجها على صاحبه، ثم على المجموعة، ونواصل مسيرة النمو

أعرف أعرف،

وصلني اعتراضك عزيزي القارئ/ الزائر

لتأخذها نكتة إن شئت

لكنها **"مصادقية باتفاق المجموعة" على شيء مشترك**

على أن "شيئنا" يتم من خلاله النمو فالشقاء

وتظهر نتائجه باضطراد

هل هكذا تمّ التطور؟

ربما هذا هو ما حدث بين الأحياء على مدى التاريخ الحيوى،

فبإعادة النظر في قوانين ومسار البقاء، انتبه العلماء فالناس إلى أن **مسألة البقاء للأقوى** ليست هي القاعدة الأولى والأخيرة، وإنما البقاء - أيضا وقبلا - **"للأقدر تكافلا"**، مع أفراد نوعه، ومع بقية الأنواع.

وأحسب أن اتفاق الأحياء (الباقية) على أن البقاء ممكن ومستمر، قد أعلنت مصادقته لنا نحن البشر، من خلال أننا مازلنا نحيا بين كل هذه الأحياء، مع أننا - مع جميع الأحياء الباقية - لا نمثل إلا واحداً في الألف من كل الأحياء عبر التاريخ، والباقي 99.9 % انقرضت.

فأين نضع صراعات الإنسان المعاصر بين كل ذلك؟

وأى "اتفاق" هو الذى يسود الآن،

الاتفاق المصنوع من خارج الطبيعة البشرية لصالح هلاك الانتحاريين الأثرياء العمى، ونحن معهم؟

أم الاتفاق التكافلى الذى يثبت مصادقية أننا "يمكن أن نعيش معاً"؟

هيا !

74- استطرادات طريفة وسخيفة وسخيفة !!

استطرادات طريفة وسخيفة !! حول كتاب جيد
عن "السعادة"، برغم كل شيء!

كتاب برتراند راسل "انتصار السعادة" (الذى لن أتناوله تفصيلاً اليوم) ظهرت طبعته بغلافها الورقى سنة 1975، وقد كتب قبل ذلك ربما بأكثر من ربع قرن، ربما، في حين أنه توفى سنة 1970 بعد أن ناهز المائة عام (ولد 1872)، والكتاب اسمه بالإنجليزية the Conquest of Happiness وقد ترجم إلى "انتصار السعادة"، رجعت إلى أصل كلمة Conquest ولم أرتح للترجمة، ولم أجد بديلاً، فرضيت بالترجمة.

هو كتاب إنسان، فيلسوف، شجاع، عالم رياضى: لعله وجد السعادة بطريقته الخاصة، بعد رحلة طويلة من البحث والمحاولة، حتى وصل إلى مرحلة الحكمة المغطاة، ويبدو أنه رفض أن يحتفظ بما وصل إليه لنفسه، أو لعله خجل من ذلك، أو ربما وجد أن سعادته تكتمل إذا أهدى خلاصة خبرته التى أوصلته إلى ما وصل إليه، إلى القارئ العادى، فقد أقرّ في أول خمس كلمات أن "هذا الكتاب ليس موجهاً للعلماء..". وأنه ليس إلا بعض الملاحظات التى يمكن إدراكها عبر ما يُعرف بالحس المشترك (أظن الكلمة بالإنجليزية هى common sense وهى تعنى المنطق البسيط العام العادى)

المقدمة لا تتجاوز صفحة ونصفا (قطع صغير) شغل نصفها المؤلف بمقتطف من شعر "والت ويطمان" يقول:

"أعتقد أن باستطاعتى الاتجاه للعيش مع الحيوانات
فهى مسألة للغاية... ومتمالكة لأنفسها
إننى أقف وأنظر إليها طويلاً طويلاً
هى لا تعرف الأسى والعويل على أحوالها
ولا تستيقظ مستيقظة فى الظلام.. تبكى من خطاياها
ولا تجعلنى مشمئزاً بمناقشة واجبها تجاه الله.
فلا واحد ساخط
ولا واحد منها مصاب بهوس تملك الأشياء
ولا أحدها يركع لآخر أو لواحد مثله عاش منذ آلاف السنين

هذا بعض ما كان في المقدمة!
أما ما جاء على ظهر الغلاف فكان مقتطفاً من كلمات
لبرتراند راسل شخصياً، قال فيها:

"الحيوانات سعيدة طالما كانت بصحة جيدة، ولديها ما
يكفي من الطعام، ورغم أن البشر يجب أن يكونوا كذلك، إلا
أنهم في عالمنا الحديث ليسوا سعداء، على الأقل في الغالبية
الغالبية من الحالات"

اقتطاف شعر "والت ويتمان" هكذا لا يسمح لنا أن نتصور
أن برتراند راسل يصدقه كله، لكن ماذا عن ما ورد على
لسان المؤلف شخصياً على غلاف الكتاب؟ هذا وذاك هو الذي جعل
الاحتجاج يقفز مني، لتهجم على استطرادات متلاحقة، قد لا
تكون لها علاقة مباشرة بتفاصيل محتوى الكتاب.

نبدأ بالنظر في شعر ويتمان، دعونا نتفق معه ونختلف.
نتفق على أن الإنسان قد ورط نفسه فيما أدى إلى حرمانه
من السعادة مثل:

- (1) العويل على أحواله
- (2) الشعور بالذنب
- (3) السفسة العقائدية
- (4) هوس التملك
- (5) الشرك وعبادة الفرد
- (6) التعاسة

ثم نختلف معه في:

- (1) أن الحيوانات مسالمة للغاية
- (2) وأنها متمالكة نفسها
- (3) وأنها باختصار، سعيدة بحيث نأمل أن نكون مثلها، أو
نعيش بينها

ثم توالت الذكريات والاستطرادات هكذا:

الذي استوقفني في البداية هو احتمال قبول برتراند راسل
نوع سعادة الحيوان مع تواضع مستويات وعيه التي تسهل له
هذا التآلف الظاهر، أو احتمال وقناعة راسل أو ويتمان بما
يغري بالعيش مع أو مثل هذا الحيوان السعيد، وبالتالي هو
يقدم لنا وصفة تؤدي إلى مثل ذلك، أو قريب من ذلك.

ذكرني ذلك ببعض ما شاع من طُرف ونوادير في هذا الاتجاه حين يجيل
إلينا أن الحمار هو الأسعد، وأن النفس المطمئنة هي النفس
الهادئة الساكنة الراضية البيضاء، وأن الراحة والكسل
الاختياري هما الدليل على القناعة بما جرى ويجري، فهي السعادة!

عن والدي أنه قال:

حين أشار رسل هكذا مباشرة إلى نموذج السعادة الحيوانى،
تذكرت والدي وهو يعابثنا مردداً:

"كَبُرَ عَلَى الْعِلْمِ يَا صَدِيقِي، ... وَمِثْلُ إِلَى الْجَهْلِ مِثْلُ هَائِمٌ"

"وَعِشْ حَمَاراً تَعِشْ سَعِيداً، ... فَالْسَعْدُ مِنْ طَالَعِ الْبَهَائِمِ"

رجعت أيضا إلى حوار الجمعة السابق وقرأت الإبن د. كريم شوقي وهو يقول:

" .. وَالْجَهْلُ نِعْمَةٌ، وَفِيهِ كِرَامَةٌ، زِيهِ زِي الْجُنُونِ"

ثم يردف

"وحضرتك مصمم تفوقنا من الجهل والكسل اللذيذ والعتة البليد"

وعلى ذكر الكسل كان والدي يردد أيضا رجذا يقول
**"إِنَّ الْبِلَادَةَ وَالْكَسْلَ ... أَحْلَى مَذَاقٍ مِنَ الْعَسَلِ
 إِنَّ لَمْ تَصَدَّقْنِي فَسَلِّ ... مِنْ كَانَ قَبْلِي فِي كَسَلٍ"**

بل إن والدي أيضا كان يعابثنا وهو ينيهنا إلى ضرورة النطق العربي السليم، وأن المعنى يتغير بعدم الدقة في الالتزام بالتشكيل، ثم يروح يثبت لنا ذلك وهو يحكى لنا عن ما فعله بعض المشايخ الجاهزين لتبرير أي كلام حرفي بتفسير جاهز، (والدي كان شيخا مجبة وقفتانا حتى سنة 1924 قبل أن أولد بتسع سنوات، وهو مدرس ثم "مفتش" عربي ودين) حكى رحمه الله (نكتة أو حقيقة) أن أحد زملائه الطلبة المعممين في المعهد الأحمدي قرأ الحديث الشريف "المؤمن كئيس فطن" قرأه "المؤمن كئيس فطن"، فذهب إلى شيخه متعجبا كيف يكون المؤمن كئيس فطن، فانبرى شيخه مفسرا: أن طبعاً، لأن المؤمن مطمئن طيب، فقلبه أبيض مثل القطن، وأنه باله رائق، وهو هادئ مستقر، فهو بدين مثل الكيس، ثم يؤكد أبي أنها نكتة، فنضحك، ونفهم، ونحذر الاستسلام الأعمى، كما نحذر التفسيرات الجاهزة، لكني أعود إلى أصل الحديث الشريف فأسأل والدي عن المعنى الدقيق لكلمة "كئيس"، المؤمن "كئيس" بتشديد الباء وكسرهما، فيفهمي أنها من أرق وأجمل الكلمات العربية وأنها ربما تقابل كلمة "جنتلمان" بالإنجليزية، ثم يضيف ضاحكا هل تعرف أن كلمة "جنتلمان" ترجموها بسبع كلمات هكذا "رجل ظريف لطيف مُجَلِّجٌ لَاعِيبٌ فِيهِ" ويضحك، فنضحك.

استطرد طويل، لكن هكذا تواردت الأفكار والذكريات تير رضى لهذا **الكسل العقلي** إذا سمي **"سعادة"** (وهو ما لم يُقَلِّ به راسل)

يبدو أن موقفى الحذر من هذه السعادة كما جاءت فيما أورده الصديق المرحوم د. أحمد مستجير في تلخيصه كتاب **"علم اسمه السعادة"** **يومية 10-11-2007**، وأيضا من السعادة التي ترتم على وجوه صور النساء المرسومة على أوراق الدعاية للأدوية اياها، صورهن وهن يبتسمن بعد أن يتعاطين الدواء الفلان، يبدو أن هذا وذاك قد صبغا موقفى من الكتاب بمجرد أن قرأت هذه الإشارة في المقدمة وعلى ظهر الغلاف.

فاجتمع لدى رفض جاهز ضد كل ما هو سعادة جاهزة، وضد سعادة الحيوانات، وضد سعادة شركات الدواء، وضد سعادة الكسل اللذيذ، فلم أستطع أن أوقف الاستطرادا والذكريات، فيقفز عنوان كتاب ترجمه أيضا د. أحمد مستجير في سلسلة كتاب الهلال باسم "أفكار تافهة لرجل كسول" (يونيو 2000) تأليف جيروم ك جيروم (1989) ربما قفز لي هذا الكتاب أيضا لأترخّم على هذا الصديق الجميل د. مستجير وأغفر له تلخيصه حسن النية لكتاب "علم السعادة"، وكتاب جيروم هو -عكس عنوانه- راح يبركني ضاحكا في اتجاه نشط ضد كل كسل، فأقرص أذن وأقول لنفسى، كفى سخفا وشجبا لكتاب برتراند راسل، وانتظر حتى تناقش محتواه، لكن الاستطرادات تتواصل ويفرض كتاب جيروم نفسه، فأقتطف منه هذا المتقطف الطويل، وأقرر أن أضمنه اليومية، وهو من فصل اسمه "عن الكآبة"، يقول فيه جيروم:

"...أستطيع أن أمتع بالشعور بالانقباض، وهناك شعور ضاف بالرضا عندما تكون تغيسا.. لكن ليس من يجب نوبة من الكآبة، ورغم ذلك فكلنا يصاب بمثل هذه النوبات. أيا كان نوع النوبة، فإن أحدا لا يدرى لها سببا. ليس ثمة تبرير لها. فلقد تصيبك بعد يوم واحد من وقوعك ثروة هائلة، مثلما قد تصيبك في اليوم التالي لنسيانك مظلتك الحريرية بالقطار.

فإذا تمكنت منك النوبة فلن تستطيع أن تفعل شيئا، ولا أن تفكر في شيء، لكنك ستحس في نفس الوقت بضرورة أن تقوم بعمل ما. لن يمكنك أن تجلس ساكنا. ستضع قبعتك فوق رأسك وتخرج لتتمشى، ما ان تبلغ أول ناصية حتى تمنى لو أنك لم تخرج، فتكر راجعا إلى منزلك، تحاول أن تقرأ، فتكتشف أن شكبير ليس إلا كاتبا مبتذلا، وأن تاركى ممل، وأن كارلايل عاطفى أكثر من اللازم. تلقى بالكتاب جانبا، وتجلس تسب الكتاب واحدا واحدا. تطرد القطة الملعونة من الحجرة، وترفس الباب مغلقا إياه خلفها. تفكر في أن تكتب خطابا، فتبدأ: "خالق العريضة . وجدت الآن أن وقتي يسمح لي بمخمس دقائق، فأسرعت أكتب إليك". لن تجد غير هذه الجملة، فتجلس أمامها ربع ساعة دون أن يلمحك الله جملة أخرى. تلقى الورقة في درج مكتبك، وتقذف بقلمك مفتوحا فوق مفرش المنضدة فتلوته بالخبر.

تس الآن أنك شخص محطم مسحوق، وتتمنى أن يأخذك الله إلى مساواته ويرجيك. تتخيل نفسك راقدًا في فراش المرض ومن حولك كل أصدقائك وأقاربك ينتحبون. تباركهم جميعا -لا سيما الجميلات منهم. سيفدرونك حق قدرك عندما تقضى- هكذا تقول في سر- ثم تقارن، والمرارة تملؤك، بين ما يبدوه من احترام لك عندما تقضى، وبين قلة توقيرهم لك الآن .

تتسبب هذه الأفكار في أن تحس ببعض البهجة، لكن ذلك لا يستمر طويلا، إذ سرعان ما تتذكر مدى بلاهتك إن أنت تخيلت للحظة أن هناك من سيحزن من أجلك. بالله من سيهتم حقا بك إذا أنت نسفت أو شنتت، أو تزوجت، أو غرقت؟ لا أحد يهتم بك، لا أحد! من قدرك يوما حق قدرك؟ من منحك يوما ما أنت جدير به من تبجيل؟ تستعيد ماضى حياتك كله. إن الواضح الجلى أنهم جميعا قد أساءوا واستخدامك منذ كنت في المهد صبيا

تغرق نصف ساعة تتفكر في هذه القضايا، فتستشيط غضبا من كل الناس، لاسيما من شخصك. ولولا تلك الأمور التشريحية التي تعرفها لأعطيت نفسك "شلتوتا"

إلى أن قال:

هذا -على الأقل- ما نفعله نحن العزاب في هذه الظروف . أما المتزوجون فلهم طرقهم الأخرى . فهم يشرعون في التنكيد على زوجاتهم، وفي الدممة أثناء تناول الطعام ... الخ

صحيح أن المقتطف طويل، لكنني لم أستطع أن أختزل منه ما يكفي، ولعل به دعوة لأصدقائي زوار الموقع ليقرأوا الكتاب، وأيضا هو مثير للتساؤل: كم من الأطباء يعرف هذا الوصف للكآبة هكذا؟! لقد خفف هذا الفصل عني كآبتي دون تعاطي حبوب السعادة اياها، ولو تركت نفسي لفرضت عليك - عزيزي زائر الموقع- الفصل كله حتى تصدقني قبل أن أنتقل إلى استطرادٍ شخصي أسخف.

هل الحيوانات سعيدة؟

عندنا في الطب النفسي عرض اسمه Ecstasy ولم أجد له ترجمة دقيقة في لفظ واحد حتى الآن، هذه الحالة الخاصة من اضطراب الوجدان، هي خليط من "الهدوء الخالم والافتتان لدرجة تقترّب من الذهول" الجميل، وحين كنت أشرح لطبّعي الفرق بين هذه الحالة وبين "فرط المرح" Elation أو "فرط الابتهاج"، كنت أقرن بين ذلك الهدوء الجميل الذي كنت أشاهده والجاموسة بكل حجمها الضخم تتمايل بجسدها بهدوء رائع وهي تستحم في ترعة بلدنا، وبين قفز كلبتنا الصغيرة أمام والدي وهي تستقبله في حديقة بلدنا مهللة فرحة بقدمه محتفظة بالمسافة التي قررها هو لها، فتعلّمت ألا تتجاوزها، فيقدر ما كان أبي يجيها ويأنسن بها في وحدته باستراحته في حديقتنا خارج القرية، كان يضع لها حدوداً لا تتخطاها، ولفرط تعلقها به كانت تحترم هذه الحدود، التي لا تمنعها من استقباله مبتهجة بكل هذا القفز والتهليل الصاحب، مقارنة بنعومة السعادة الذاهلة عند جاموستنا حين تستحم في الترعة.

نفس هذه الحالة من الذهول الجميل الذي وصفته في جاموستنا في الترعة يمكن أن تشعر بمثلها على وجه مواطن صالح في الحزب الوطني يتابع خطبة الرئيس، كما يمكن أن تشعر بما يقابلها أو يشبهها -من الظاهر- في وجه بوذي يتأمل، أو صوفي وُضِل، أو خيل إليه أنه وُضِل، أو مبدع توافق مع إبداعه، الفرق بين سلاسة وانسياب حركة هذا الجسم الضخم في الترعة، والمواطن الصالح عضو الحزب الوطني، وبين نشوة وانجذاب متصوف لاح له نور ربه، هو فرق بين السماء والأرض برغم، ظاهر التشابه (وسوف نرجع إلى توضيح ذلك يوما).

أنا لا أدعي أن كتاب برتراند راسل قد تناول السعادة بالمفهوم الذي توحيه ظاهرة كلمات "ويتمان"، أو حتى ما جاء على ظهر الغلاف. وأعترف أن كل ما جاءني بكل هذه الاستطرادات ليس له علاقة بالكتاب، وإنما أنا أنبه إلى ضرورة البدء

بالخذر من طرح مفهوم لكلمة بهذه الأهمية الشائعة مثل كلمة "السعادة" في "سوبر ماركت" الكلام بما لا يتناسب مع استجالاتها، مهما كانت خشن نية كهل حكيم جميل كريم لم يبخل علينا بجلالة تجربته.

من أهم ما يميز هذا الكتاب هو انه بدأ بالتعاسة "مسببات التعاسة"، هذا هو الجزء الأول، أما الثاني فهو "مسببات السعادة"، فقفز لي تحيز مضاد جديد، فأنا لا أنكر أنه أصبح عندي نوع من الحساسية كلما ركز أحدهم على السؤال عن المسببات، أوتبرع بتعدادها، حتى لو كان براترند راسل، من أين لنا أن نعرف السبب بعد السبب بهذا الربط الخطى بين أكوام الجارى حولنا أمس واليوم ودائما.

ولحين أن أخلص من بعض مواقف المضادة هذه، دعونا نؤجل مناقشة هذا الكتاب الذى أفادني بحق في أمور كثيرة كانت غائبة عني، كما نبهني إلى أخطاء كثيرة كنت متورطا فيها، (ألا يكفى هذا لأعتذر عن كل ما أصابه من قبل تقديمه).

هأنذا أعتذر، وأدعو له - للمؤلف- برغم أنني أعرف موقفه من دعواتي هذه، لكنني أدعو له رغم أنفه، وأثق أن الله سيرحمه دون أن يستأذنه.

وأترك الكتاب مؤقتا حتى أعود إليه باحترام مناسب، وشكر هو أحق به، وأقدم -مضطرا رافضا ما أقدمه- موقفي من هذا المفهوم الغريب "السعادة"، كما تحدّد لي من طول ممارستي الحياة أنا أيضا (أصغر منه وقت ماكتب الكتاب بربع قرن فقط)، داعيا الله أن يأخذني قبل أن أصبح أكثر حكمة!!

وفيما يلي، ما خطر لي "الناحية الثانية" (!!)

خطوط عامة (وفروض) للمناقشة :

- 1- إنه لايجوز الحديث عن السعادة أصلاً، (أو البحث عنها)، فهذا في ذاته: ضدها
- 2- إن الوعي بها (أو بأى مسمى باسمها) هو نتاج جانبي لحياة قادرة على إفرازها من ورائنا، بما يسمح لها أن تتسرب إليك من باب تركته مفتوحاً دون قصد .
- 3- إنها حركة نابضة، عميقة وغامضة، وهائلة وساحرة دون إعلان ذلك، وهى لا تتعارض مع الألم الحى، والحزن الخلاق .
- 4- إنها متعددة التجليات بتعدد التباديل، والتوافيق مع سائر مستويات وجود الفرد وتقلباته، لكنها في النهاية حضورٌ كلىٌ مشتمل
- 5- إنها مسامية (تسمح بالدخول) انتشارية (يستحيل حبسها فيمن يتمتع بها وحده لنفسه)
- 6- إنها نمائية (من النمو)، إذ تواكب وتدفع إلى ما بعدها، والذى هو هي، لكنه مختلف
- 7- وهى غير حاضرة بما هى إلا "الآن جداً"، "الآن فقط"، "الآن الممتد أبداً"،

- 8- وهى القادرة على أن تملأ الوقت بما يستحق أن يُملاً به، بغض النظر عن نوع محتواه
- 9- وهى غير قابلة للتعريف، ولا حتى بأنها ضد ما هو عكسها!!
- 10- وهى ما تبقى فيك رغما عنك مما سبق ذكره، ما تبقى من كل ذلك، مما هو ليس أيا من ذلك!!
- وبالتالى فهى أبعد ما تكون :

- عن سعادة الحيوان
- عن النفس الساكنة (المطمئنة خموداً)
- عن الرضا المعلق
- عن الدوام (الخلود)
- عن الإجابات الحاسمة النهائية، مهما كانت صحيحة.

وبعد

لو أنها هى كما ذكرنا الآن، فهى "ليست السعادة" التى يتحدثون عنها

ولو أنها "السعادة" فعلاً فلن يجرؤ أحد أن يدعى أنه سعيد.

اقتراح عمليّ (لا تأخذ به من فضلك):

"تصوّرتُ أنه ...، أننا... يمكننا أن نكتشف، بما نحن فيه الآن"، دون أى جهدٍ إضافيٍّ، أن كل ما ذكّر سالفاً هو موجود لدى أى واحد منا، حالاً،

وأننا لا نشعر به لأننا لم ننتبه إلى أنه يدخل فعلاً من الباب الذى نسينا أن نغلقه (بند 2)،

وأن كل ما علينا هو أن ننتبه إلى هذا الباب المفتوح أصلاً،

لعلنا نستقبل منه بعض كل ذلك،

برغم كل ما هو ليس كذلك !!

آسف والله العظيم

لم يكن قصدى

ولكنه صدر منى من فرط الغيظ المُجِبِّ لكتاب برتراند راسل العظيم

- أى والله.

- يقول ألبير كامى: إنك لن تحقق السعادة أبداً ما دمت تبحث عنها، كما أنك لن تُخيا أبداً طالما أنت تبحث عن معنى للحياة .

تقول إديث وارثون: ... لو فقط توقفتنا عن محاولة أن نكون سعداء، لأتبع لنا وقت طيب (أطيب) .

الإربعاء 14-11-2007

75- عن ماهية الوجدان وتطوره!

حين نشرتُ يومية عن "الفصام" بتاريخ 2007-10-30 قلت إنني سوف أستغل هذه النشرة لأفي بوعدى للإبنة الكريمة د. أماني الرشيدى بكتابة كتاب الفصام الذى وعدتها به، أو بتعبير أدق الذى أخت هى على لكتابته، وقد أرسلت لى تنبهى ألا أترجع، وأن اخف من عرض الحالات (أو هذا ما فهمته) لأن الناس (لعلها تقصد الأطباء) ليس عندهم وقت لقراءة أى شئ طويل، تذكرت أول مرجع مبسط فى الطب النفسى قرأته سنة 1958/1959 لمؤلفيه هندرسون & وجليبيسى، وكيف انه كان مليوناً بالحالات الشارحة الرائعة، ولما أعيد طبعه جاء فى مقدمة طبعته التالية (أظن سنة 1962) اعتذار رقيق من المؤلف يقول فيه: اضطرت لوداع أصدقاء (يعنى حالات الطبعة السابقة) مرغماً، وحين قرأت أنا هذه الطبعة الجديدة، لم أحب الكتاب مثل الطبعة الأولى وشعرت أنى مثله أيضاً، فقدت نفس الأصدقاء.

ثم إنى حين ألقت بدورى كتاباً مشتركاً مع المرحوم أ.د. عمر شاهين باسم "مبادئ الأمراض النفسية" التزمنا بتقديم موجز لبعض الحالات، أسوة بهندرسون، ولكن بدرجة أقل، وهذا أيضاً هو ما اتبعناه فى كتابنا بالإنجليزية **ABC of psychiatry** وتعمدنا أن تكون شكوى المرضى بالفاظهم العربية بالعامية، المهم أعدت قراءة بريد د. أماني مرة أخرى، ورفضت توصيتها بالإقلال من الحالات، وإذا بالنتيجة أنى توقفت عن الاستمرار، لا أنا كتبت الحالات ولا أنا بدأت المتن النظرى عن الفصام، لست متأكداً إن كنت قد توقفت نتيجة لضعف شخصيتى (الذى أعتز به، وينكرونه)، أم أنى توقفت لأن هذا طبعى الذى يسمح لى أن أتوقف بقدر ما أبدأ!!

ولأننى أنوى أن أستغل هذه اليومية لإخراج بعض مخزون حاسوبى إلى الناس، ولو فى شكل إلكترونى أولاً، ثم فى صورة ورقية ما أتيج ذلك فيما بعد، فقد وجدت أن من الممكن أن أبدأ بكتاب آخر لاحتاج إلى حالات، هو كتاب "عن ماهية الوجدان وتطوره" وخاصة أن هذا الكتاب قد كتبت أغلب مسودته عام 1974 وهو يحتاج لقدر يسير من التعديل والتحديث.

لست متأكداً من مدى تحمل القارئ الزائر أن يقرأ كتاباً كاملاً على حلقات، ولكننى متأكد من أنى أريد أن أستغل هذه

النشرة لأضطر لإخراج أعمال من خزائنها .

سوف أبدأ اليوم وحتى قبل مقدمة الكتاب بطرح الأسئلة التي طرحتها في أول ندوة من ندوات متصلة عن مفهوم " الوجدان" في ندواتنا العلمية الشهرية ليضعة أشهر (تلك الندوة التي أشرت لها في يومية سابقة) ورجائي أن أحظى بالتجاوب والموافقة من زوار الموقع على المضي قدماً في تقديم هذا الكتاب في حلقات، ليضعة أشهر في مهمما بلغت مشقتي، آميلاً في تحملكم .

تساؤلات قبل المقدمة

- 1- هل العواطف هي ما شاع عنها ؟
 - 2- هل يمكن حبس عاطفة ما في رمز (اسم) متعارف عليه ؟
 - 3- هل العاطفة نقيض للعقل (بالمعنى الشائع)؟ وما فوائد أو مضار هذا الاستقطاب؟
 - 4- كيف تتفرع العواطف إلى التفاصيل ثم تنضم لتحتوي نبض الوجدان .
 - 5- ما علاقة العواطف بالمعرفة (من أول الإدراك الحسي حتى الإبداع الفائق)؟
 - 6- هل يمكن تعريف العواطف بألفاظ منطوقة (أو مكتوبة) ؟
 - 7- هل يمكن تصنيف العواطف إلى مفردات بدقة مفيدة ؟
 - 8- هل تتساعد العواطف تطورياً حتى تحتوى المعنى حين تلتحم بالفكرة والكلمات (النظرية الخاصة) .
 - 9- هل يوجد ما يسمى عواطف سلبية وأخرى إيجابية؟ أم أن هذا يتوقف على عوامل أخرى (مثل تناسبها مع بعضها، أو مع غيرها من وظائف، أو مع دفعها، أو مع عائدها؟)
 - 10- ما علاقة العاطفة بالدين / بالإيمان ؟
 - 11- ما علاقة العواطف بالإبداع ؟
 - 12- ما معنى تعبير "اضطراب العواطف" أو حتى "الاضطرابات الوجدانية" ؟ هل يمكن تعريف الإضطراب دون التعرف على السواء؟
 - 13- ما هو مدى الاتفاق على رصد (تشخيص) عاطفة ما بأنها مضطربة؟
 - 14- كيف نقرأ غائية أعراض اضطرابات والعواطف والانفعال والوجدان (المعنى - لا السبب)؟
 - 15- ماذا عن العواطف واللغة (في تجلياتها وقنواتها وأحوالها)
 - 16- هل العواطف تشترك في التفكير-بما هي- مثل الجسد والعقل؟
 - 17- هل الوعي بالعواطف ضروري للاعتراف بها أم يكفي ظهورها سلوكاً
- (ملحوظة: نحن نستقبل عواطف الأطفال والحيوانات قبل أو دون أن تبلغ وعيهم!!)

(بالعامية المصرية:.....)
 (بالعامية غير المصرية..... يُذكر البلد)
 اسم العاطفة
 (من بين الاختيارات واحد أو أكثر)
 اسم مقترح آخر

ملاحظات.....

حزن

أسى

اكتئاب

يأس

جزع

رعب

ألم

خزي

انكسار

هَم

عَم

أخرى: تذكر (بالفصحى) (.....)

(بالعامية المصرية:.....)

(بالعامية غير المصرية..... يُذكر البلد)

اسم العاطفة

(من بين الاختيارات واحد أو أكثر)

اسم مقترح آخر

ملاحظات.....

اسم العاطفة

(من بين الاختيارات واحد أو أكثر)

اسم مقترح آخر

ملاحظات.....

12

حزن

أسى

اكتئاب

يأس

جزع

رعب

ألم

خزي

انكسار

هَم

عَم

أخرى: تذكر (بالفصحى) (.....)

(بالعامية المصرية:.....)

(بالعامية غير المصرية..... يُذكر البلد)

الخبيصة 15-11-2007

76- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاغة

ياله من ميدان مترامى الاتساع مكتظ بالخلق والسيارات وقفت على طوار الحطة أنتظر مقدم الترام رقم 3 والوقت قارب الغيب، أريد العودة إلى بيتي على الرغم من أنه لا ينتظرنى أحد، ويهبط المساء وتغلب الظلام على أضواء المصابيح المتباعدة وشعرت بوحشة وتساءلت عن آخر الترام 3، وخفت حركة الميدان وقلّ مرور السابلة، حتى كدت أترك وحيداً في الحطة في ميدان خال أنتظر تراماً لا يجيء، وسمعت صوتاً خفيضاً فنظرت فرأيت على مبعده يسيرة فتاة ينطق مظهرها بأنها من بنات الليل فازداد شعورى بالوحشة واليأس وسألتنى :

- أليست محطة الترام رقم 3؟

فأجبت بالإيجاب وفكرت في مغادرة الحطة وإذا بالتزام رقم 3 يقترّب في هدوء ولا أحد فيه سوى السائق وقاطع التذاكر وشئ من داخلي دعاني إلى عدم الركوب فوليت الترام ظهري، ولبثت على حالي حتى غادر الترام الحطة، ونظرت فرأيت الفتاة بموقفها، ولما شعرت بعيني ابتسمت وسارت نحو أقرب منعطف، فتبعتها على الأثر..

القراءة

المسرح هذه المرة ميدان مزدحم بالناس (الخلق) والسيارات.

والرقم 3 يعود من جديد، لكنه هنا رقم الترام لا عدد الأشخاص (راجع حلم (3) يومية 25-10)، (حلم (4) يومية 1-11) (ولماذا يرجع؟ أو: ربما لهذا هو ليس حريصاً بالضرورة على أن يسارع بالرجوع).

الوقت يمضي، والظلام يعم، والوحشة تزحف، والميدان يتناقص شاغلوه، وهو يريد أن يعود حتى لو لم يكن ينتظره في بيته إلا الوحدة، لكن يبدو أن خاطراً يخائله أن الوحدة داخل جدران بيته أرحم من الوحدة في ميدان عام، خاصة وأن الميدان نفسه بدأ يعلن بدوره خواءه من الناس "وخفت حركة الميدان، وقلّ مرور السابلة، كدت أترك وحيداً في ميدان خال"

الانتظار يطول، والترام لا يجيء.

الانتظار هو الذى يد الحاضر إلى المستقبل بشكل ما، ومع ذلك فقد يتجسد عادة في وعينا باعتباره انتظاراً لشخص ما، حيث ما، لنقله ما فكرة الانتظار هي فكرة كامنة في التركيب البشرى بصفة أساسية .

التي حضرت، أو أحضرها الانتظار، هي من بنات الليل، وبدلاً من أن يستقبلها الراوى على أنها "فرصة ما"، وقد حلّ الظلام، ازداد شعوره بالوحشة والناس، ليس هذا التواصل المأجور هو الذى يكسر وحدته في الميدان. ولاهو بديل عن وحدته في بيته حيث لا ينتظره أحد.

حركت البنت شيئاً ما بداخله، لا ليست ...، ليس هكذا تنكسر وحدته، يبدو أن هذا الشيء الذى تحرك بحضورها، هو الذى حركه في الاتجاه المضاد ليغادر الحطة، هو لعبة - آلية: "الكُرّ والفرز" على مدى حركية التواصل البشرى.

يلوح الترام في الأفق ليعزى موقفه أكثر، يحضر الترام- بعد طول انتظار- لكنه ، يحضر خالياً من البشر، يحضر ليعلن وحدة جديدة .

الميدان خالٍ، والترام خالٍ: وليس هناك من ينتظره في البيت وظهور البنت - بنت الليل - لم يزد إلا وحشة .. "فازداد شعورى بالوحشة"

فما جدوى أى شئ؟.
ما جدوى الانتظار، وما جدوى ركوب ترام خال من البشر، ترام لم يتميز إلا برقمه، ما جدوى أى شئ .

فليذهب الترام

وليبذهب هو أيضاً
لكنه لم يذهب.

بل أرسل الدعوة إلى الفتاة، (ولمأ شعرت بعيني، ابتسمت)، فمضى وراءها ضد عزوفه الأول عنها، وضد وحشته البائدة من قدمها.

هل هو تسليم أن هذا النوع من التواصل العملى الوقتى الصفقاتى هو المتاح؟

هل يعود من جديد ينتظر الترام رقم ثلاثة أو ثلاثمائة؟

بطائل أو بغير طائل؟
لم يقدم الحلم إجابات وتركنا نتساءل عن وجهتهما، ومصير وحدة الراوى، ودور الفتاة .

تركنا نتساءل عن مدى انتظارنا لما لا يكون

تركنا بعد أن تحرك فينا كل من الانتظار، والأمل، والوحشة ، والخيرة ...

هل نكف عن انتظار ما لا يأتي ..؟
أم نتبع الموجود بغير طائل واعد؟
أنت وما ترى.

نص الحلم (8)

عندما أقبلت على مسكني وجدت الباب مفتوحا على ضلتيه
على غير (العادة) وجاءتني من الداخل ضوضاء وأصدااء كلام.

دق قلبي متوقعا شرا، ورأيت من أحبابي ابتسامات مشفقة،
وسرعان ما عرفت كل شيء، خلت الشقة من الأثاث الذي كوم في
ناحية داخل المكان .. عمال من متفاوتي الأعمار، منهم من
دهن الجدران ومنهم من يعجن المونة ومنهم من يحمل المياه ..
وهكذا نفذت المكيدة في أثناء غيابي وذهبت توسلاتي في الهواء .

وهل أطيق هذا الانقلاب و أنا على تلك الحال من الإرهاق؟

وصحت بالعمال: من أذن لكم بذلك، ولكنهم استمروا في
عملهم دون أن يعيروني أي اهتمام، وقهرني الغضب فغادرت
الشقة وأنا أشعر بأنني لن أرجع إليها مدى عمري، وعند
مدخل العمارة رأيت أمي مقبلة بعد رحيلها الطويل وبدت
مستاءة، وغاضبة، وقالت لي

- أنت السبب فيما حصل!

فثار غضبي وصحت

- بل أنت السبب فيما حصل وما سوف يحصل
وسرعان ما اختفت، ومضيت في الهرب.

القراءة

يبدو أن منظر الباب المفتوح، والشقة الخالية، والأثاث
المكوم سوف يتكرر في الأحلام بشكل متواتر. لولا نهاية هذا
الحلم ، أو قل لولا ثلثه الأخير، لاعتذرت عن قراءة ناقدا،
لأنه وصل لي لأول وهلة أنه ليس حلما، فقد عشت معه شخصا
بعض هذه التفاصيل، لكنني تراجعته، فقد سحبتني ثلثه الأخير إلى
ما هو إبداع يتجاوز الواقع، وذلك حين أعلن الراوي الغضب
فالهرب، ثم تظهر المفاجأة حين تظهر الأم وهو لم يغادر العمارة
بعد، وكأنني أسمع بينهما العتاب حول شأن آخر غير ما أغضبه
حتى خرج طريداً أو هارباً هكذا، لعله شأن قديم بينه وبين
أمه، أم الراوي لا الكاتب(!)، وأن هذا الشيء القديم هو
الأصل الذي ترتبت عليه كل الأحداث، حتى الآن، بل والأحداث
القادمة أيضاً، وما الحدث الأخير إلا رمز لما اختلفا حوله
قديماً وحديثاً".

هو يحملها مسئولية ما حدث وما سيحدث، وهي تذكره بأنه
المسئول، مهما كانت علاقتهما الخاصة هي الخلفية الأعمق لما حدث.

فيصلي أن كلاً منهما مسئول مسئولية ممتدة .

والنتيجة: أنها تختفي

وهو يمضى في هربه ،
فلا هي تختفى، لأنها ظهرت (وتظهر) بعد رحليها الطويل
ولا يبدو أن هربه سوف ينجح حتى لو كان قراره " ألا يرجع
إلى الشقة مدى الحياة".

- وربما تكون هي المسئولة عن ظهور المهدي المنتظر في وعي
الناس، حين تتعمق الفكرة مرضاً، تصبح مسئولة عن تقمص بعض
المرضى لهذا المهدي، أو للمسيح الدجال المنتظر أيضاً، وهي -
فكرة الانتظار - تظهر في كثير من الإبداعات بشكل متواتر.
على سبيل المثال ذلك النبي الذي يحمل قلماً ينتظر نبياً يحمل
سيفاً (ليلي واجنون : صلاح عبد الصبور) أو في انتظار جودو
(صمويل بيكيت) .

الجمعة 16-11-2007

77- وار / بري - الجمعة

مقدمة:

كدت أعدل عن الحوار هذا الأسبوع، ربما لثبات الأصدقاء هم هم،
آسف. عيبٌ على هذا!!
اكتشفت أنهم هم الأول، والأنبل، والأطيب، عُذراً ساحون،
أهلا يا كريم .

د . كريم محمد شوقي: انتصار السعادة: برتراند رسل (!)
بصراحة أنا خدعت في العنوان، وكنت أنتظر ان تكلمنا عن
السعادة، أو عن راسل.

ذكرني كلامك عن البدايات بما يعرف بتأثير الفراشة في
نظرية المادة الأولية (التي تعرف خطأ باسم نظرية
الفوضى) والتي تقول. إن أى تغير بسيط في المادة الاولية
قد ينتج عنه تغير رهيب في الناتج النهائى لا يتناسب
إطلاقا مع التغير الأول البسيط، فلو خفقت أجنحة فراشة
ما باليمن الشعبية كان ذلك كفيلا بحدوث الأعاصير في
الولايات المتحدة الامريكية.

د . يحيى

يا عم كريم واحدة واحدة، ثم إنى علمت مؤخرا من مصدر
علمى موثوق به أن حكاية هزة جناح الفراشة هذه ليست
حقيقة علمية بقدر ما هى "نكتة علمية"، مرتبطة بأسس
علم الشواش chaos science، (وليس علم الفوضى، لا
تخف)، وهى نكتة شارحة جميلة، لكن الجهلة أمثال صدقوا
أنها حقيقة علمية لفترة ما، وحين صُحِّجنى "ذلك العالم
الجليل، خجلت من نفسى وقررت أن أبلغ كل من يستشهد بها
أن هذه المعلومة نكتة علمية، لا أكثر!!.

د . كريم

... هل تكون كتاباتك هى خفقان أجنحة الفراشة؟ ، و هل
تصل تعنتك الى ما وصلت اليه تعتة جان جاك روسو و
فولتير؟ أحييك على التزامك الرائع لانظام هذه اليومية
ووددت لو اطلقت على سيادتك لقب الذى لا ينام و لا يترك
احدا ينام!

د . يحيى

ليس هكذا تماما، ولو أنك بذلك ذكّرتني بإهداء الصديق عبد الرحمن الأنودى لى كتاب حوارات "محمد القدوسى" كاتباً في إهدائه هذا الكتاب إلى فلان (أنا) "الشاعر الواعر"... "رجل لا ينام" هذا تكريم عزيز من شخص عزيز، فتساءلت - متمحكا- حين قرأت عبارتك هل هى مصداقية بالاتفاق، لكن عندك: أنا اعتبر النوم بما يحوى من نشاط حالم، وليس مجرد الأحلام، هو ثروة إبداعية رائعة، لست مستعداً للتنازل عنها بأى مقابل قال لا ينام قال!!

ثم يا عم صلّ على النبي، فولتير من؟ وروسو من؟ هل تابعت يا كريم انغلاق دائرة الحوار علينا؟ لقد هممت أن أعتذر اليوم، (المقدمة) أين الزملاء النفسيون الذين لا يكفون عن تقبيل بعضهم البعض فى أروقة المؤتمرات إياها؟ لقد نزل اسم موقعنا هذا منذ أكثر من أسبوع فى موقع الشبكة العربية للأمراض النفسية www.arabpsynet.com فأتيح لمن يدخل هذه الشبكة أن يعرف الموقع ويمكنه أن يتابع هذه اليومية وغيرها إن شاء، لكن يا عم كريم : لا جس، ولا خبر، فإما أنها لا تستأهل، وإما أن جناح فراشى مكسور، ومع ذلك فالبركة فيك، وفيينا .

د . كريم: عن المصداقية بالاتفاق الطوي

أذكر اني قرأت فى موضع ما أنه لو تاخر "ألكسندر جراهام بيل" عن تسجيل اختراعه للتليفون باسمه ساعات، لسجل الاختراع باسم اخر توصل إلى نفس الاختراع فى نفس الوقت تقريبا .

د . يحيى

إذن فقد وصلت الرسالة!!، ترى هل صدقت افتراضى بشأن حكاية العقل البشرى الجمعى، الذى يشكل نظرياته وإبداعاته ثم يعلنها من خلال بعض الأفراد الصالحين لذلك، وهل وصلك ما وصلنى من تداعى هذه الفروض يا ترى .

د . كريم

(فى انتظار) كلامك عن داروين، و راسل،

شكر الله سعيك .

د . يحيى

عظم الله أجرك! هل تعرف يا كريم "أن شكر الله سعيك" هى الدعوة التى تقال لمن يذهب للمواساة فى عزاء، وأن الرد عليها هو "عظم الله أجرك"؟ أعرف أنك لا تقصد ذلك لكن كلمة "سعيك" أحضرت فى وعيى الآية الكريمة التى أكررها ليل نهار، والتى نبهنى إليها محمد إبنى، والتى تقول: "... وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يُرى" .. الحمد لله .

د . كريم محمد شوقى:

(استطرادات طريفة وسخيفة !! حول كتاب جيّد عن السعادة، برغم كل شئ)

اتفق معك تماماً ان البحث عن السعادة هو ضدها، فقط إسبح لى أن أضيف لهوامشك أفضل ما قرأت عن السعادة-من وجهة نظري- وهو قول الفيلسوف الامريكى "رالف والدو إمرسون" "فلا شئ يسعه ان يجلب لك السعادة الحقّة إلا نفسك، والمقولة الأخرى للأيرلندى الساخر جورج برنارد شو: أتعس الناس على وجه الأرض هو من يجد وقتاً كافياً ليسأل نفسه: ترى هل أنا سعيد أم لا!؟

د . يحيى:

حين دخلت يا كريم إلى النّت أبحث عن كلمة "السعادة" وجدت عشرات التعريفات والتنبهات والتحذيرات من عظماء، ومبدعين، وفلاسفة، وحكماء"، وهى مثلما أوردت أنت الآن، وقد انبهرت بأغلبها فعلاً، ولعل العشرة محكات التى كتبتها في نهاية تلك اليومية هى مستوحاة ولو بعضها على الأقل بشكل غير مباشر من بعض هذه التعريفات- لكننى عدلت فى آخر لحظة عن إثبات كلمات هؤلاء العظماء ومناقشتهم، لأننى وجدت أن المسألة تحتاج بحثاً مستقلاً.

د . كريم

أخيراً بمناسبة كلامك عن راسل يحكى أن هذا الفيلسوف البريطاني قد طلب إلى تلامذته في أحد الامتحانات أن يكتبوا عن الفرق بين المتشكك، والملحد، الكافر و"اللا أدري"، وكان الامتحان صبيحة راس السنة الجديدة فكتب أحد الطلبة: إن الله وحده هو الذى يستطيع الإجابة على مثل هذا السؤال... و كل سنة و انت طيب.

ضحك برتراند راسل وكتب على الورقة: عشرة على عشرة لله، وصفر على عشرة لك،....وأنت طيب!!.

د . يحيى

أخشى ما أحشاه يا كريم أن أكون قد نجست هذا الرجل العظيم حقه، فقد بلغنى شفاهة من البعض أنى بنقدى لمفهوم السعادة هكذا، كنت أنقد ما جاء فى كتابه هذا "انتصار السعادة". على فكرة جاءنى من صديقة، أنه كان عندى حق فى رفض كلمة انتصار ترجمة لكلمة conquest واقترحت كلمة "انتزاع" "السعادة" (فخطرت لى كلمات مكملة مثل "اقتناص" السعادة، لكن "انتزاع" أفضل) - ففرقُ يا كريم بين أن السعادة تنتصر (انتصار السعادة)، وأن "ننتزعها انتزاعاً"، ولعل هذا ما أراده راسل الذى يبدو أنى ظلمتهُ دون قصد.

أرجع إلى هذا العظيم العظيم راسل، وأعتذر له - مع أنى أشدّت به طول اليومية، ونفيت تماماً أنى أناقش كتابه بالذات، وكان اعتراضى كله على كتاب "علم السعادة" الذى لخصه المرحوم أ.د. أحمد مستجير فى "وجهات نظر"، وما يقابل ذلك من سعادة لفظية، أو سعادة خامدة، أو سعادة مطمئنة ساكنة، وكل ذلك لم يرد أصلاً فى كتاب راسل، وأشعر أنى ملزم بالعودة إلى بعض محتوى كتاب راسل لعلنا نعطينه بعض حقه .

د . كريم محمد شوقي : (عن ماهية الوجدان وتطوره)

أعتذر عن وضع الاسم المناسب للتعبير العاطفي الموجود على وجه السيدة الفاضلة لسبب بسيط جدا هو انني اكتشفت حالا انني لم أتوقف يوما لأفكر و لم اعرف يوما ما هو الفرق بين ما هو الحزن، والأسى، اكتئاب، أسى، رعب ، ألم، خزي، انكسار، فَمَم ، غَم و بالتالي اجد صعوبة في الاستجابة للإجابة .

كل ما أتذكره ان التعبير في الصورة رقم 3 كان على وجه جارتنا حين توفي زوجها وترك لها خمسة أولاد في سن الشباب ويمكنني أن أطلق عليه "ذهول" ربما أغير رأيي و أحاول، ولكنني أجد صعوبة واضحة هنا والآن .

أما عن تقديم الكتاب في اليومية فأنا اسجل موافقتي الشخصية...لن تكون هذه اليومية بهذه المتعة ما لم تكن على حريتك و تفعل ما يحلو لك

د . يحيى

مجرد إعلانك هذه الصعوبة، هو ما سعيثُ إليه من تقديم هذه الصور كعينات، حتى نراجع أنفسنا، ونحن نستعمل ألفاظ العواطف بهذه السهولة، وكأنها تعني عند كل واحد منا نفس المعنى، بل إننا أصبحنا نصف مشاعرنا (عواطفنا) بألفاظ مستورده، وبدلا من "أنا حزين"، يقول الواحد منا "أنا دترسد"، وسوف أرجع لي ذلك تفصيلا في يومية غد (السبت)، ثم إنني لن أكف عن شكرك على تشجيعك أن آخذ راحتي (وبلاش حريتي هذه)،

ثم تعالى معي الآن إلى صديقك في استراليا ابن أخی.

د . محمد أحمد الرخاوي

من أكبر آفاتنا وعلامات إفلاسنا الصارخ أننا نتكلم عن عصور الإسلام الأولى لكي نثبت أن الإسلام مية مية بدل أن نعيش الإيمان كقوة دفع حيوية لأى وجود صادق باعث على إثبات... بالفعل هنا والآن .

د . يحيى

لهجتك أصبحت أهدأ يا محمد، لكن صوتك مازال عاليا،

بصراحة "أنا غُلِبْتُ غلي" من الخلط الذى يصل الناس بمجرد أن أستعمل كلمة "إيمان" أو حتى كلمة "الله" سبحانه وتعالى، حتى أنني كثيرا ما أُلجأ إلى اسم آخر من أسماءه الحسنى حتى لا يصل للمتلقي ما لم أقصده .

د . محمد أحمد الرخاوي: المصادقية

إن الدنيا لا تستقيم إلا بإيمان مقرون بفعل طوبى وعرضى، فردى وجمعى، طول الوقت والا فهو استمناء وغباء وسلبية وموات

د . يحيى

رجعنا للسباب وقلة الــــ..... يا أخی، لو بلغك

أنت كلامك مثلاً في قولك: "إيمان مقرون بفعل طويل وعرضي"، لو بلغك أنت ما قلته، لكان لك شأن آخر، فمن ناحية هو أكبر من أن يقال!! ومن ناحية أخرى قولك له وأنت تعنيه لابد أن يغنيك عن مثل هذا السباب هكذا.

د . محمد أحمد الرخاوي

.... الرضا بالكبح فالوصول- دون وصول طول الوقت- هو محور كل وجود، ومحور كل سعادة، وأوافق على عدم استعمال الكلمة (السعادة) من الأصل .
(ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم..)
!!!!!! سورة هود

د . يحيى

على البركة، لكني ما زلت قلقاً من هذه الخطابة، يا ليتك تقف عند قولك "الوصول دون الوصول"، فهو سر الاستمرار، وحفز الإبداع، يكفي هذا، وهيا بنا يا محمد إلى د. سناء التي لا تعرف الكتابة على (الحاسوب) بالعربية.

أ . سناء: (عن ماهية الوجدان وتطوره)

يا أستاذنا، تعيش وتبدع، تعيش وتعلمنا

د . يحيى

ربنا يخليك

أ . سناء : (لقد توقفت طويلات أمام تعبيرك)

"لا يخنق المعنى إلا حبسه في تعريف جامع مانع، كثير من التعريفات هي سجن للمعنى".
This made me soar high

د . يحيى

تصورى يا سناء أنا كشفت على هذه الكلمة الجديدة على soar في القاموس فوجدت معناها شديد الدلالة، أى والله، لكن يا رب تنزلين واحدة واحدة من تحليقتك بالسلامة، يا سناء هيا نستقبل معا الإبن يوسف عزب، ها هو قادم....
ثرى ماذا عنده اليوم؟

أ . يوسف عزب: انتصار السعادة: بترانده رسل (!)

يومية مؤلة

د . يحيى

مازلت أبحث يا يوسف في ردك عن ما وصلك من "العشر حكات" التي انتهت بها هذه اليومية، هل وصلك ما أعنيه؟ رجحت أنه لو كان وصلك كنت سوف تعلق، يكفي أنك علقته على قراءة أحد أحلام محفوظ.

أ . يوسف عزب: (حلمان)

قرأت الحلم الخامس هكذا... أنه فرح بمجيئه الدنيا وفرح بالفوضى التي يحدتها فيها، (السيرك) وتمثل من هذه الفوضى حتى شبع وفرر وهمد وضع من هذه الفوضى وهذه الحياة حتى تمى الموت الرجوع للمسكن، وحينما لاحت الدنيا بجسنها له وتعدل الخال، اكتشف أن الفوضى داخله والبلياتشو داخله.

د . يحيى

دعنا نختلف يا يوسف، فهذا ما قصده من الدعوة إلى "النقد الآخر"، و"نقد النقد"، ودعني لا أوافقك على قراءتك، هذا حقى أيضاً، أليس كذلك؟

أ . يوسف عزب: عن المصادقية

الله ينور، عاوزين من ده على طول أتمنى أن تكون دى اليومية على طول.

د . يحيى

لأ طبعاً، لا أعذك، ولا أوافق، دع ما يفرض نفسه يفرض نفسه.

وبما أنك أوجزت اليوم هكذا يا يوسف، فدعنا نستمع معا إلى بعض طلاقة رامى.

أ . رامى عادل : الحوار

مرحباً، أهلاً وسهلاً، وربنا يدك الصحة، وبإذن الله حانضبط الأداء، ومحمد قلبك . باى، شكرا

د . يحيى

حلوة حكاية "نضبط الأداء"، ومحمد قلبك أنت أيضاً يا رامى.

أ . رامى عادل: انتصار السعادة: بتراند رسل(!)

... أرجوك الصعنى كويس جدا المره دى، أنا قصدى أفوقك، وأنا بالومك على عدم وجود الحب فى مقال النهاردة، وعلى النظرة المتشائمة، ومجاول أفكرك ، إن بسم الله الرحمن الرحيم "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" ، ومن أصدق من الله حديثاً، بسم الله الرحمن الرحيم "يا يحيى خذ الكتاب بقوة".

د . يحيى:

نظرة متشائمة منْ ياجدع أنت، أنا لا أجرؤ أن أتشاءم، لا أسمح لنفسى أن أتشاءم، لكنك ذكرتني بالصدفة بمحدث مهم :

حين سمعت هذه الآيه الأخيرة من والدى رحمه الله، (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) وكان فى بيتنا الباكر فى القاهرة، فى شارع 10 فى العباسية، وكان عمى أقل من 4 سنوات (لأننا انتقلنا إلى طنطا وأنا فى هذه السن)، فقلت لأبى وهو يتلوها "... طب هات"، (مش هوأ إالى قال خذ الكتاب بقوة!)

هذه الحكاية حكاها لى أبى بعد أن أستقر بنا المقام فى مصر الجديدة سنة 1946، واصطحبني أبى إلى ما بجوار قسم الوايلى ليرينى شارع 10 الذى ولدت فيه ،

أما حكاية لؤمى على عدم ذكر الحب، فى مقال السعادة فعندك حق، لكن ما وصلنى من خبراتى هو أن سوء استعمال كلمة "حب" هو أكثر تواترا من سوء استعمال كلمة سعادة، ويبدو أننا فى النهاية سنقول: كما قلنا فى

السعادة: إن من يريد أن يحب، فليفعل دون أن يردد الكلمة، وسوف يجد ثراءً لم يخطر على باله إن كان صادقاً.

أ. رامى عادل : انتصار السعادة: برتراند رسل(!)

ايه ده يا شيخ ؟ايه ده يا شيخ؟
أنا اكتشفت ان الضرب على القفا واقع أكثر واقعيه من السعادة بتاعت عمنا راسل، الله يرحمه.. أوعى تكون واخذ موضوع السعادة جد.. ربنا يفرح قلبك ويطيب بخاطرك، روح يا شيخ ربنا يهديك.

د . يحيى

يا رب يا شيخ، من فمك لباب السماء، لكن يا رامى خل بالك أنا لم أتكلم عن السعادة "بتاعت عمنا راسل" يا خير!! يبدو أنني ظلمت الرجل فعلاً!! حتى أنت يا رامى لم تلتقط ماذا كنتُ أعنى وأنا أتناول موضوع السعادة (بالمعنى الذى رفضته فى اليومية) ألم تنتبه كيف أتى نبهت أنها (السعادة) إما أن تدخل من بابها الذى لا نعرفه، ولا نستطيع أن نحدده، وأن تدخل باسم آخر أو بدون اسم، وإما فالله الغنى عن استعمال الكلمة أصلاً.

أ. رامى عادل : (عن ماهية الوجدان وتطوره)

أنا أعزب، وباشتغل عامل نظافه، وساكن فى المعادى ، ودخلنى يكفينى بالكاد.

والصورة الأولى: عاطفة الجزع، التباكي، صعيان عليها، الممثلته بتقول مجلجاتها حرام عليك قبل حادثة الاغتصاب (التمثيلية المتخيلة)، وهى بروب الحمام والمجرم اللى ناوى يعتدى عليها بينظرلها بتشفى، وهى أيقنت انها وقعت فى فخ لا فكاك منه ، ربنا معاهها، هى مش عايزه تبكى، هى عارفه ان مفيش مهرب إلا فى الصبر بس .. يمكن يكون عندها أمل فى ربنا.

الصورة الثانية: اكتئاب أو استجداء، وده بعد ما المجرم سابها نص ساعه لوحدها، وهى بتتمرن وهى يانسه.. على انها تحلى المجرم برحمها .كل ده فى الحمام الفخم. وهى بتموت من الياس، بتموت من طول الانتظار. ربنا مش بينسى عبده حتى لو هى نسيت ربنا فى اللحظة دى بالذات ..وهى فى المصيبة دي. هى منتظره الموت.

الصورة الثالثة: الألم وتانيب النفس، وبتلوم نفسها، وبتندب، وبتنوح وبتندم، لسه ماتمش اغتصابها، وهى مسئوله

ملحوظة: لا أمل فى حلم يومى الا من خلال واقع يومى .
شكرا يا عم دهب

د . يحيى

بصراحة يا رامى لا تعليق

شوية شوية سوف تكتب قصصاً جميلة، وصلنى وصفك للتعبيرات الثلاثة على أنه إسقاط قصصى جيد، وربما هذا الإطناب هو

ما كنت أحتاج أن أسمع حتى نرفض معا اختزال كل ما وصلك من هذه الصور في لفظ واحد ندعى أنه يحتوي عاطفة اسمها كذا، أو كيت.

أ. رامى عادل: أحلام فترة النقاہة هل نكف عن انتظار ما لا ياتي؟ ام نتبع الموجود بغير طائل واعد؟

هل أكف عن ملاحقة البنت الخوريه اللى هعيش في عنيا كل الأحلام؟ ولا أعيش الواقع المر؟ يا ترى أعيش ضعيف وفاشل بارادتي احسن؟ يا ترى افضل مكسور؟ وهل احسن أن أعيش الحياه مع النسوان وأنا مليون عيوب و ثقوب؟ يا ترى هي مش هتكشفي؟. سلام يا عم دهب، ومتهيالى أنت عارف اجابات شافية مهما كانت مؤه

وأشوف وشك بخير

كتاب الفصام فكرة هايلة.. توكل على الله

د . يحيى

أنت يا رامى بصراحتك هذه (حتى بعد أن حذف ما حذف خوفًا عليك)، أنت تخفف عنى (ربما عنا)..

لكن والله العظيم ما أنا عارف الإجابات كلها، ولا حتى بعض بعضها

ربنا يسهل وأقدر، أكمل الكتاب، بتشجيعك وتشجيع د . أسامة المثابر.

د . أسامة عرفة: حوار الجمعة 2007/11/9

كلمة أخرى في مسألة الفطرة .. لا يوجد تناقض بين ما نذهب إليه من فطرة التركيب الأرضي الثنائي (الفجور - التقوى) وبين ما يذهب إليه الفقهاء من نقاء الفطرة حيث أن الفطرة التي يتناولها الفقهاء هي فطرة يوم "الذر"، يوم أخذ الله ذرية بنى آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم وشهدوا بوحدانية الله .. أما كدح الانسان في الأرض بثنائية التركيب فهو كدح في اتجاه القرب من أو البعد عن هذه الفطرة الأولى، وعليه يجب تحديد المصطلح هل عندما نتناول الفطرة نعنى الفطرة الأولى أم فطرة التكوين الأرضي و لهذا الأمر مبحث طويل ليس هنا مجاله مرحليا..

د . يحيى

..... يا أسامة، أنت وما ترى (!!)) كل واحد مسئول عما يصله ويراه، وإن كنت شخصيا أقرأ الآية "وَأِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ...إلخ"

أقرأها بطريقة أخرى تماما.

ولولا أني أجنب دائما وبإصرار ما يسمونه التفسير العلمي للقرآن، لقلت لك رأي بالتفصيل، لكنني أكتفي الآن بإحالتك إلى كتاب تطور العقول Kinds of Minds ربما يصلك ما وصلني كيف أن للكائنات حتى أحادية الخلية عقولا (وعياً) منظما، وكيف يمكن ربط أصل الحياة من أول الدنيا DNA، وهي تشهد بالربوبية والتوحيد ساجدة متصاعدة في القوانين الأعظم فالأعظم، أن هذا الأصل هو ممتد من الجماد يسبح ربه (الجبال مثلا) إلى أنواع متعاقبة، ذرية بعضها من بعض، لا بقاء لأي نوع إلا بالتكامل والتكامل توحيدا، كل هذا يتم بعيدا عن "الوعي بالوعي"، قبل ظهور الإنسان، وبمجرد أن أكتسب الإنسان هذا الوعي بالوعي انتبه إلى "ما كان عنه غافلاً"، فتحمل مسؤولية أن يحافظ على هذه العلاقة التناغمية التصعيدية الجدلية المتوازنة، أو أن يشوهها كفرا واغترابا. آسف يا أسامة فهذا إيجاز مُجَلِّ، ولكنني لن أكف عن المحاولة لتوصيل ما وصلني، لعلنا نعرف معنى تسيحة الصوفي البسيط "ربي كما خلقتني"، "ربي كما خلقتني" كما نعرف كيف تسبح له الجبال والطير وكل شيء.

مسألة الفطرة يا أسامة سوف تظل تشغلي من منظور بيولوجي نحائي تطوري مرورا بالحرية وحمل الأمانة، ليكون الإنسان أهلا لما وصل به الارتقاء إلى هذه المرتبة العليا بين الأحياء، بفضل الله، على شرط ألا تختزلها إلى البدائية من ناحية، ولا نستلهم معناها من لغة (أو لغات) لم تذكرها أصلا، تذكر يا أسامة أنني رفضت تماما ترجمة الفطرة إلى Instinct التي هي مقابل "غريزة"، الفطرة ليست هي الغرائز، مع أنها تحتوى الغرائز، لعل الكلمة الأقرب بالإنجليزية هي Disposition ربما، حتى نجد لفظا أفضل.

نحن البشر نتدهور يا أسامة إلى أدنى مما تتصور، وربنا يستر.

مبحثك الطويل الواعد هو مسئوليتك، ولكل وجهة هو موليها.

د. أسامة عرفة: (عن ماهية الوجدان وتطوره)

أنا على يقين أن كتابك هذا سيكون أروع ما كتبت بل أطولهم عمرا و أعلام ابداعا..

الصورة 2: حزن

الصورة 12: أسى - كظيم

الصورة 3: أصعبهم .. درجة من الحزن انخلع معها القلب
(أصبح فؤاد أم موسى فارغا) : حواء؟؟؟!

د. يحيى

شكرا لتعقيبك على صور العواطف، وإن كان ما جاءني عموما قليل جدا، ويبدو أن هذه الطريقة في طلب الرأي لن تنفع، أما أن هذا الكتاب "عن الوجدان" سيكون أهم كتي فلا أظن.

إنّ هي إلا محاولات في كل اتجاه، لا أدري أي موضوع من مخزون الذي عثرت عليه مصادفة بفضل هذه اليومية هو أول

بالرعاية، أو بالتقديم، ولا أعرف، ما الذى من بينها سوف يكون أطول عمراً أو أكثر نفعاً، كله بأمره!.

د. أسامة عرفة: انتصار السعادة: برتراند رسل (!)

الرضا .. السكينة .. الدوام الرضا دفاع ضد الاحباط .. دفاع ضد أو مع الحزن .. حالة حقيقية من التناغم مع أشياء الكون .. ليست استسلاما السكينة هدأة داخلية .. سلام مع النفس.. متضافرة مع الصبر.. عدم الدوام آفة السعادة .. بما أن السعادة لا تدوم و بما أن كل شئى هالك إلا وجهه و بما أنك كادح إلى ربك فملاقيه فالسعادة الحقيقية أن تكون جاهزا في أية لحظة للقائه بما يرضيه.. رضى الله عنهم و رضوا عنه السعادة في الحركة في اتجاه الله حركة في النفس حركة مع الناس حركة في الاتصال بالله و الكون جميعها في اتجاه الله

د. يحيى

مزجك الحركة بالسكينة هو الذى يطمئننى قليلا، لكنى أخشى البعد عن عمق الجدل، برص مثل هذه الكلمات بجوار بعضها منك، ومنى أيضا (وربما من ابن أخى كذلك)، والآن هيا نختم الحوار بملاحظات الصديقة أمل محمود، التى تشاركنا مجدية بين الحين والحين.

أ. أمل محمود

الصورة الأولى: حزن

الصورة الثانية: غم

الثالثة: أم

بالمناسبة: الجدول الموجود تحت الصورة ليعمل،

توجد طريقة بيعملوها بتوع إنشاء المواقع الإلكترونية لتفعيل الردود على جداول مثل هذه .

د. يحيى

تمنيت أن يصلنى مائة رد مثل ردك هذا بما يسمح بإحصاء أو المقارنة، لكن .. الحمد لله، هذا وسوف أراعى ملاحظتك مستقبلاً في تصميم جداول الاستطلاع القادمة، ولكن أين المشاركون؟! .

ربنا يسهل .

أ. أمل محمود

أعتقد أن كلمة الوجدان لها علاقة بالتصوف. وليس لها علاقة بالمشاعر والعواطف والأحاسيس والانفعال، التى تتعامل معها مراكز مختلفة بالدماغ، (وأعتقد أنه يوجد خلط شديد) .

د. يحيى

الوجدان كلمة شاملة رائعة، لا يمكن تخصيصها لفئة من البشر تمارس نشاطا إنسانيا معيناً، ولو كان هو التصوف،

أما علاقتها بالمشاعر والعواطف والأحاسيس والانفعال، فهذا هو ما تسعى إلى تناوله النظرية التي سوف أقدمها، أما حكاية مراكز المخ المختلفة، وربط بعضها بالمشاعر الإنسانية حتى لو كانت "انفعالات"، فإنها من أخطر ما اختزل العواطف والوجدان إلى ما هي ليست هي. وهذا أيضا من صلب اهتمام النظرية، وسوف نناقشه تفصيلا في حينه.

اعترف أن الخلط وارد، والمسئولية رائعة، ومحاولة مستمرة، وليس هناك سبيل للإبداع والتجاوز إلا بالمخاطرة، لا المعاجم وصية على لغتنا، ولا علوم الدماغ الخالية قدرة على استيعاب نبض الوجود بما هو.

أ. أمل محمود

هناك مسألة مهمة عن العواطف طرحها طبيب ألماني اسمه أرنست هياكون حول التعاطف والتشارك العاطفي والتي ترجمها المترجم إلى "التشارك الوجداني"، الموقع بتاعه مكتوب فيه قصة لطيفة عن أحد حاخامات اليهود دعا ربنا أن يشوف السماء، ربنا أرسل له أحد ملائكته ليقوده إلى هناك، فوجد نفسه في البداية في فناء واسع ومجموعة من الناس يجلسون حول مائدة بها أشهى أنواع الطعام ويمسكون بأيديهم ملاعق طويلة جدا جدا وفي حالة من الهزال الشديد. فسأل الملاك ما هذا المكان فقال له أنه النار. ودخل فناء آخر كبيراً وبه مجموعة أخرى من الناس يجلسون حول أشهى أنواع الطعام التي تشتعل تحتها النار ووجدهم مصحين وأقوياء ويمسكون بملاعق طويلة للغاية. لكن كل واحد منهم يطعم الآخر بملعقته. فسأل الملاك. فقال له هذه هي الجنة.

ويبدو أن هذا هو "التعاطف" وليس "التشارك العاطفي" حسب رأى الكاتب الألماني.

د. يحيى

الابن الزميل د. ايهاب الخراط اقترح لهذه الظاهرة (التي هي بالانجليزية Empathy وليست Sympathy) لفظ "المواجهة" وأتذكر أننا نشرنا له هذا البحث في مجلة الانسان والتطور (نحو المواجهة: استخدامات الدهشة، عدد 62 يوليو 1998)، هذه المواجهة هي تقريبا ما جاءت في المقال الذي أوصيت به وتفضلت بإرساله وهو مقال "التعاطف" لكاتبه هايكون أرنست ترجمة أ.د. سامر جميل رضوان.

أمل محمود

(ثم إنني) بحثت عن كلمة وجدان لأني مش عارفة معناها وهل تعني أيضا عواطف أو مشاعر أو أحاسيس، لا أعرف، ووجدت معان متشعبة في معجم "لسان العرب"، تحتاج منكم إلى نظرة ومراجعة.

د. يحيى

... عندك حق، ولقد انشغلت طويلا بهذه المسألة وخاصة في محاولتي التحذير من مسخ مشاعرنا باستعمال أجمدية تصف العواطف مستعارة من لغة أخرى غير لغتنا، ونبض آخر غير ثقافتنا.

وهذا ما سوف أفضله في يومية الغد (السبت) خصوصا وأني وجدت أن هذا البحث لم ينزل في الموقع بعد.

السبت 17-11-2007

78- من ما هي لغة الوجدان وتطوره (2)

كيف لا نجس الظاهرة في لفظها؟

مقدمة:

عرفت الآن سبباً آخرأ هو مسئول أيضا عن تأخر نشر هذه النظرية، بالإضافة إلى طبعى الخاص، ووقتي المزدحم، إنه الخوف من العجز عن توصيل ما أعني من خلال هذه المباشرة "العلمية" المتشكلة في كلمات.

رجعت إلى أطروحة قديمة تناولت فيها مخاطر وصف مشاعرنا باستعمال كلمات مترجمة من لغة أخرى بديلا عن كلماتنا النابعة من عمق ممارساتنا الحياتية الخاصة، تاريخياً وحالاً، بما يترتب عليه تشويه وجودنا، أو محو تميزنا (لا أعلى ولا أدنى، مجرد تميزنا)، فوجدت أن هذه الأطروحة لا تمثل إلا جانباً واحداً من القضية (الترجمة القاصرة، والسجن في اللفظ الساكن المستورد).

وجدت أننا ونحن نتناول الآن من جديد موضوع "العواطف والوجدان" علينا أن نراجع حتى التسميات التي نسميها نحن بها، وقد تصورت أن تقديم أية عاطفة "لها اسم" سوف يترتب عليه أن تجرى الأمور على الوجه التالي:

- 1) نستعمل لفظاً (وهل عندنا سبيل آخر؟) لتسمية العاطفة التي سنتناولها، مثلاً "الخوف" أو "الحزن" أو غيرها.
- 2) يقفز إلى وعى المتلقى ما يعرفه عن هذا اللفظ (لا تنسى أننا في سياق علمي).
- 3) يقفز في نفس الوقت ما يثيره فيه سماع أو نطق أو قراءة هذا اللفظ (واعيا بما يجرى أو غير ذلك)
- 4) تختلط خيرته، بمرجعياته المعلوماتية، بموقفه الأيديولوجي، ومواقفه الأخرى فيحدد (شعورياً أو لا شعورياً) ما ينوى التعامل به مع هذا اللفظ (مازلنا بعيدين عن الاقتراب من الظاهرة التي يشير إليها اللفظ، ناهيك عما إذا كان - اللفظ - قادر على تضمينها داخله أم لا).

5) قد تزيد حيرته (المتلقى) فيلجأ إلى المعاجم (أو إلى موسوعة، أو مؤخرا يلجأ إلى "سيدنا جوجل" أو "مولانا ياهوه!!").

6) قد تدعم المعاجم والمواقع موقفه المبدئي، أو تعدله.

7) قد تحل تحديدات أو تعريفات المعجم (أو الموسوعة أو حتى المرجع العلمي) محل موقفه الشخصي، بدرجات مختلفة حسب مرونته أو صلابته!! إلخ

8) ثم يبدأ في قراءة النظرية (الأطروحة) من خلال ذلك الموقف الشخصي جدا، أو الشخصي المغمى، أو الشخصي المرجعي.

9) بعد ذلك يصله أو لا يصله ما أردناه ونحن نحاول سير غور الظاهرة تحت الفحص.

وبعد

لو صح كل هذا أو بعضه، فالأرجح أننا سوف نتكلم عن أشياء مختلفة، مع أننا نستعمل نفس الألفاظ.

هل معنى كل ذلك أن الأول بنا أن نبتعد كلية عن الموضوع ونترك المسألة لجدول ضرب المفردات العاطفية في لعبة الكلمات المتقاطعة شبه العلمية، لتزجية الوقت أو للتباهي بالمعلومات الجاهزة هربا من المسؤولية؟

إلى متى؟ إلى أين؟

كالعادة: ليست عندي إجابة.

عانيت كثيرا وأنا أرد على محاولات خنق لفظ **الفطرة** في تعريف معجمي، أو استنادا إلى ترجمته إلى Instinct، كما عانيت أقل وأنا أتعامل مع لفظ **السعادة** وربما هذا ما دعاني أن أوصي في النهاية إلى استبعاد استعماله (ربما هذا ما يفسر تحفظي أيضا ضد استعمال لفظ "الخب")،

وبعد

فقد أردت أن أعرض هذه الإشكالية عن علاقة الكلام، باللغة، بالظاهرة المعنية، حتى يبذل المتلقى جهدا ناقدا مناسباً طول الوقت، قبل أن يسارع بالقبول أو الرفض، ناهيك عن التصفيق أو الشجب.

فجاءت هذه المقدمة الثانية

جذور اللغة (بيولوجيا)

..... اللغة ليست إضافة لاحقة بظاهر الوجود البشري، الفردي أو الجماعي، بل هي الوجود البشري في أرقى مراتب تعقده، إذ هي التركيب الغائر الذي يمثل الهيكل الأساسي الذي يصدر منه السلوك، وبالتالي فهي جزء لا يتجزأ من التركيب البيولوجي للمخ، خاصة باعتباره القائد الحيوى المسئول عن نوعية وحركية مسيرتنا الجدلية المتضفرة.

"قبل اللغة"، منتهين إلى التعريفات الإجرائية، مارين ببعض محاولات الإبداع الشعري، عارجين إلى بعض الأمثلة من السكون أو التحريك المعجمي.

ما قبل اللغة

بالنسبة للكائن البشري، فإنه يصعب - بما هو بشر - أن نفترض أن ثمة مرحلة معرفية يمكن أن تعتبر أنها مرحلة "ما قبل اللغة"، ذلك أنه قد توجد مرحلة "ما قبل الكلام" أو مرحلة ما قبل اللغة القائمة (مرحليا)، لكن يبدو أنه يستحيل أن توجد ظاهرة بشرية أصلا ليست ملتزمة تماما كاملا بلغتها، بمعنى تركيبها الخيوى الغائر، أى التشكيل الذى يمثل الهيكل الأساسى القادر على التجلى فى سلوك ظاهرة مثل الكلام وغيره.

عادة لا تصل هذه المرحلة اللغوية الأولية إلى الوعى الكامل فى الحياة العادية، لكنها فى بعض الخبرات الإنسانية الأعمق يمكن أن تقترب من الوعى بدرجة أو بأخرى، وأشهر مثل ذلك هى الخبرة الصوفية التى يعجز صاحبها أو يرفض إحالتها إلى ألفاظ متبادلة. إلا أن طبيعة هذه الخبرات فى هذه المرحلة تحول دون إمكانية تناولها بالأدوات التعبيرية العادية، ناهيك عن الدراسة المنهجية ثم الخضوع للوصف بالكلمات، وبالتالي فهى مرحلة تندر بالخطر إذا استهلنا القفز منها إلى أقرب ما يمكن أن يحتويها من تراكيب كلامية سابقة التجهيز، أو ألفاظ حكمة "ساكنة".

التاريخ الطويل (المجهول) للمعرفة الباطنية (أو الجوانبية)، وللتواصل غير اللفظى إنما يشير إلى حقيقة جانب من جوانب وجودنا البشرى لابد من استنتاجه وتصوره واحترامه رغم العجز عن الإحاطة به، ذلك أنه لا ينبغي أن يكون العجز عن التواجد فى ألفاظ محدودة مبررا للإنكار الدفاعى، وإلا فنحن نتنازل عن أصل من أصول وجودنا الأعمق بلا مبرر إلا الخوف من سوء الفهم، أو القصور عن دقة تناول - وهذا وذاك مبران للحدز، والصبر، والتأجيل، والبحث عن الوسيلة المناسبة، ولكنهما أبدا ليسا مبررين لإنكار الحقيقة الأولية: الأهم والأخطر، وهى: إن الظاهرة الوجودية اللغوية هى أصل الأصول، ظهرت فى متناول السلوك، بما فى ذلك السلوك الكلامي.

لزوم الشعر

فى مرحلة الجدل الحركى الولاقي بين الظاهرة الوجودية الأعمق، وهى تتفجر فى علاقات وتركيبات جديدة، وبين مستوى التشكيل اللغوى الجاهز للتعبير عنها، والعاجز عن استيعابها تماما فى نفس الوقت، يلزم الشعر.

ينشأ الشعر، حين ترفض الظاهرة أن تظل كامنة فى ما ليس لفظا متاحا للتواصل،

وفى نفس الوقت حين ترفض أن تحشر نفسها فى تركيب لغوى جاهز (مسبق الاعداد)

فالشعر هو عملية إعادة تخليق الكيان اللغوي بأكثر من آلية على أكثر من مستوى في محاولة الوصول إلى أقرب ما يشير إلى الخبرة الوجودية المنبثقة، ومع النجاح النسبي لهذه العملية، تزيد اللغة ثراء وإثراء، أى ينمو الكيان البشرى جنباً إلى جنب مع هذا التخليق اللغوي المتجدد، وهذا ما قد يعنيه بعض النقاد والشعراء من أن القصيدة تخلق الشاعر في نفس الوقت الذى يخلقها الشاعر.

يبدو أن هذا هو ما حضرنى شعرا منذ حوالى ربع قرن، قبل أن أتناول المسألة بأى تنظير علمى مثلما أفعل الآن، وهذا بعض ذلك:

تدقُّ باي الكلمة
أصدها.
تُغافل الوعى القديم،
أنتفض.
أحاول الهرب،
تلحقنى.
أكوئها،
فأنسلخ.

أمضى أغافل المعاجم الجحافل،
بين المخاض والنحيب.
أطرحنى:
بين الضياع والرؤى.
بين النبى والعدم.
أخلق الحياة أبتعث.
أقولنى جديداً،
فتولد القصيدة.

1983/9/14

الاختزال إلى أقرب لفظ سائد

لكن، ليس كل انسان شاعرا (وإن كان ينبغي أن يكون كذلك بهذا المعنى الأعمق والأثمل للشعر)، لهذا فإن الشخص العادى سرعان ما يحتزل خبرته اللغوية/الوجودية الأعمق إلى أقرب لفظ سائد، فيتعامل أكثر فأكثر، بأقل فأقل "ما هو"، فضلا عما يمكن أن يكونه، لكن عدم اقتصار الشخص العادى في تعامله، وظهوره، على "الكلام" كوسيلة أولى، أو وحيدة للتعبير والتواصل المعرفى، لايد وأن يخفف قليلا، أو كثيرا، من آثار هذه المضاعفة المتواترة، تلك المضاعفة التى تتكثف، وتتفاقم، حين نرضخ لمزيد من تحديد الحركة بتقديس "المقرر" من المصطلحات العلمية وشبه العلمية التى لا تكتفى بأن تظل محدودة في مجالها المتخصص بالنسبة للعلوم الإنسانية خاصة، إذ هى تمتد عن طريق الوصاية التخصصية، والإغارة الإعلامية معا إلى وعى الناس، تمتد حتى تشغل مساحة رحبة من حياتنا اليومية،، وكأنها غطاء لفظى هابط من أعلى، وليست ناتجا طبيعيا هو ثمرة الخبرة من الجذور إلى الساق إلى الفروع فالثمر والأوراق،

لضمون أى لفظ يرد في الاستعمال العلمي، وخاصة، فيما يتعلق باتخاذ منهج إجرائي محدد لفحص ظاهرة بذاتها، إلا أنه في مجال العلوم الإنسانية خاصة والنشاطات المعرفية المرتبطة بها، لا بد أن ننتبه إلى أن هذا التحديد - مع فائدته المبدئية - إنما يحمل مخاطر الاختزال والتسكين معا. إن التوفيق بين ضرورة التعريف، وبين مخاطر التقليل والهمود، يمكن أن نجد له حلا جزئيا بالإلتزام بتحديد هذا الاستعمال الخاص في كل سياق على حدة، وقصره على إجراء بذاته، بحيث يكون إجراء موقوتا ومشروطا بشروط الدراسة الجزئية المختصة بجانب معين من الظاهرة المعنية، لكن الذي يحدث في واقع الحال، في أغلب الأحيان، هو غير ذلك تماما، حيث يؤثر الاستعمال الخاص على الاستعمال العام تحت زعم أن ما هو تعبير علمي هو أدق وأصدق مما هو استعمال شائع،

وهكذا يختلط المفهوم العلمي بالمفهوم العام، ثم يأتي دور الإعلام غير المسئول، والاستعمال الاستسهالي، فيترجع المفهوم العام رغما عنه لتتوارى الظاهرة التلقائية داخل مفترضات علمية (= شبه علمية) غير جازمة وغير مفيد تعميمها، بل هو حتما ضار وخطير، فما بالك إن كان كل هذا من مصدر مستورد (مترجم) أساسا؟

من أين نبدأ؟

يصدق ذلك بوجه خاص بالنسبة للعلوم النفسية، كما تتناولها اللغة العربية حديثا، فقد وقعت في أخطاء عديدة جعلتها تتحرك في نطاق شديد الضيق وهي تتناول بعض ظواهر متزامية الأبعاد مكثفة الشمول، مع تحديد بداياتها من "ترجمة لفظية" لما سبق بحثه في بيئة أخرى، بلغة أخرى، ثم إن هذه الترجمة لا ترجع إلى فحص الظاهرة المعنية أساسا، وإنما تبدأ من اجتهاد معجمي (ترجمي عادة) قاصر، وحتى بعد هذه البداية المشبوهة لا ترجع هذه العلوم إلى التاريخ التضميني اللغوي للفظ المستخدم، فتكون النتيجة في النهاية: أننا نتحرك على أرض لا نعرفها، في مساحة لا تسعنا، منقطعي الجذور عن تاريخنا من ناحية، وعن نبض وجودنا اللغوي الأصيل من ناحية أخرى.

حبس مشاعرنا في مصطلحات مستوردة:

بما أن هذه المضاعفة الأخيرة هي أقرب ما يكون إلى تخصصي، فسوف أقدم فيها بوجه خاص ما قد يدعم ما أزعمه في هذا البحث من مخاطر حبس مشاعرنا الإنسانية في سجن المصطلحات المستوردة.

بدا من منطقة باللغة الحساسة شديدة الأثر، وهي المنطقة الخاصة بما يسمى عاطفة أو انفعال أو "وجدان" - سيكون انطلاقي لمناقشة لفظ الوجدان في أصله اللغوي، بالمقارنة بمحاولة اختزاله إلى مصطلح علمي، وذلك كمثال لما أعني من أسبقية الظاهرة الكيانية اللغوية على ما يليها من محاولات علمية اختزالية خاطئة، كما سأحاول أن أقدم هذا اللفظ ابتداء في حركته المتشعبة، وتوليده المتفجر، لإثبات خطورة

(أو استحالة) اختزاله إلى ماهو دونه، فضلا عما هو غيره، ولعل ذلك أنجح في بيان قدرة اللغة العربية على الإيجاء بالوافر من التوجهات الواجب الاستجابة لها إذا ما أريد الاقتراب الأدق من حقيقة الظاهرة البشرية كما أحاطت بها لغتنا القادرة.

وسوف نواصل غداً تطبيق ما ورد في هذه المقدمة على لفظي "الوجدان" و"الحزن" (الجزء الرابع من مقدمة الكتاب).

- مفهوم المطاوعة العصبية Neural Plasticity يعنى قدرة الجهاز العصبى المركزى خاصة على التغير والتشكل، بل النمو والتطور، تبعاً لمؤثرات البيئة واستجابة للتبادل والتنسيق مع المستويات بعضها مع بعض.

- المعلومات Information هنا تعنى كل ما يصل المخ البشرى من مؤثرات جاءت من الوراثة أو من البيئة المحيطة، ولا يقتصر معنى المعلومة على ما هو شائع من معرفة رمزية محددة.

- بالإضافة إلى ظاهرتى التعقيم والتقريب قمت بنحت لفظ "الثلاثين" (لتن: استعمل ألفاظا لاتينيه بحروف عربية ونطق عربى، وقد فضلت ذلك عن لفظ التعريب المستخدم لهذا الغرض، لأننا مع إفراطنا في هذه العملية لا نضيف بل ننتقص منها ونمسخها.

- مثلاً: لسان العرب، وأساس البلاغة.

- الوسيط مثلاً (وإلى درجة أخطر: المعاجم القائلة بتخصصها في ترجمة فروع العلوم المختلفة، وخاصة العلوم الإنسانية)

- سبق لى محاولة مراجعة ونقد ثلاثين تعريف (بالإنجليزية) لما هو انفعال، أو عاطفة مبينا قصورها جميعاً عن الوفاء بتحديد الظاهرة المعنية، وحين لجأت إلى استعمال لفظ "وجدان" تبين لى أنه لفظ أكثر احتواءً، وأدق نبضاً من أغلب الألفاظ المقابلة والريبة في لغات أخرى، حتى أنى اقترحت نقله كما هو إلى اللغات الأخرى متى ما نجحنا في استلهام ما يمكن أن يجدد الظاهرة التى محتويها، أو يشير إليها، انطلاقاً من موقعه في هكذا Wijdan :دون ترجمة. (الإنسان والتطور - السنة الخامسة - ابريل 1983 ص 108 - 150).

مقدمة (3/3): عن الوجدان، والحزن

استهلال

قدمنا أمس (يومية 11-17 "كيف لا نخيس الظاهرة في لفظها؟")، وفي بعض حوار أول أمس (يومية 11-16 "بريد حوار الجمعة")، ومنذ بدأنا في تقديم هذا العمل (يومية 14-11 "ماهية الوجدان وتطوره")، إشارات محدودة للخطوط العامة لكيفية التعامل مع هذه الأطروحة (النظرية): حوارا ونقدا، صرا وسمحا وقبولا ورفضاً، وانتهينا إلى ضرورة البدء **مما هو نحن**، مما رسخ في وعينا بلغتنا (ونضيف الآن: بالعامية والعربية)، كما نبهنا إلى **التوصية بالعدول - ما أمكن ذلك - عن البدء بالمستورد، وأيضاً عن السجن داخل صنم لفظ تجمّد، أو اختزل ليخفق الظاهرة فيما شاع عنها، هذا هو السبيل الوحيد إذا كنا نأمل في حوار حقيقي، نحن في حاجة إليه، وهم كذلك، مهما اختلفت مواقفنا الحالية على مدرج التقدم/التأخر.**

يمكن اعتبار هذه اليومية بمثابة الجزء الثالث من المقدمة.

... عن الوجدان

لفظ **"وجدان"** هو مصدر من فعل **"وجد"** (بفتح الجيم وكسرهما: وجدّ، وجدّ) ويختلف مفهوم ومشتقات هذا الفعل واستعمالاتها باختلاف رسمه، وتشكيله، وحرف الجر الملحق به، ثم السياق الوارد فيه.

فهو يتضمن أبعاداً متعددة في مجالات مختلفة، لكنها متداخلة بالضرورة:

1 - ففي مجال ماهو **انفعال/عاطفة**، نجد أنه قد يعني

(أ) **الحزن**: وجدّ في الحزن وجداً، وتوجد لفلان: حزن له،

ويدون حرف جر: أنا أجد وجداً: وذلك في الحزن (أيضاً).

كما يعني:

(ب) **الغضب**: وجدّ عليه (في الغضب)، في الحديث: إن سائلك

فلا تجد على.

كذلك يعنى:

(ج) **الخب:** وجد به وجدا، في الخب، وله بها وجد: وهو الخبة.

وأیضا

(د) **الكراهية:** أوجده على الأمر: أكرهه.

2 - وفيما يتعلق بمعنى **المعرفة والتبين:** نجد أنه يستعمل عادة بلا حرف جر: **وَجَدَ زَيْدًا ذَا الْخِفَافِ، "ووجدك عائلا فأغني"**،

وقريباً من هذا معنى **العثور على، أو الحصول على:** أوجده الشيء جعله يجده: **يظفر به.**

3 - لكن ثَمَّ معنى يتعلق **بالإبداع والخلق:** أوجده الله: أنشأه من غير سابق مثال،

وهو أقرب إلى الوجود بما هو ضد العدم، **وجد:** خلاف عدم.

4 - وتمتد المعانى إلى ما يتضمن ما هو أكثر عيانية فيما يتعلق بالإشارة إلى: **السعة، والكثرة، والبسط، ومن ذلك:**

أوجده الله: استغنى غنى لا فقر بعده،

5- **ثم الوجد السعة "أشكئوهم من حيث سكنتم من وجدكم"**،

6- **وأخيرا فالوجد: منقع الماء.**

فإذا كان لفظ الوجدان يحمل كل تلك المعانى فكيف نرضي أن نقصره - حتى كمصطلح علمي - على استعمال محدود حتى لو أقره **المجمع اللغوى** اصطلاحيا حين يقر أن "الوجدان" هو:

أولا: كل احساس أول باللذة أو الألم،

وثانيا: الوجدان (يدل) على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة والألم، في مقابل أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة!!

فإذا انتبهنا إلى المحاذير التي قدمناها في بداية هذا البحث راعنا تصور الآثار التي يمكن أن تترتب على أى استعمال ضيق مثل الذى أجازه المجمع، وهو يُبعد لفظ الوجدان بكل إجماعه السابقة وشموله المترامى عن أى معنى سوى هذا التعريف الأخير الخامل،

الخوف هو أن ينفصل لفظ "الوجدان"، إذا ما فعلنا ذلك عما هو نبض إنسانى أعقد تركيبا وأشمل إحاطة، وأعلى ولافا،

ثم هو (الوجدان) سوف يُثَلَّم كأداة معرفية أسبق عن، وأحد من، ما يسمى تفكيرا (تجريديا)، كما يثبت باضطراد من العلوم الأحداث فالأحدث، فضلا عن الممارسة العملية على أرض الواقع.

ثم أين يذهب تاريخ اللفظ وتوجّهاته المعقدة المتضفرة في ذات اللفظ بين الدفع العاطفى المتعدد التوجه، المختلف الاتجاه وهو يتحرك بين الإبداع من العدم، مغلّفا بالقدرة المعرفية المدركة إدراكا سبقيا، متصلا بالسعة والقوة والرؤى والطمأنينة؟؟

ألا تتجلى كل هذه المعاني والإشارات والتضمنيات في حركية اللفظ مما سجلته بضعة معاجم؟ فما بالك بتاريخه الحقيقي حتى تضمن كل ذلك، وغيره؟!!

أفلا يشير ذلك إلى أننا لو رضينا بالاستعمال الضيق للفظ الوجدان بهذه الصورة المختزلة فإننا نتنكر لحقيقة اللفظ وتاريخه؟

ألا يبعدنا هذا الاختزال عن الظاهرة التي نشأ اللفظ أصلا مواكبا لها في محاولة احتوائها أو الدلالة عليها؟، وهي ما نحاول التعرف عليه؟

لا يجتج محاور بأن الاستعمال الأدبي والعام شيء، في حين أن الاستعمال الفلسفي والعلمي شيء آخر، لأنه إذا جاز هذا الفصل في العلوم البحتة، فهو لا يجوز إطلاقه في العلوم الإنسانية، والنفسية خاصة، ثم إننا بهذا الاختزال - حتى بتوصية المجمع - إنما نلصق لفظا عريقا كلفة على ظاهرة لم نتبين معالمها أصلا، بدلا من أن نستلهمه لما ينبغي أن نبحت فيه، لأن اللفظ إذ نشأ وتطور، إنما نشأ وهو يلامس ظاهرة ما، ثم هو يحاول احتواءها، فيكشف ويكتشف تعدد وجوهها، وثرأ عطائها، فيتحرك في سياقات متعددة ومتنوعة، ثم يلحق به حرف مساعد، أو تسبقه أداة موضحة، فيقترب ويبتعد، ويجتهد لاحتواء مضمون مناسب لما يريد وصفه، ثم يعجز - عادة - فتفيض عن حدوده تولدات الظاهرة الأرحب، فيلاحقها باستعمال جديد، أو يساعده لفظ جديد، وهكذا.

ولقد قلنا سابقا (أمس) إن الظاهرة أسبق من تسميتها، ولكنها ليست بالضرورة أسبق من لغتها الأساسية، ذلك أن التركيب اللغوي الغائر هو أسبق من التحديد اللفظي (المعجمي بالذات) - ونذكر القاري هنا أيضا أن التحديد اللفظي المتنوع في السياق هو أسبق من التحديد العلمي المصطلحي، لكن التحديد العلمي في هذه المنطقة بالذات من العلوم النفسية - يرتد بالأثر المختزل والمشوه لما هو أشمل لغة وأرحب وجودا.

يجدر بنا إذن أن نشير هنا إلى محاولة إبداعية عربية (محدودة ومبتورة) اتخذت من هذا اللفظ (وجدان) منطلقا لتدعيم ما أسمته ثورة فلسفية، ولا أقول إن هذا اللفظ بمدلولاته اللغوية هو الذي أوحى لصاحب هذه المحاولة بانطلاقته المبدعة، وإنما أرجح أن صاحب هذه الفلسفة حين نبض برؤيته التي تجاوزت اللغة السائدة، إذا به يجد نفسه يقترب من أصول لغته ليلتقي بأقرب ما يمكن أن يضمه خبرته، وهو لفظ الوجدان المتعدد التوجه، والحاضر حضورا شاملا في أكثر من مجال وسياق، ومع تفاعل الباحث مع لغته، استطاع أن يعيد النظر، وأن يجدد، وأن يضيف، وأن يجتهد، وأن يتخطى سجن الساكن والمستورد جميعا، وأهم ما في فلسفة تيسير شيخ الأرض هذه (بما عليها) أنها تقرر ضرورة الرجوع إلى الوجود، لا القناعة بالمجردات العقلية، حيث "الوجدان أصل الذات التي

يكون العقل جانبا من جوانبها" - ولن أتطرق هنا إلى استعمالات الفيلسوف لكلمة "الوجدان" والتي بلغت أكثر من ستين استعمالا أصيلا، من أول أنه "القبض على الوجود" إلى أنه "الذات الأخلاقية إذا ما أضيف إليها القوة البديعية حيث يصبح الخير والجمال مضمونه النزوعي".

الخلاصة :

أردت من كل ذلك أن أؤكد أن حوارنا مع لغتنا في حركتها الحرة هو الذي يسمح لأفكارنا الجديدة أن تجد ما تحتويها، ولو نسبيا، أما اختصار رؤانا ومشاعرنا إلى أقرب لفظ استعمرناه من سبقنا من أبناء لسان آخر، فهذا هو ما كتبت هذه الدراسة - ابتداءً - لأحذر منه حتى لو كانت سلطة الاختزال هي مجمع لغوى، أو مرجع علمي، أو إجراء بحثي، فحين عاد تيسير شيخ الأرض (على ما هو) إلى أصول لغته في نبض جسده محييا تاريخه: قبض على وجوده (على حد تعبيره) فأبدع وأضاف غير هباب (وإن كان قد شطح حتى تجمد)،

إن استعمال لفظ الوجدان - كمثال- في حدود الوصاية المصطلحية أو المعجمية الأحدث إنما يختزل اللفظ حتى يضمحل عطاؤه الأصلي، فينكمش بلا فاعلية، وتنطمس معالمه حتى يعجز عن الإحياء والإشارة إلى الاتجاهات التي سبقت الإشارة إليها عبر تاريخه التضميني الطويل، وكذا إلى الاتجاهات الواعدة المتجددة حسب حركته المبدعة.

فماذا عن "الحزن"

إذا كان لفظ "الوجدان" ليس شائعا في الاستعمال اليومي لدى عامة الناس، وقد أثبتنا - بمراجعته - الفرق الشاسع بين تاريخ تضميناته وشمول إحياءاته وتنوع تجلياته، وبين قصور تعريفه المصطلحي، فنحن لم نستطع أن نبين مدى أثر هذا الاختزال أو التشويه على الكيان الأعمق لمستهعمليه، ذلك لأن الإعلام - مثلا - لا يقحمه علينا بإلحاح ولا حتى أحيانا، كما أن الناس - عامة الناس - لا تتداوله بما يظهر مخاطر اختزاله، لذلك لزم لكمال هذه الدراسة أن ننتقي مثلا آخر أكثر تواترا بين الناس، وسوف أحاول ذلك أملا في كشف بعض حركة الإغارة والإحلال التي تجري ليحل لفظ مصطلحي ساكن، محل لفظ متحرك مرن متفجر، في حياتنا اليومية، ومن ثم في تحوير لغتنا (وجودنا) دون وعي كامل أو اختيار مسئول، وقد اخترت لذلك تناول الظاهرة المتضمنة فيما يسمى "حزنا" فأقول:

شاع مؤخرا أن الحزن هو شيء مرفوض من حيث المبدأ، وأنه - دائما - نقيض الفرح أو الطمأنينة والسعادة أو الرفاهية أو كل ذلك .. ومع انتشار هذه الشائعة، على مستوى "التصريحات النفسية" خاصة، أخذ لفظ "الاكتئاب" محل لفظ الحزن رويد رويدا، حتى كاد أن يصبح أي حزن مهما كان حفزه، أو نبضه، أو اتجاهه، أو توليده، أو غائيته، أو مضمونه، أصبح أي حزن وكل حزن مطالبا بأن يقبع داخل حروف اللفظ الجديد "الاكتئاب" - ومع أن ظاهرة الحزن هي أعمق

وأرسخ وأقدم وأدق من كل وصف حاول أن يلمها أو يكتويها أو حتى يحوم حولها، فإن حضورها اللغوي الأصيل قد استطاع أن يقترب من حقيقتها بشكل أو بآخر، ولكن حين تسلل لفظ "الاكتئاب" زحفا على نبيضا خنقها أو كاد، فقد تضخم هذا اللفظ (الاكتئاب) وألح (بالعلم والإعلام معا) حتى كاد يطمس كل ما عداه، فينعكس هذا كله على الكيان اللغوي للظاهرة الأصلية حتى يخل - بالتالي - بحقيقتها أو يشوه جوهرها، بتحريكها إلى ما ليس هو، أو قل: بتسكينها فيما ليس هي، وهذا خليق بأن يجمد المسيرة الإنسانية في ارتقائها الحيوي والرمزي معا، لأنه ناتج عن وصاية مفتعلة، وليس عن جدل طبيعي خلاق.

ما هي حقيقة ما هو "حزن" في عمق وعينا؟

الحزن - في عمق أصوله - هو جزء لا يتجزأ من طبيعة الوجود البشري: مواجهة فدفعاً، ولا أميّر هنا بين حزن دافع وحزن معجز، لأن طبيعة دورته تجعله يتناوب بطلاً وإسراعاً، وضوحاً وخفاءً، في ظاهر السلوك بما يوحي بمثل هذه التفرقة التي إن صحت، وصحيح بعضها، فإنها لا ينبغي أن تكون تكتة للاستسلام العام لكل ما هو حزن تحت ضغط الإعلاء من مطلب "الرفاهية" كمرادف للصحة والسعادة، بل.. و.. والخضارة (كما شاع مؤخراً)، وبالتالي، ورغم التفرقة السابقة التي ننسأها من إلحاح التشويه المنظم للظاهرة الأصل، نستقبل أي حزن باعتباره ضد هذه القيم جميعاً (الرفاهية/ الصحة/ الاسترخاء الحضاري.. إلخ) ويتسحب لفظ الاكتئاب بديلاً زاحفاً يكاد تمتليء به الساحة.

... عن "الاكتئاب":

ثم نرجع لإلقاء نظرة سريعة على ما يقال له "الاكتئاب" كما تجمد داخل المصطلح العلمي أولاً،

فنجد أنه "الإحساس بالحزن وسوء المزاج"،

أو أنه:

"صعوبة في التفكير.. وكساد في القوى الحيوية وهبوط في النشاط الوظيفي"

أو أنه:

"الشعور بالعجز واليأس وعدم الكفاءة والحزن"،

وهذا كله صحيح بدرجة ما، وفي حدود ما، فإذا انتقلنا إلى كيف عرضت المعاجم لفظ الكآبة، نجد أنها:

أكدت على الكم:

"الكآبة هي شدة الهم والحزن"،

وبعضها أكد على ما هو كسر وانكسار

"الكآبة: سوء الحال والانكسار من الحزن،
واكتآب: حزن واغتم وانكسر،
وأخيرا فقد تصل الشدة والكسرة إلى الهلكة"
أكاب: "وقع في هلكة"

فشروط الاكتئاب لغة - من الشدة والكسرة والهلكة - تبدو لازمة بما لا يترادف مباشرة وبلا تحفظ، مع ما هو حزن (تعميما).

استسهال وسوء استعمال

إلا أننا من واقع سوء الاستعمال وفراط الاستسهال رضينا بهذا الإحلال، حتى أصبح كل ما "يكدر المزاج" أو "يهدد الرفاهية" مهما كانت درجته أو وظيفته هو كآبة، وبالتالي فهو مرفوض، خاصة بعد أن انسلخ عما هو حزن بمعناه الأصلي،

ثم إن المسألة ليست في التأكيد على أن ما هو حزن هو أقل شدة من الكآبة أو أصلب عودة، بل هي في محاولة بيان أن الحزن هو لفظ آخر له مضمون أشمل، قد يجتوى بعض هذه الصفات جميعا وغيرها، وضدها أحيانا.

عودة إلى الحزن في المعاجم

وباستشارة المعاجم كمنطلق (وليس كمنتهى) نجدنا نكاد لا نرضى ابتداءً بوصف الحزن بما هو مقابل نقيضه، باعتبار أنه لا ينبغي أن نتعرف على الحزن على أنه: "نقيض الفرح وخلاف السرور" ذلك أن لفظ الحزن، وخاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار تنوعايتها التشكيلية، إنما يتضمن غير قليل من إيماءات الجدية والقوة والدفع بحيث يصعب فصل هذه الإيماءات عن متضمنه العاطفي (الانفعالي/ الوجداني)،

فالحزن أيضا :

ضد السهل المنبسط، (حزن المكان حزنا: حشن وغلظ)،
والحزن: ما غلظ من الأرض،

والحزن فيه مواجهة وعناد ولقاء وشدة
"شيخ إذا ما ليس الدرغ حزن، ... سهل لمن ساهل حزن للحزن"،
إذن، فليس فيما هو حزن: كسرة، أو هلكة فقط،
وليس فيما هو اكتئاب حفز أو مواجهة أو عناد أو قوة،

لكن الخلط يمضي في ازدياد، والزحف لا يتوقف، حتى دخل اللفظ المقابل للاكتئاب، بالإنجليزية Depression إلى الاستعمال اليومي عندهنا معزباً حتى أصبح كثير من الناس يتحدثون عن مشاعرهم العادية بأن عندهم اليوم "دبرشن" قل أم كثر، حفز أم كسر،

وبالرجوع إلى لفظ Depression في اللغة الإنجليزية (الوصية الأولى على وجودنا المستعار) نجد أن هذا اللفظ إنما يفيد أساسا معنى الحزن في أسطح صورته، ومعنى الهبوط في شكله العيان (إلى أدنى)، ومعنى العتامة Gloominess والهمود،

وحتى في الاستعمال الاقتصادي الاجتماعي هو يشير إلى ركود السوق والبطالة، وليس هذا مجال التطرق إلى تفصيل تاريخ

هذا اللفظ بالإنجليزية، أو علاقته ببعض مترادفاته أو مواكباته من ألفاظ أخرى مثل Dejection أو Boredom أو Grief فكل هذا قد ينحرف بنا إلى استطراد مسهب يخرج عن هدف هذه الدراسة، لكنني أشرت إلى اللفظ الإنجليزي لأنه مصدر الإغارة الزاحفة إلى لغتنا العلمية أولاً، ومنها إلى لغتنا اليومية، حتى كاد يصبح هذا اللفظ الأجنبي بأصوله وحدوده هو الوصف المقرر الذي يحدد حركة مشاعرنا، كل هذا ونحن مستسلمون لوهم دقة المصطلح العلمي وإلحاح الملاحقة الإعلامية.

لكن المقاومة الواعية ضد هذه الإغارة المنظمة من خلال حالة الشعر التي تتحمل مسئولية المواجهة العنيدة للحفاظ على لغتنا بتحريكها من أصولها الغنية إلى وعودها المترامية، وأقول حالة الشعر مستعيراً تعبير صلاح عبد الصبور حتى لا يقتصر الأمر على قرض الشعر، ثم أستشهد به شاعراً في مواجهة ما هو حزن في قصيدته "أغنية إلى الله".

(1)

حزنى غريب الأبوين
لأنه تكون ابن لحظة مفاجئة
ما حُضتته بطن
أراه فجأة إذ يمتد وسط ضحكتي

الشاعر يبدأ بأن يكتشف في الحزن قدرته على ذلك الحضور المفاجئ، الذى لا ينفى تراكما سابقاً صامتاً، وهو أيضاً في هذا المقطع يعارض ذلك الاستقطاب المعجمى الذى يضع الحزن والفرح على أقصى طرفين متباعدين متضادين، فهو يكتشف حزنه ممتداً وسط ضحكته، ثم يروح يصنف الحزن كما عاشه، (يعيشه) لأكما فرض عليه (أو استورده).

(2)

لقد بلوتُ الحزن حين يزحم الهواء بالدخان
فيوقظ الحنين

ويهمنى هنا - رغم تحفظي في نقد سابق - فعل "يوقظ"، وإلى درجة أقل "الحنين"، لما في ذلك من إشارة إلى قدرة الحزن على الحفز والبعث، ثم إلى ارتباطه بالعلاقة بالآخر - وكل ذلك يتنافى مع ما يشيع عن الحزن (بعد زحف الاكتئاب المصلحي عليه) من إعاقة وهبوط هامد، وهو يفتح وعينا لحركته المتحدية الأقوى.

(3)

ثم بلوتُ الحزن حين يلتوى كأفعوان
فيعصر الفؤاد ثم يحنُّه
وبعد لحظة الإسار يعتقه

وهنا يجدر بنا أن نستعيد ما ذهبنا إليه لنؤكد - من واقع لغتنا العربية - هذه القدرة الطاغية التى يتمتع بها الحزن (هذا الحزن) في إغارته المتمكنة على حركية المشاعر.

(4)

ثم بلوتُ الحزن حينما يفيض جدولا من اللهب

ومن جوف هذه النار المتدفقة (جدولا)... يشرق الجديد نورا
بعثا:

(5)

يتجمع في إشراقة الغد

(6)

ثم يمر ليلنا الكئيب
ويشرق النهار باعثا من الممات
جذور فرحنا الحبيب.

أخيرا، ولأول مرة يستعمل صلاح لفظ "الكئيب"، في زمن يمضي، دون مواجهة؛ وفيما يتعلق بما هو "ممات"، وكأنه قد التقط ما في لفظ الكآبة من فراغ ساكن، بالمقابلة بما استشعره في الحزن من حركة باعثة، حتى أن رجحت أن جذور هذا الفرح لم تزوها إلا نهر الحزن، فدبت الحياة في الكآبة الممات:

(7)

لكن هذا الحزن مسخ غامض غريب

وهكذا واصل الشاعر مواجهته للظاهرة في حركتها الجدلية المولدة، فتبين له بعد آخر، لعله النقلة بين ما هو حزن، وما هو اكتئاب، حين يعجز الأول أن يبعث، أن يولد، أن يفجر، فلا يعود حزنا، أو هو حزن لم يالفه، لا يعترف به، وكأنه يرفض - معنا - أن يكون هو حزنا الذي يركنا، فلعله الحزن المفروض علينا شائها، أو مستوردا، أو مجهضا، أو عنينا:

وبعد

بنظرة متأنية فاحصة لجدل الشاعر مع لفظ الحزن وهو يعايش الظاهرة المحتمل أن يحتويها، نجد أنه يجح بدرجة مناسبة في أن يعيد تخليق التراكيب اللغوية المتضفرة، والمتألفة، والمتناقضة، والمتعاقبة، والمتبادلة، بأمانة مغامرة دون أن يركن إلى مضمون سابق، أو يجس نفسه في إجماعات مصطلح ساكن، أو معجم خامل،

فهذا الشعر.

مقتطف من شعر الكاتب

وقد يكون مناسبا أن أعرض لحة من خيرة خاصة حين هاج بي الوجد شعرا في مواجهة ما يلقيه مرضى في وعبي وخاصة حين يرفضون، وأرفض معهم، أن تُخْتَلَّ خيراهم إلى مصطلح تشخيصي عاجز، أقول هاج بي الشعر فرحت أصف الحزن من خلاهم، وخلا، قائلا:

يتحفز حزنٌ أبلجُ

حزنٌ أرحب من دائرة الأشياء المنثورة
الأشياء العاصية النافرة الهيجي
حزنٌ أقوى من ثورة تشكيل الكلمات
حزنٌ يصرخ بكما

يُشْرِقُ الْمَأْ
حَزَنٌ يَسْتَوْعِبُ أَبْنَاءَ الْخَيْرَةِ
يَجْمَعُ أَطْرَافَ الْفِكْرَةِ
يُوقِدُ نَارَ الْأَحْرَفِ وَالْأَفْعَالِ
حَزَنٌ يَحْنُو، يُدْمِي، يُلْهَبُ، يُضْرَخُ،
يَحْيِي رُوحَا مَيِّتَةٍ ضَجْرَةً.

يحيى الرخاوى 6-5-1982

أكتفى بهذا القدر، لأن قصيدتي إلى عرض مثال متواضع لعله يبين كيف يقوم الشعر بثورته على محاولة سجن المشاعر والظواهر الأشمل داخل المصطلح اللفظي الساكن، ناهيك عن المصطلح العلمي القابض الشائع

وللأمانة فلابد من الإشارة إلى ما تحدانى في اتجاه معاكس وأنا أراجع لفظ الحزن في التنزيل الحكيم مما لا مجال لتفصيله هنا

بعض مترادفات الحزن

وقد يكون مفيدا بنفس الدرجة، أو أكثر أو أقل، أن ننقل إلى بعض مترادفات ما هو حزن، نستلهم منها أبعاد الظواهر الإنسانية (النفسية) في أصولها، لعلنا نتحمل مسئولية فحصها كما هي، وكما توحى به، لا كما نستورد شبيهاتها، بما تطمسنا فيه، ولا أجد متسعاً في هذا المقام لاستطراد مطولاً، لذلك فسأكتفى بالإشارة إلى لفظ قريب وهام يبدو أنه شغل الشعراء الأقدم، كما شغل لفظ الحزن، الشعراء الأحدث، وفي نفس الوقت، فقد وجدت في شكله وحركته ما يستلزم الإشارة إليه هنا كمثال توضيحي مساعد، ألا وهو لفظ "الهم"، بادئاً بالعلاقة بين ما هو "هم" وما هو "هَمَّة"

عن الهمِّ والهمّة

"الهم لغة ينتمي أساساً إلى العزم على القيام بأمر ما
"هم بالأمر ولم يفعله"، لكنني لم أرتج للاستسلام

هكذا لشروط أنه لم يفعله، اللهم إلا إذا أضفنا لفظ "بعد" أي أنه "لم يفعله بعد" - ذلك أني حين عايشته اللفظ من الممارسة الذاتية والمهنية والإبداعية، رجحت أن ثمة علاقة خليقة بالعناية ما بين الهم بمعنى الحزن، والهم بمعنى العزم (على)، والهم بمعنى الشدة (بما يحمل معاني الجدية والصعوبة والقوة جميعاً، المهمات من الأمور الشدائد) - وكل هذا يقربنا أكثر فأكثر من المعاني الإيجابية التي استوحيناها من حركية لفظ "الحزن" فكلاهما (لفظاً الحزن والهم) إنما يؤكدان كيف أن الظاهرة التي تشملهما أو تجمعهما أو يحومان حولها. الخ، هي ظاهرة تتحرك لغويًا/كيانياً، من المواجهة إلى الألم إلى العزم إلى الشدة بما يشمل الحشونة والصلابة، وكل ذلك يناقض معنى الكآبة (كما قدمنا) لغة ومصطلحاً.

وأجده مناسباً هنا أن أعرج إلى ابن عربي كمثال لمحارب صوفى فحل، لم يحبس عجز الكلام المتاح عن محاولة وصف خبرته الفيضانية المنطلقة، فراح يبتدع لغته المتجاوزة بكل إصرار

ومغامرة، وأجد في هذا الاستشهاد ما قد يوضح بعض ما ذهبت إليه في أول هذه الدراسة حين أشرت إلى أزمة المتصوف حين لا يجد خيره ما يحملها - بأمانة واحاطة - من ألفاظ، اللهم إلا من خلال مثل هذه المغامرات الشعرية الخطرة.

الهمة عند ابن عربي: قوة وطاقة محركة، وفيها يقول: "إنها تتوجه كطاقة مجردة عشقية" وأنها "تحمل صاحبها: ترقى فيترقى" - وكأن ثمة علاقة جدلية بين "همة" و"إرادة" الوصول، فيناقش ابن عربي مراتب الهمة من همة "نبيه"، إلى همة "إرادة"، إلى همة "حقيقة"، فيتدرج بذلك مع يقظة الوعي إلى تعظيم القدرة (النفس إذا تجمعت أثرت في أجزام العالم) إلى التكامل مع اللامتناهي (جمع الهمم بصفاء الإلهام)

وأكتفى بهذا المدخل الذي أوضحت من خلاله كيف حاول ابن عربي أن يطوعه لوصف درجات وعيه لأنبه أن الهم - هكذا - إنما يشير إلى ما يشير إليه ما هو حزن، مما يتوأكب مع الوعي بآلام مواجهة الواقع بحجمه الموضوعي، وقد تصبح الصورة أكثر اقتراباً فوضوحاً إذا استشهدنا بموقف بعض الشعراء القدامى مما هو "هم" بالمعنى الذي رجح عندها:

يقول ذو الرمة:

وكنت إذا ما الهم صاف قرينته
مواكبة ينضو الرعان ذميلها

فالهم هنا بأى ضيفا، فيكرمه الشاعر ويحسن وفادته، إذ يواكبه صرا وتقبلا وتحديا وترويضاً واثقا من أن تقبله لهجمة الهم "الرعاء"، يمكن أن يحتويها تقبله الهادئ لها، ومواكبتها حتى تتراجع حدتها من حسن استقبالها، بهذا الموقف الواعي وكم هو أرقى بكل قياس مما أصاب مشاعرنا ومواقفنا نتيجة لاعتبار كل "هم" عدواً مقتحماً علينا أن نرفضه ونطرده، أو ننكره ونخفيه، مقارنةً بإكرام وفادته وحسن استقباله التي نتعلمها من ابن الرمة، وهذا ما يجعلني أعجب كيف جعلنا الهم جسماً غريباً ونشازاً منقرا ينبغي التخلص منه أو إخفاءه، نفورا: ورفضاً طول الوقت.

أما امرؤ القيس، فهو يلتقى بالهم، أو بأنواع الهموم، في اختيار وجودى مواجه حين يرخي الليل - كموج البحر- سدوله

"على بأنواع الهموم ليبتلى"،

أو: وامرؤ القيس يتلقى الهموم يهيجها الشوق روادعا
"وهاج يى الشوق الهموم الروادع".

أكتفى بهذا القدر مرجحا أن همة ابن عربي في ترقيها المتساعد، ليست بعيدة عن همّ ذي الرمة الضيف المواكب، أو عن هموم امرؤ القيس المختبرة والروادع،

وبعد

أردت بكل هذه المقدمة أن أنبه على أن البداية لا بد أن

تكون من لغتنا الغائرة في كياننا - وليس من المصطلح المجلوب إلينا - جاهزاً من ثقافة أخرى لها تاريخ آخر، هذا هو السبيل الصحيح للتعرف على حقيقة مشاعرنا وطبيعة وجودنا وحركية وجداننا، ثم التعامل معها في الصحة والمرض.

أعتقد أنه يحق لي بعد عرض هذه الأمثلة أن أحدد ما ذهبت إليه في بداية هذه الدراسة في صورة **ترجيحات غالبية**، لابد وأن تحتاج إلى مزيد من البحث وإعادة النظر، ومنها:

- 1 - إن الظاهرة أسبق من لفظها.
- 2 - إن لسان كل أمة هو تاريخها الحيوى المتراكم في عمق وجودها الآتى، ولغتها بالتالى هى منطلق معارفها في مجال ما هو ظاهرة بشرية "معرفية/وجدانية".
- 3 - إن اللغة - حتى بحضورها المعجمى المحدود - في حركتها الموحية، هى المصدر الأول (وليس الأخير) في تحديد التوجه نحو ما ينبغى - ويمكن - دراسته من ظاهرات.
- 4 - إن الجدل بين هذا المصدر الأول، وبين الموقف المتجدد منه هو المجال الأصيل لتحريك اللغة وتوليدها، لاحتواء الوجود وتجديده، وهذا هو **الشعر**.
- 5 - إذن، فإن ما يسمى بالعلوم الإنسانية، والنفسية خاصة، ينبغى أن تستلهم مادتها من لسان أهلها، لا أن نستوردها ابتداءً من "سلوك" أو لغة غيرها، كما ينبغى أن تستلهم منهجها من جدل الشعر، لا أن تنقله من قياسات الظاهر، وبهذا فقط: يمكن أن تؤصل وتضيف، لا أن تختزل وتعيق، بما يفيد كل البشر هنا وهناك وعلى مدى الزمن.

الإثنيون 19-11-2007

80- مقتطف وموقف... عن الشعر والنثر

قبل المقتطف:

المقتطف من كتاب أسامة الدناصوري (وليس الديناصوري، نبهنا إلى ذلك، وأصر، وتنازل، ثم أصر ..) أنهى الكتاب (أعنى الكتابة) في 2006/12/8، ومات.

مات وهو ينتظره (الموت)، ويتمناه، ويتحدها، ويرحب به، ويرفضه، وينتصر عليه بموته هكذا، مات يوم 2007/1/5 (أقل من شهر)

قرأت الكتاب مرغما بمناسبة أنه سوف يناقش في ندوتنا الشهرية 2007/12/7، تلك الندوة التي كنت قاطعتها محتجا لأول مرة منذ أكثر من ثلاثين عاما الشهرين الماضين لأسباب ذكرتها (يومية 2007-10-28 "هرمان هسه وتجليات التعدد إلى التكامل (إليه.. 1")، أعود لها مضطرا فأتعرف عليه بعد أن رحل، أعود احتفالا بموته، أعنى احتراما لموته.

كان ابني محمد - لم يطرق باب الشعر قبلا- قد كتب قصيدة (لم يسفها كذلك) نشرته له - على حد علمي- لأول مرة في أخبار الأدب [العدد741] بتاريخ 2007-9-23 كتبها في هذا الذي جرى، يجري، أعطاني القصيدة، أو ربما هالة ابنتي - زوجته- هي التي أعطتنيها، كان متردداً، فهو عادة لا يعطيني ما يكتب، ولا ما ينشر، ولا ينبهني إلى ما يفعل، هو على وشك بلوغ سن أسامة بعد شهرين (46 عاما!)،

ربما كان أسامة صديقه، وربما لا، أنا لا أعرف أصدقاء محمد،

مرة غامرت وعرفت بعضهم عن قرب، رفضوني بقدر ما رفضتهم، فهمت وابتعدت،

لكنني كنت - ومازلت حريصا- على استمرار صداقتهم مع بعضهم لبعض، أفرح بهم من بعيد لبعيد، لا أريده أن يصير مثلي، هو دمث في حدود ما أعلم،

أنا أخطئ فيمن يقترب بلا هوادة، ولا استئذان لايتمهل، لا يستطيع أن يرد لي تحييطي، مع أني أسمح "بمعاملة المثل" (وهل تم تحييط بعد سماح!!?)

ينصرف من اقتراب،

لا أندم
ولا أفرح
وأنتظر

يطول انتظاري، فأنتظر.

قرأت قصيدة محمد، كتب في قصيدته.. "أعرف أني لا أعرف معنى الحب" هل توجد صداقة بلا حب..؟

نعم!!

لماذا نصر على أن نسعى الأشياء؟

فما بالك بالعواطف؟!

قرأت كتاب (كتابية) أسامة حتى أتعرف على محمد إبنى، وربما تعرفت على صديقه أوضح، أو على نفسى والفضل كله لأسامة الدناورى،

الذى ذهب ولم يذهب،
مع أنه لم يحضرن قبلاً.
الكتاب (قبل المقتطف)

لم أعد أفضل استعمال كلمة ملحمة، مع أنى رحبت بها حين وضعها شيخنا نجيب محفوظ قبل الخرافيش، الكتاب قصيدة ملحمة طويلة كل من يذكر رواية الخرافيش، دون أن يذكر أنها "ملحمة الخرافيش" لم يلتقط المراد،

أضفت كلمة "ملحمة" قبل اسم روايتي "الجزء الثالث من ثلاثية المشى على الصراط"، التى ستصدر عن الهيئة العامة خلال أسابيع، ظل اسمها مدة طويلة "الرحيل والعود" وفجأة أضفت كلمة ملحمة دون اقتناع، كنت قد بحثت عن أصل كلمة ملحمة فى نقدى "ملحمة محفوظ، ووجدت لها تعريفاً مناسباً يليق بملحمة الخرافيش، لكننى لم ألتزم به على علاته، فتجرات وأسميت الجزء الثالث من ثلاثيتي: "ملحمة الرحيل والعود"، وفى انتظار نقدي قاس (إن وجد أصلاً) أحتمل مسئولية ما فعلت!.

كتاب (كتابية) أسامة الدناورى ملحمة بالمعنى الجديد الذى ارتضيته، دون أن أحتاج إلى تعريف جديد إذا أردت أن تقرأ الكتاب من أسخف مدخل فاقراه باعتباره سيرة ذاتية.

أما إذا أردت أن تتسع ساحة تلقيك له بما يستحق، فاقراه من خلال ما سجله محمد بدوى على ظهر الغلاف... هو "كتابة فضاء المرض وتجربته".

ولا حتى ذلك،
مع أنه قريب من ذلك.
فماذا هو:

أنا شخصيا قرأته، باعتباره قصيدة ممتدة، (أو اكتشفت ذلك بعد أن انتهيت منه)، رفضت أن أسيها في البداية، لكن كل العناوين التي خطرت لي كان بها كلمة "الموت"، لماذا؟ مع أن المؤلف (من واقع قصيدة محمد) لم يموت بعد؟

منذ كتب أدونيس في رثاء صلاح عبد الصبور "الموت: ذلك الشعر الآخر"، وأنا أقتطف قوله هذا وأعود إليه دون أن أزيد عليه أو أشرحه،

انشغالي بحكاية الموت هو هو انشغالي بحكاية الحياة،

كلا الانشغالين لا يمرر لهما، -على قدر علمي-

لا أعرف نوعا آخر من الأحياء تشغله هذه القضايا السخيفة في أي مستوى من مستويات وعيه،

مؤخرا، حين توقفت عن الانشغالين معا، وجدت نفسي أعبر الحاجز بين الحياة والموت،

خرجت من التجربة منتبها إلى أن كل المطروح علينا هو أن نقرر إن كنا سنختار الحياة طالما نحن مازلنا نسمى كذلك (أحياء) أم لا، حتى لو اخترنا الموت بوعي مسؤل، فقد اخترنا الحياة.

أسامة اختار الحياة وهو يعيش الموت كل دقيقة، بل كل ثانية، اختارها بملء وعيه، اختارها ضد كل الحسابات، وكتب كتابه "كتابته" فوصلني من خلالها اختياره الأصعب من الصعب، هذا ...

قصيدة محمد

أتوقف الآن فجأة، وأترك أسامة، أو أذهب إليه من باب آخر، من خلال صديقه، أحاول أن أتعرف عليه من قصيدة محمد، اكتشف أن عناونها فيه كلمة الموت، لكن في صيغة الفعل المضارع "يموت" "رسالة إلى رفيق يموت"،

محمد كتبها ربما بعد شهر أو شهر من موت صديقه، فلماذا؟ الفعل المضارع "يموت"،

أول مقطع فيه دعوة للقتل
".... أو حاول قتلي لأموت أنا بدلا منك".

... لكنه سرعان ما يقرر أن الدورة دَوارة وهو يؤكد لصديقه:

"الكنتك ستموت، وقريبا جداً"،

وللأسف هو يجتم القصيدة بنفس الموقف (لا نفس المقطع)،

"حاول قتلي بدلا منك،

لكنك أنت الأقرب،

ستموت قريبا جداً،

وستعرف".

لاحظت اختفاء كلمة "لأموت"

في البداية قال: حاول قتلي لأموت أنا بدلا منك

وفي النهاية قال

"حاول قتلي بدلا منك"

لماذا أنت واثق هكذا يا محمد أن صديقك سيموت؟

كيف ترى نثر الحياة: ومن أية زاوية، وأى المفردات يستوعى انتباهك أكثر من الآخر؟

ثم الغلالة الرقيقة، التي تغلف المشهد الذي وقع اختيارك عليه.

تلك الغلالة التي هي روح الكاتب، ومزاجه الخاص. والتي تحوّل تلك المشاهد إلى نصوص.

المشاهد الغافلة، التي تسبح في ديمومة الوجود. والتي تنزلق عليها الأعين دون أن توليها أى قدر من الاهتمام.

إلى أن تأتي عين الكاتب، فتضعها بين قوسين، ثم تنقلها بجرس إلى الورق، لتبدأ حياة جديدة لا تنتهى.

هذا المقتطف الثانى من كتاب (كتابة) أسامة، نخرج منه برؤية مختلفة لما أسماه نثراً، إن المسألة ليست في تقسيم خطابنا الأحداث شعراً أم نثراً ولا في تعريف أى منهما، وإنما هي في التعرف على حركية اللغة من خلال كل منهما، دون حاجة إلى الفصل بينهما تعسفاً.

طيب، أهذا أسمى كتاب محمد هذه "قصيدة" ؟

ثم إننى حين بدأت يومية اليوم، قلت إن كتاب (كتابة) أسامة قد وصلتني قصيدة ممتدة،

فليكن المقتطف الثالث والأخير هو ما كتبه محمد في صديقه، لصديقه، عن صديقه، عن نفسه، لنفسه، لى، وقلت أنهى اليومية باقتطاف محدود من تلك القصيدة.

حاولت أن أقتطع مقطعاً أو اثنين من القصيدة فلم أستطع،

خفت أن أظلمه، فقلت:

ماضرنى لو أثبتتها كلها، ثم أعلن موقفى من كل ذلك فيما بعد؟!

فها هي ذى :

المقتطف الثالث والأخير:

رسالة إلى رفيق يموت

ستموت قريباً جداً.

إبصق في وجهي، أنت ومن يرغب في أن يراف بك،

أو حاول قتلى لأموت أنا بدلاً منك،

لكنك ستموت،

وقريباً جداً

(1)

ها أنت وقد أصبحت

تعرف وحدك

ما كنا نسعى نعرفه سوياً

ها أنت وقد أصبحت تعالين ما يهجس أحياناً،

إذ أستشعر موتى يمشى جنى
 ما أنت وقد أصبحت الأقرب.
 ابصق في وجهي واكْرِهْنِي،
 أو حاول قتلي بدلاً منك
 لكن فلتسعد بالحظ الطيب
 ولتأمل في وصلي طيب
 أو

فلتسعد بالوصيل الطيب
 ولتأمل في حظ طيب

(2)

أعلم - علماً تاماً - أنك ترغب في أن تمضي
 فوراً

أعلم أنني أرغب في أن أمضي فوراً - أيضاً -
 لكن ينقضني "تمام العلم"

أنت الأقرب
 أنت الأوثق والأؤكد
 لا تحسدنا، نحن الأضعف،
 نحن المازلنا لم نتأكد بعد

لا تتردد واذهب، وافرح بمضيك نحو يقين مطلق.
 لا تحسب أن العدم هناك

لا تحسب أن هناك عدم
 حسبك أنك أنت الآن هنا

وهو الممكن إثباته،
 أو غاية ما يمكن إثباته

هل تقدر أن تثبت شيئاً آخر عني لي؟
 أو عنك لك؟

(3)

هل أحببتك يوماً؟؟
 هل ما زلت أحبك؟؟

أعلم عني، ... أما عنك فجاوب أنت
 أعرف أنني لا أعرف معنى للحب

لكن، أيضاً أعرف : أن مماك جعل مماي يمشى
 جنى

أنت الأؤكد
 وتأكدت الآن

أن حياتي كانت تمشى جنب حياتك أيضاً
 لا أعرف كيف

إلا أن فرأك ذكرني بزحيلي
 ذكرني أنني لست قريباً منهم

ذكرني أنك أنت الأقرب منه :
 "الينتظرك"

وأنا أسعى
 وحدى أمضي

وحدك تمضي
 لا أعرف إن كان الينتظرك ينتظرك.

هل أحببتك يوماً؟؟
 هل ما زلت أحببك؟؟
 ولماذا يبدو أنني لم أعرف إلا الآن!
 (4)

أنت الآن الأقرب؛ فارشديني
 هل تتألم؟
 هل يلزم أن نتألم؟ .. ولماذا؟

لا! لن أسأل "ولماذا"
 ف "لماذا" تُزلُّنا الآن...

من مرتبة أعلى للأدنى
 لكن قل لي، علمني
 هل أصبحت تحب الألم الآن؟؟
 هل وافقت؟؟

أما زلت تعارض/ترفض؟؟
 أخلم أنني يوماً لن أرفض
 أخلم أنني سوف أعلم نفسي أن أستسلم
 لكن: كيف سيصبح ألمي ألماً
 إن لم أرفض؟؟
 أنت الأعرف؛

قل لي همساً: هل تتألم؟
 قل لي ولو في السر:

هل أنت هناك؟ هل تعرف بعد؟
 يا محبتك: أنت الأقرب.

أبصق في وجهي وأكرمني
 أو حاول قتلي بدلاً منك
 لكنك أنت الأقرب.

سئموت قريباً جداً
 وستغرف.

الموقف:

أي موقف ينتظره مني القارئ/ الزائر، بعد كل هذا؟
 تجاه أي مقتطف من كل هذا؟
 كتاب أسامة؟

أم المقتطف من رأي أسامة في الشعر والنثر؟

أم المقتطف من سارتر؟

أم قصيدة محمد؟

سبق أن اقترحنا عنواناً جديداً هنا في اليومية السميناه

"مقتطفات بلا موقف"

هل يجوز هذا العنوان لهذه اليومية تصحيحاً للعنوان

الأصلي؟

81- المخ البشرى بين التفكيك، والغسل، وإعادة التشكيل

المخ البشرى بين التفكيك، والغسيل، وإعادة التشكيل (الإبداع)
 وجدت هذا الموضوع في حاسوبي مسبق بوقت ومكان كتابته
 هكذا: **العلمين (يعنى مارينا ولا مؤاخذة) في 18 أغسطس 2007**، مقال مطلوب لصحيفة الحياة اللندنية، ولم أعلم حتى
 الآن إن كان قد نشر أم لا ، حيث أنى لست من قراء الحياة
 اللندنية، غالباً مثلى مثل أغلب زوار هذا الموقع، فوجدت
 أننا - القراء وشخصى- أول به، فأنزله في يومية اليوم
 ليكون في متناول زائر الموقع هكذا دون تعديل جوهرى، مع
 إضافة ما بين قوسين بالبنت الأسود أعلاه (يبدو أنى كنت أخجل
 أنى كتبته هناك، لماذا؟).

هل تسمحون بتكرار مثل ذلك؟

المقال:

الحديث عما يسمى (أو كان يسمى) "غسيل المخ" أصبح في
 حاجة إلى تحديث جذرى، فالمخ ليس وعاءاً يمكن أن يتسخ فيغسل
 مما فيه، ولا هو مخزن للذكريات والمعلومات والمعارف، يحتاج
 إلى أمين مخزن يحافظ على ما به من السرقة أو التلف أو
 الاستبدال بدائل مزيفة، المخ البشرى - جنباً إلى جنب مع
 الجسد والخس وما بعدهما - هو كيان حيوى نابض دائم التفكك
 والتشكل بشكل منتظم، المفروض أنه هادف وإيجابي.

من جانب آخر لا يخفى على أحد كيف قفزت تكنولوجيا
 الأدوات والمعلومات والتعلم والتعليم والإعلام مؤخراً قفزات
 عملاقة واعدة وخطرة في آن، بما ينبه إلى خطورة تأثيرها
 بطريق مباشر أو غير مباشر، في كل من تركيب ومحتوى المخ
 البشرى (والكيان البشرى)، فإذا أضفنا إلى هذا أن إدارة
 أدوات هذه القفزة العملاقة المتعددة التجليات، تتحكم
 فيها قوى ليست فوق مستوى الشبهات، وأيضاً إذا أضفنا أن
 الذى يتحكم في هذه الأدوات هي سلطات مشبوهة، غير ظاهرة
 للعيان غالباً، لأدركننا مدى أهمية فهم ما يجرى ومحاولة
 الخيلولة دون خطره.

عمى حكام العالم (الحقيقيين)

إن الذي يحكم - ويتحكم - في الناس، كل الناس!!، في عصرنا هذا ، في وقتنا هذا، ليست هي الحكومات الرسمية المعلنة، وبالتالي فهي ليست الشعوب حتى لو أوهوها أنها انتخبت حكوماتها، لم يعد **غسيل المخ** قاصراً على تغيير معتقد فرد متهم أو جماعة متحمسة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار أو العكس، بل أصبح لعبة الحكام الحقيقيين للعالم ، وسبيلهم الأضمن للتأثير على توجهات وأيديولوجيا بل وعواطف، وربما أديان مليارات البشر لصالح أغراضهم المعلنة والخفية (الاستهلاك - الثروة - السلطة، وبالعكس)، كل ذلك يجرى ويتزايد بسرعة فائقة مع أن قوانين التطور تذرهم قبل غيرهم بخطورة هذا التدخل في تشويه الكائن البشري، مما يعرض النوع البشري للانقراض، علماً بأنهم سوف يكونون أول أجيال المنقرضين.

طبيعة المخ البشري بين التشكيل والإبداع

المخ البشري كيان حيوي مرن، في حالة نبض مستمر بحسب دورية الإيقاع الحيوي بين النوم والحلم واليقظة. لعل أهم طور من أطوار هذا الإيقاع الحيوي هو طور الحلم (بغض النظر عما إذا حكى الحلم أم لا) وهو دور "التفكيك" (وهو اللفظ الذي يستعمل حديثاً لتسمية غسيل المخ) ، ومن ثم إعادة التنظيم بشكل تلقائي، مما يبين كيف أن الحلم هو التفكيك الطبيعي، وإعادة التشكيل هو الضمان الطبيعي لاستمرار النبض الدماغي في اتجاهه الصحيح..

غسيل المخ يستغل هذه القابلية للمخ - أي الحاجة الختمية إلى التفكيك - ثم ينحرف بها قصداً إلى أغراضه، بل إنه يلجأ إلى إحداث مصطنع مقصود لتفكيك متمادٍ محسوب، بشكل مرتب مبرمج ، وبدلاً من أن يساعد التفكيك على إعادة التشكيل أو يمهّد له - كما يحدث في الحلم والإبداع - فإن التفكيك المُقَحَّم يُسَخِّرُ خدمة أغراضه الخبيثة عادة .

الإبداع - وهو طبيعة حيوية بشرية أيضاً - هو مثل الحلم: عملية تفكيك فإعادة تشكيل، ولكن في وعى فائق مشتمل (مقابل وعى الحلم أثناء النوم)، ونتيجته - ليكون إبداعاً - هو إنجاز تشكيلات أشمل وأرقى، سواء كان ذلك في شكل نتاج إبداعي أم اضطراد نحو الفرد.

غسيل المخ هو نوع من سوء استعمال خطوات الإبداع الأولى لتجهض إيجابياتها ويتم تحويلها سلباً إلى ما هو خطير وبشع .

غسيل المخ يفتعل التفكيك، ثم يتقدم إلى إعادة التشكيل - اقتحاماً من الفاعل وليس إبداعاً من المفعول به- لصالح أغراض الفاعل المغرض تماماً .

المصيبة المعاصرة هي أن دس السم في الدسم أصبح مهمة الحكام الحقيقيين في العالم (أغلبهم تحت الأرض: المافيا والشركات العابرة لكل شيء) ،

مثلاً: كثير مما يجرى تحت اسم حقوق الإنسان، والعولة،

جزء من مسلسل آخر هو أقرب إلى القاعدة، وقس على ذلك الأغاني بل والأخبار والبرامج الحوارية.. بل قس على ذلك زخم البيانات والشعارات والإجراءات والأرقام والمؤتمرات، التي تصل إلى ملايين تتبعه أصلاً، ناهيك عن تصديقه.

ثالثاً: الإلهاء

في الإلهاء تقوم عمليات غسيل المخ بإزاحة ما لا تريده بشد الانتباه إلى غيره، ليس بالضرورة إلى عكسه مما تريده هي، بل إن مجرد الإلهاء بعيداً عن المواضيع الأولى بالاهتمام، هو خطوة تمهيدية نحو التفكيك فالحشو الأخبث، وتستعمل في الإلهاء كل الأساليب المباشرة وغير المباشرة: الإعلامية والتعليمية والتثقيفية وحتى الإبداعية.

رابعاً: التهميش

يتم التهميش، بعد التفكيك والإشلال عادة، بإزاحة تدريجية للأهم، والأولى بالنظر إلى الهامش أو الظل.

خامساً: الإحلال

بعد التهميش والإزاحة يحتاج الأمر إلى ملء الفراغ بما يحل محل الأهم والأخطر يتصاعد يسمح لنا أن نخصص لها الحديث عن ماهو "إحلال" ومن ذلك:

* إحلال الجزء محل الكل مثل التركيز على قضية أشرف فرد محل احتلال بلد، أو إحلال الاهتمام بمقتل طفل والإشفاق عليه محل مقتل المئات والألوف في منازلهم، ومنه أيضاً :

* الإغلاء من شأن الوثائق المكتوبة (عن حقوق الإنسان مثلاً) بالتقنين العقابي ثم التقديس الإعلامي، (لتحل محل) الواقع الحقيقي الذي مهمته الأساسية تنمية القوانين الطبيعية لاستمرار مسيرة الإنسان الإبداعية القادرة على المحافظة على نوعه.

* إحلال الكلمات محل الممارسة الفعلية، حتى يُكتفى بالنقاش حول ألفاظ خاوية أو خادعة، عن تنمية ممارسات أصيلة تحافظ على تكامل أفراد النوع معا ويسمى ذلك حواراً في أغلب الأحيان، أي والله!! إلخ،

* إحلال اتهام شائع معلى محل البحث الجاد عن فاعل أصلى حقيقي،

* المبالغة في التركيز على متهم ثانوى لتعتيم البحث عن الحقيقة الهادية للمسئول الفعلى عن الجريمة أو الحرب، يعنى: إحلال الأضعف حتى لو كان مسئولاً جزئياً، محل الأقوى خاصة لو كان لعب لعبة تسمح بذلك، وهكذا.

الوعى البشرى الجماعى الجديد

على الرغم من كل ذلك ، فإنه يبدو على ساحة العالم أجمع أن ثمة إرهابات لبزوغ فجر جديد، برغم من أن الخيط الأبيض من الخيط الأسود لم يتبين بشكل واضح، ويمكن أن نسمى هذا القدام الواعد باسم : "الوعى البشرى الجماعى الجديد"، في مقابل " النظام العالمى السلطوى الجديد"،

موجز القول

- إن لا مركزية الإعلام المتمادية،
 - واتساع مجالات المعرفة وقنوات التعرف التي أصبحت متاحة لكل الناس (تقريباً)
 - وامتداد شبكات التواصل الفردى والجماعى الأصغر فالأكبر،
- كل ذلك يرسل إشارات متواضعة، لكنها متمادية في النماء والوعد، تقول :
- إن بالإمكان أن يوقف مدّ التدهور، وأن تنحول الموجة لصالح تطور البشر لتحول دون الانقراض الذى ظهرت علامات ساعته جلية في الأفق.
- إن هذا التواصل الواعد الجديد قادر على أن يعيد للشخص العادى بعض معالم فطرته التى شوهتها وتشوهها عمليات غسيل المخ الجماعى المهددة للنوع البشرى برمته ، فنستعيد بذلك :

- حلاوة المعرفة،
 - وفرحة التساؤل،
 - ومسئولية الحزن الموقظ
 - ودهشة الحكمة الفطرية،
 - وفخر التاريخ الحيوى،
 - وتواصل البشر الحقيقى،
 - وإمكانيات الشخص العادى في المشاركة في النقد والإبداع،
- فيعود الإنسان قادراً على أن يسير أموره من حسن إلى أحسن برغم بطاء الخطى ووعورة الطريق.

.....

تعقيب أخيراً كتبته اليوم 19 نوفمبر 2007:

حين قرأت آخر المقال هكذا:

امتلت غيظاً مئى و أملاً : فيكم، وفي ربنا.

أى والله، !!!!

حين كتبت لمحة عن كتاب أقاصيص/قصيدة أسامة الدناصورى: ("كلى الهرم - كلى الحبيب" يومية 19-11)، استشهدت بكلمة أدونيس في رثاء صلاح عبد الصبور "الموت، ذلك الشعر الآخر"، كما وجدتني أراجع موقفى من علاقة الموت بالحياة بالخلود الذى ذكرته فى نقدي ملحمة الخرافيش لنجيب محفوظ والذى أوجزته فى "أن الحياة هى إرادة التخلق من يقين الموت والوعى به" لأضيف فى تلك اليومية إضافة بدت لي غامضة حتى الآن حين قلت: إن الذى يخلق الحياة ليس فقط يقين الموت والوعى به وإنما هو الموت ذاته،

كيف تتخلق الحياة من الموت؟

وفى يومية أسبق ("المصادقية بالاتفاق" يومية 12-11) أشرت إلى أنه كيف وصلنى مؤخرًا - دون قصد - أن الموت هو نقلة من الوعى الشخصى إلى الوعى الكونى توجهها إلى وجه الحق سبحانه وتعالى،

كل ذلك ألزمنى أن أعود لافتح هذا الملف تحملاً لمسئولية هذه المخاطرة، وأملًا فى الماضى خطوة أخرى لعل وعسى.

يبدو أن حل الإشكال يبدأ من ضرورة التفرقة بين الموت والفقء، وأيضًا بين الموت السكون الذى يبدو كأنه العدم مجرد الاختفاء، وبين الموت ذلك الشعر الآخر، وهو القادر على إعادة تشكيل الوجود بالجدل بين مستويات الوعى المتصاعدة إلى وجهه تعالى، متجاوزة الوقوف عند حسرات الفقء، ووحشة الاختفاء.

هذا الموت الأخير هو ما يحتاج إلى ...

.....

.... فجأة حضر محمد إبنى صاحب القصيدة التى نشرت فى نفس اليومية، - وفى أخبار الأدب من قبل - حضر يقاطعنى من خلال ما أرسله لي من تصحيح لما ذكرته فى تلك اليومية 19-11 التى نشرت فيها قصيدته، يقاطعنى قائلاً:

..... أما بعد، فأسامة ليس الصديق الذى كتب فيه ما كتب منى.

كنت أعرف أسامة وأقابله عند أصدقاء مشتركين ومعهم، ولم ترق معرفتنا لمستوى يسمح لى بادعاء صداقته .

أما ما كُتبت فقد كان موجهاً ل محمد حاكم، زميل ممتد منذ 1985 وما بعدها، وكان قد جاءنا خبر إصابته بسرطان فى البنكرياس، منتشراً انتشاراً يحسم التوقعات تماماً. جاءنى الخبر جرعة واحدة، ولم يكن قد بلغه بعد، ولم يكن كثيرون يعرفون ماذا يفعلون، ماذا يقولون له وماذا يخفون، والأغلب أنه كان يعرف أكثر منهم ويقبل أكثر منهم. وفى هذا السياق، ولطبيعة المصريين الذين يتصورون عن فعل الخير غير ما ينبغى أو يفيد أو يواجه؛ انهزم الذين عرفوا مقدار حسم النتيجة الطبية أمام من سعاوا لمط الحياة حتى ولو بأبهظ التكاليف والآلام وبأقل المبررات.

كنت قد عرفت، وتوقعت كل هذا، ولم أجرؤ على إعلان حسم توقعاتى، فكُتبت ما كتب (قبل أن يموت بشهرين) ولم أجرؤ على إعلانه إلا لاثنتين فقط ممن يعرفونه. ثم مات، ونشرت الكلمات التى لم تكتب لتنشر، شكراً مرة أخرى، ليس على هذا وحسب.

محمد يحيى الرخاوى

فضلت يا محمد أن أثبت ملاحظتك الكريمة هنا وليس فى حوار بريد الجمعة لأنها تصحيح ليومية مهمة، الخطأ الذى وقعت فيه لم يكن خطئى وحدى، ربما حدث لأن نشر قصيدتك واكب أو أعقب رحيل أسامة، ولا أنت ولا هالة أخبرتانى بصاحب الرثاء تحديداً،

أما أنك كتبتته وصديقك محمد حاكم مازال حيا، فإن فى ذلك ما يبرر العنوان "يموت" ذلك العنوان الذى جعلنى أتصور أن أسامة لم يموت بعد فى وعيك،

تقول لم تكتبها للنشر، وأنت تعلم أننى لا أنشر كثيراً من شعرى، لكن فتح ملف "الموت والشعر"، ومعلومة أنك كتبت ما كتبت (أو كتب منك) وصديقك مازال حيا، جعلنى أتذكر خيرة ممائلة حين صحبت عمك المرحوم أ.د. السعيد الرازقى إلى مستشفى ماش جنرال فى بوسطن، وعرفنا هو وأنا طبيعة مرضه، وأنها النهاية تماماً مثلما عرفت أنت فرص صديقك محمد حاكم، فوجدتني أكتب عن موته وهو بعد حيا (أيضا)، وأخبرته بذلك بحبٍ ووق، وإذا به يضحك مرحباً، ويطلب منى أن أسعه رثاءه، فتكون سابقة خاصة، ثم أكمل ضحكته قائلاً: وربما صحت لك لغتك (كان هو الوحيد الذى ينطق اسمى يخفى بفتح الياء الأولى) (رحمه الله)

وكانت القصيدة بعنوان أنياب الظلام (1) .. وما هى
لماذا يا صديقى؟
(دائرة ملتئثة) .
عجلت بالنهاية؟

(تقضم في الجهول والمعلوم أنياب الظلام جائعة).
هل ضقت ذرعا؟
أسامتك أصوات اللجاج والجشع؟

.....
ثارت أجنّة الخلايا، تضرع
تعملقت فطرتك الأبيّة
لم ترع عهداً، لا، ولما تنتظر.
فيم العجالة والسأم؟
تقفز خلف الخد بعد العد، تقتحم.
ترجع نحو عشاها اليمامة.
لم تقو بعد يا صديقي.
قبل الوفاة
1985/7/30

ثم عدنا يا محمد إلى القاهرة،

وجاورت سريره ليل نهار، ولم نحاول أن نعبث بأيامه الأخيرة
كما أشرت أنت بالنسبة لصديقك، وظل شهيقه وزفيره يعزف لحن
الوداع في غيبوبته حتى فاضت روحه، فحضرت قصيدة أنياب
الظلام (2) على إيقاع ذلك، وزوجته الكريمة أمام ناظرى وفي
خليبي (رحمها الله)

ها هي القصيدة

"أنياب الظلام (2)

-1-

وصاحي ..،

يقولها بعد انتهاء الموعد،
بلهاء ترعى في سراب الخلد تُفرزُ العدم.

-2-

وصاحي ..،

يلهث خلف الموت، قبل الموت،
جاء الموت يسحب الحياة قطرة فقطره،
فتطفح البثور فوق صفحة الكلام.
أقلب الديوان بحثاً عن قصيدة مهترته،
وصاحي: يروض الهواء
ينتظم.

-3-

مزحى انطلاقاً التّخرر،

مزحى استدارة الزمن.

(العار ياسيدتى الكريمة،

العار ألا تختفي.

"أجسادنا تكبل الإلهام"،

"تبرر العفن")

-4-

تجمد الصقيع ذرات المناوبة.

يا حشرتنا

لم يبق إلا ما تبقى من فئات المائدة.

يا صاحبي
لا تطفئ الشموع قبل الرجفة المسافرة .
الآن؟ ليس الآن،
حتى الآن، قبل الآن،
يا نبضها حقيقة الرآن المكثف فوق قلب الخائبين
الغزل.

-5-

يشهق في رتابة
سر توارى في لحاء الشوكة المزهرة .
يجنو عليها - تنطلق.

يزفرها ،

تسلم العلم .

يطل من ورائها المجهول .

.. لا سهل إلا ما سهل

"شيخ إذا ما لبس الدرع حزن" ،

"سهل لمن ساهل، حزن للخزن"

هل يا ترى تسلم القيادة؟

هل يا ترى قد أصبحا في واحد،

إن قال: كُن، يَكُن؟

-6-

جُزئية حائرة،

تقول؟ لا تقول؟ تعتمل.

(لم أبدأ يوماً، لا ولما أستتر)

سارعت أنفخ المقولة القديمة،

دارت تئن

تردد الصدى،

يرقص رقصة المصلوب فوق شاهد العدم .

-7-

هذا،

ولما كان يومها بلا غد،

وريجها بلا اتجاه،

مزقت ثوب الشعر،

ذابت القصيدة الوليدة،

في وعدها القليل.

-8-

في كل وجهة نبي،

في كل نبضة أم.

-9-

يعاود الشهيق، يُشهد الزهور والحقب:

"ما مضى سوى الزفير ينتحب

ما هد ظهري غير طوطم البكم،

ما راعى سوى الكذب" .

-10-

وصاحي

غافلنا بلا وداغ

أرعى سدولها

بعد الوفاة: 13 / 2 / 1986

هل لاحظت يا محمد

"هل يا تَرَى قَدِ أَصْبَحَا فِي وَاحِدٍ، إِنْ قَالَ كُنْ يُكُنْ؟"

أكتشف الآن أن شعري سبق رؤيتي التي أشرت إليها في البداية، وفي يومية المصادفة بالاتفاق Link سبقها بعشرين عاماً.

ثم أنى انتبهت بعد رحيله، وبعد تأكيدنا لبعضنا البعض على تبادل المواعظ والحكم، وبعد إعلان التعلم - حتماً - من حقيقة يقين الموت، والتعهد ألا ننسى، وأن نراجع أنفسنا - مادام الأمر كذلك - حتى نكيف حياتنا بما يليق بالوعي بهذه الحقيقة، لاحظت يا محمد أننا - أنى - ننسى كل ذلك بسهولة لا مثيل لها، مهما قلنا، ونعود إلى ما كنا عليه بالضبط، وأكثر عمى، والحمد لله، فكتبت هذه القصيدة الأخيرة بعد أن ضبطت نفسي متلبساً في أحضان الحياة اللعوب، ناسياً صاحي بشكل أو بآخر.

"عظة الموت تتسرب".....

وأزعم أن القناع القديم تساقط حتى استبان المدار، يبشّر بالمستحيل:

إِذَنْ؟

وتسرى المهاربُ تَنَحَّتْ دَرِباً خَفِيّاً مَجُوفَ الأملِ،
فأخشى اقتضاح الكمائنِ نَسْفَ الجسورِ، وإغراقَ مَرْكَبِ
عَوْدَتِنَا ضَاغِرِينَ، فَأَمْسَكْهَا، تَتَسَخَّبُ بَيْنَ الشَّقِيقِ، وَحَوْلِ
الأصابعِ، تَمْخُو البُضَارِيصُ بَيْنَ ثَنَائِيَا الكلامِ، تُخَدِّرُ موضعَ
لَدَغِ الحَقَائِقِ، تَسْحَقُ وَغَيَّ الزَّهْوَرِ، وَلَحْنَ السَّنَابِلِ.

مَنْ؟

لماذا الدوائرُ رُنَّ الطَّنِينِ، خفيفُ المذئبِ، يجرى ، بنفسِ
المسارِ لنفسِ المصيرِ،
بِأَمْسْتَقَرِّ؟

لماذا نبيعُ الهُنا الآنَ بحساً بما قد يلوح، وليس يلوح،
فنجترُ دوماً فُتَاتَ الزَّمَنِ؟

لماذا الوُلُوجُ؟ الخُرُوجُ؟ الدوارُ؟ لماذا اللَّمَّادَا؟
فَمَاذَا؟

وأججلُ أَنْ تستبينَ الأمورَ فَأُضْبِطُ فِي حُضْنِهَا الغانيةِ.
فأزعم أنى انتبهت، استعدتُ، استبقتُ، استبتتُ، ..

(إلى آخره!!)

ويرقُصُ رقاصُها في عنادٍ، فتنبشُ لُحْدَ الفقيدِ العزيزِ، تُسَرِّبُ
منه خيوطَ الكفنِ.
أحبُّنها في قوافي المراثي لأُغْمِدَ سَيْفَ دنوِ الأجلِ.

.....

فياليته ظلُّ طيِّ الحالِ،
وبالييتها أخطأها النبالُ،
وبالييتي أستطيب العمى

1986/5/10

أشكرك يا محمد أن أحتل هذه الفرصة،
وإلى لقاء هنا أو هناك.
إليه أبدا!

بمراحل طويلة طويلة بين الأحياء عموماً، ثم مع الإنسان، قبل أن أصل إلى قراءة ما يسمى الآن "نحو الأسرة". نحن نعرف كيف أن "النحو" Grammar هو الذي يحدد "إعراب" وتشكيل موقع اللفظ في الجملة، بما في ذلك المسموح والمنوع (من الصرف وغير الصرف). بنفس القياس اصطلح الباحثون مؤخراً على اعتبار تنظيم موقع الفرد في أسرته بمثابة "نحو" يضع التشكيل على الأفراد، ويقرر الجائز و"المنوع"!

لا بد وأن أذكر هنا أن لي إجتهدات متعددة في إعادة النظر في تفسير ما، يسمى عقدة أوديب والتنظير البديل بغير ما جاء به فرويد، وأهمية هذا الحلم هنا - من ناحيتي- شخصياً: علما ونقداً- أنه يدعم بعض ما ذهبنا إليه في مسألة العلاقات المحارمية مما لا مجال للاستطراد إليه هنا/الآن.

محفوظ تناول المسألة برقة مناسبة، فمن ناحية جعل النداء يأتي من الراوى، لكنه عاد يثبت أن الاختيار كان متبادلاً، وهذا بعض ما تناوله تنظيري الخاص لتجاوز "نحو الأسرة"، وإن كان النداء الأغلب - في خبرتي - يبدأ من الأم (لا شعورياً أكثر)، وفي نفس الوقت يكون الاختيار متبادلاً في النهاية، لاحظ التعبير شديد الكثافة والدلالة هنا: "وتبادلنا نظرة اختيار".

محفوظ في الحلم (الإبداع) بدا قادراً على أن يدور حول حكاية المحارم هذه حين أحلَّ حليلاً محلَّ مُخرَمة، هكذا حلت جريتا جاربو محل الأخت، ثم أنه جعل الراوى يتجنب ذكر تفاصيل ما تمَّ بينهما حتى بعد هذا الإحلال، لكنه يعلن مصاحبات اللقاء ونتيجته: **الفرحة مسحوراً بالنشوة**، إلا أن هذا اللقاء الساحر لم يدم طويلاً. ولم يذكر الحلم صراحة متى اختفت جريتا جاربو لتظهر الأخت من جديد.

التي دعاها الراوى في الجزء الثاني من الحلم كانت أخته وليست ممثله المفضلة، دعاها بما هي، وليس كبديلتها، ليستعيد المعجزة السحرية، فترفض، دون أن يعلن أنها شاركتها الجولة الأولى الساحرة، ثم ها هو الراوى يدعنا نستنتج ما نرى، وهو يعلن سبب الرفض: إنها الأم (وليس الأب) التي تعرف كل شيء.

توظيف الأم (وهي الأقل سلطة في ثقافتنا) للرفض سمح لي أن أتحدى في تدعيم فروضى الخاصة البديلة عن عقدة أوديب، والتي تشير إلى أن **النداء المحارمي يأتي من "لا شعور" الأم، وليس أساساً: من تنافس الإبن مع الأب عليها.**

هل سبب رفض الأم وخوف البنات هنا هو تطبيق "نحو الأسرة" الذي يحدد المنوع من المتاح؟ أم أنه غيرة ضمنية من الأم نحو الأخت؟ أم الاثنان معاً؟

الحزن الذي انتهى به الحلم له أكثر من قراءة، فهو لا يشير أساساً إلى الشعور بالذنب (وإن كان لا يستبعده) وإنما يبدو أنه نتج ابتداءً عن إحباط الرغبة المحارمية، حتى ولو تمت تحت ستار إبدال سحري.

ومع الحزن تنزل ستارة الوعي الظاهر (شابورة مفاجئة)
ليقوم الكبت بدوره الضروري.

الحلم (10)

جمعنا الصداقة والنشأة وتواعدنا في تلك الحارة وذبول
الليل تهبط. لا هدف لنا إلا الانشراح باللقاء والاستسلام
للمزاح والضحك على طريقة القافية.

وتبادلنا النكات وأخذنا نتحول إلى أشباح في الظلام،
وتعارفنا بأصواتنا ولم نكف عن المزاح والقافية وانطلقت
قهقهاتنا ترج الجدران وتوقظ النيام. الحارة متعرجة، ونحن
نتقارب حتى لا ندوب في الظلمة، وكلما تمادينا في الحيرة غاليينا في
الضحك، وبدأنا نتساءل حتى نجد خلاصنا في ميدان أو شارع كبير.

وذكرنا أهدنا بأن الملكة الفرعونية التي أرادت الانتقام
من الكهنة الذين قتلوا زوجها دعتهم إلى مكان يشبه هذا
الذي يغيطون فيه، وسلطت عليهم المياه، وما كاد يفرغ من
حكايته حتى هطلت السماء علينا بقوة غير معهودة، وأسكتنا
الرعد ومضت المياه ترتفع حتى غطت أقدامنا وزحفت على
سيقاننا وشعرنا بأننا نغرق تحت المطر، في ظلام الليل.

ونسبنا نكاتنا وضحكاتنا ولم يعد لنا من أمل في الخلاص
إلا أن نظير في الفضاء.

القراءة

هذا حلم تشكيلي جميل

جذبتني الصورة والحركة حتى كدت أنسى المحتوى المروي حكياً
لفظياً.

حضرت في وعيي النقدي صور من ليالي ألف ليلة محفوظ ، ومن
حكايات خرافية هانز كريستيان أندرسون للأطفال، ومن
حواديت طفولتي ، هذا حلم مُبذعٌ طليق، بعكس الحلم "8" الذي
وصلني منذ البداية "علماً لا حلاً".!

في الحلم (الابداع) ينكسر حاجز الزمن ، وقد شاهدنا كيف
تلاشى الزمن في حلم (6) حين تلاشى الحاجز بين الموت والحياة ،
واختصرت ستين عاماً، بين الدفن والعودة، إلى لحظة واحدة ،

هنا: الحلم يكسر حواجز أخرى كثيرة: بين الظاهر والخفي،
بين الحاضر والتاريخ ، ثم تتداخل فيما بينها: السماء
والمياه والفضاء .

تتحول العواطف البشرية في انسيابات مفاجئة وغير مفاجئة
، ففي البداية نتنقل بين المزاح والضحك والسخرية، ثم يتراجع
كل ذلك جزئياً - ليفسح مكاناً للحيرة ومعنى الخلاص (برغم
استمرار غلبة الضحك)، لينتهي التهيؤ الواجدي إلى الصمت
والخوف من الغرق والأمل في خلاص أقوى وأبعد من مجرد اللجوء
إلى شارع متسع أو ميدان ، خلاص بالطيران في الفضاء .

الزمن يتحول في الحارة المتعرجة وذبول الليل تهبط، إلى زمن الفراغة، فيحضر جيروت الملكة وهي تعاقب الكهنة، ليصبح التاريخ حاضرا ماثلا يهدد الثلة الحاملة الشاطحة الساخرة الفِرْحَة، يهددها بالإغراق .

إلى هنا ونتوقف عن متابعة تشكيل الزمن، والنقلات، والحركة وكسر الحواجز **لننتقل إلى المحتوى.**

لم أجد في نفسى ضرورة لذلك محتمياً بتركيز "جاك لاكان" على الدال أكثر من المدلول، وأيضا اعتماداً على أن الصورة والحركة هما الأساس في طبيعة الحلم "بما هو" قبل أن يكون رمزاً أو حكياً وكل ذلك يسمح بتجاوز المحتوى إنه يمكنك أن تستنتج من الحركة والنقلات والتقلبات، خصوصاً إذا وصل الإبداع إلى أن يقلب شخوصه أشباحاً تتعارف بالأصوات، وتحتمى ببعضها حتى لاتذوب في الظلمة، كل ذلك يسمح بتقديم الشكل على المحتوى، حتى نتأكد أهمية وأسبقية الدال عن المدلول.

وبالرغم من كل ذلك فثمة إشارات موجزة من إجماعات المحتوى فضلت أن أصيغها في التساؤلات التالية:

*هل الخلاص من لعبة التلاشى في الظلام يكون إلى ميدان أو شارع كبير، أم العكس؟

عندى أن فراغ واتساع الميادين هو الذى يدفع للاحتماء - حتى لعبا- بذبول الظلام، في حارة ضيقة!!؟

ثم:

هل الطيران في الفضاء هو الذى يمكن أن يحمينا من الغرق فيما نحن فيه، بما في ذلك قهر وإرهاب السلطات؟ أم أن ثم طريقاً آخر علينا أن نسلكه في مواجهة القهر والظوفان معاً؟

الحلم - الإبداع - يكشف ولا يوصى،

وعلينا نحن أن نتلقى ونتحمل مسئولية ما يصلنا.

وأخيراً:

وصلنى أنه لم يجمع بين أفراد هذه الثلة الظرفية إلا المرج والسخرية وحكى التاريخ، ولكن حين واجهوا القهر والخطر، لم أراهم - برغم ضمير الجمع - عصبة معاً.

هذا حلم فيه من سحر الظلام، وعبث الصجبة، وألعاب الهرب، ما يؤكد أولوية الحركة والصورة في إبداع الأحلام، قبل محتواها ورموزها.

كما أن فيه من الطلاقة والمراوغة وأحلام الهرب، ما يمكن أن يوقظ فينا الموقف المناسب لنكمل أو نراجع أو نترجع.

مقدمة :

ضيوف جدد شرفونا هذا الأسبوع، أهلا بهم.

الإبن والصديق أ.د. جمال التركي من تونس الشقيق زارني، وهو صاحب الفضل ودينامو ورئيس (وكل شيء) في موقع الشبكة العربية للعلوم النفسية "www.arabpsynet.com" زارني أول أمس، كان يحضر مؤتمرا ما في القاهرة، فرحت به فرحا شديدا، أنا أحبه، سألته هل فرّخت مساعدين يتولون الشبكة معك (ثم بعدك)، قال: لا، قلت هل أنت مازلت وحدك، تقوم بكل العمل وحتى الآن، قال: نعم، قلت لنفسى هذا شاب عربي شديد الذكاء والنشاط والأمانة يحطّئ نفس الخطأ الذى يتمدأ فيه كهل مثلى لا يريد أن يهمد، العمل القائم على فرد واحد لا يطمئن، ولا أحد يضمن استمراره، أين العمل الجماعى؟

لم أقل له كل ذلك صراحة،

كان ضيفي، لكن الرسالة وصلت.

كنت قد أرسلت له أنبيئه عن حكاية ورطى اليومية هذه "الإنسان والتطور: النشرة اليومية"، فتفضل مشكورا بوضعها بجوار اسمى - الذى كان موضوعا قبلا- في موقعنا على موقع الشبكة العربية للعلوم النفسية www.arabpsynet.com - وبناء عليه، تعرف ضيفا هذا الحوار الأول والثاني على النشرة وهما من سنبدأ بهما حالا.

أخبرني الإبن د. جمال أيضا - أو استأذني لا أذكر- أنه سينزل هذه النشرة اليومية في الموقع مباشرة، فلا يحتاج زائر الموقع أن ينتقل إلى موقعى ليطلع عليها!

ياه يا جمال!! شكرا، أهكذا تتيح لى أن أتواصل مع زملاء كدت أيأس من أى سبيل للتواصل معهم.

أنا أحب هذا الشاب، وأحب زوجته، وأحب ابنه، وأحب ابنتيه، رأيتهم مرة واحدة حين دعاني وحدي لزيارة صفاقس في تونس لأحدث عن منظور آخر (منظوري التطوري) في الطب النفسى، عشت هناك خبرة غير مسبوقه، ربما كانت في خلفية وعيى

وأنا أقرر أن أتورط هذه الورطة اليومية، أعود لحي لأسرته، وجدت نفسي أنهى خطابي البريدى الإلكتروني إليه منذ أيام قائلاً " أخشى أن تتزوج إحدى بناتي/ حفيداتي الجميلات دون أن أحضر فرحها! أى والله!" مع أنني لا أحضر أفراحاً أصلاً هنا فى بلدى، (مثلها مثل المؤتمرات إياها، كلها قبلات - بين الرجال أساساً - زينة أفراح بلا فرحة، هكذا، أصبحت بالنسبة لى مثل المؤتمرات العلمية المليئة أيضاً بالقبلات والأحضان - أيضاً بين الرجال أساساً - بلا علم، أعني بلا فرصة للدهشة العلمية فالحوار الحقيقى.

ما علينا، شكراً يا جمال، (لاحظ أنني لم أشر إلى رقم الذين حضروا محاضرتك فى مؤتمر القاهرة لأننى لم أستسمحك فى ذلك)، شكراً يا جمال مجيد، ورافقتك السلامة، تعجبت أن بناتك وإبنك كبروا هكذا حتى وصل بعضهم إلى الجامعة، ياه، بارك الله فيهم وفيك.

والآن إلى ضيفينا الجدد الذين شرفونا بفضلك،
موقعنا موقع الشبكة العربية للعلوم النفسية
www.arabpsynet.com

د . يحيى

أهلاً. دكتور رمضان، أرجو أن تكون قد اطلعت فى أى يوم جمعة سابق على كيف نقلب البريد حواراً، بما فى ذلك احتمال ظلم الضيف حيث ليست أمامه فرصة للرد (وهذا أبسط شروط الحوار الحقيقى) إلا فى الأسبوع التالى إن أراد، اعترفت أنا منذ البداية، مرة ومرة، أن هذا ظلم يقع على الضيف، وأنا سنعتبره قد قبله حرصاً منه على نفع عام، إلى أن يرسل لنا محتجاً أو رافضاً هذه الطريقة، أهلاً د. رمضان، كيف عثرت علينا هكذا؟ فتفضلت بزيارتنا؟

د . رمضان زعطوط

كشفت موقعكم نفسه لجمال الإدراكى بواسطة موقع الشبكة العربية للعلوم النفسية www.arabpsynet.com اليوم بتاريخ 15-11-2007 وكلمت بلقاء... (....)

د . يحيى

أسف قطعت كلامك، فأنا عادة أحذف بعض الفقرات التى فيها مديح مجرى، فسمحت لنفسى أن أنتقل مباشرة إلى حديثك عن زميل كريم

د . رمضان

...بعض دموعى التى سفتحها وأنا أقرأ خبر الحياة اليومية لأستاذ الجيل فى علم النفس "فاخر عاقل" فى دار العجزة فى سوريا؟؟؟... حبات من عناقيد الدموع التى تتدلى من أشجار النفوس فى هذا الوطن من المحيط الى المحيط...

د . يحيى

يا خير!! أليس هو مؤلف "الموت اختياراً"؟ كم هو مؤلم ما تقول، أسف، ولكن.....

د. رمضان

لولا هذه الشبكة العنكبوتية (كيف يتفق الوصف مع :إن أوهن البيوت لبنت العنكبوت؟) لولاها لما قرأناك أو قرأنا بعضك على هذا الموقع الجامع

د. يحيى

الفضل كل الفضل للإبن الأستاذ الدكتور جمال ترك (كما ذكرت في المقدمة)، ولكن هلا عرّفنا أكثر بك

د. رمضان

أنا طبيب جزائري ودارس لعلم النفس (ليسانس، ماجستير وأحضر الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي للصحة) متزوج وأب لأربعة أبناء سوسنة وعصام ورضوان وضياء، متوسط الدخل كأستاذ مساعد في جامعة ورقلة بالجنوب الجزائري الساحر

د. يحيى

أهلا مرة أخرى

د. رمضان

التعليق على الصور يومية 14-11-2007 "عن ماهة الوجدان وتطوره" أحسب العواطف والوجدانات مثل المعاني لاتكون إلا مركبة مهما حاولنا تزييرها (من الذرة):

الصورة 2: خوف + توجس
الصورة 3: انكسار+ ذهول
الصورة 12: ألم+ أسي

د. يحيى

يا د. رمضان، الاستجابات التي وصلت لي عن الصور الثلاثة محدودة، جعلتني لا أعلق عليها، مع أنني كنت أنوي أن أتمادي في عرض أكثر من عشر تعبيرات عاطفية لنفس المثلة، وحين أرسلت أنت تعليقك من الجزائر فرحت أنني تركت تحت كل صورة فرصة لتسمية التعبير في الصورة باللهجة المحلية، وحين جاءتني رسالتك هكذا ، تساءلت : أليست اللغة العامية (اللهجة المحلية) أقدر على التعبير عن عواطفنا من الفصحى، وهل يا ترى وجدان المرأة الجزائرية الأمية في جنوبكم الساحر (وصلني سحره) هو مثل وجدان المرأة الصعيدية في نيج حمادي، وكيف نسمى نفس العاطفة عند كل منها، ولكن قل لي ماذا عن كلمة "الوجدان" بالنسبة لك؟ فقد ثار حولها جدل كثير ناقشت بعضه في يومية الحزن والوجدان بتاريخ 18-11-2007

د. رمضان

عن الوجدان أذكر أنني ناقشت مع بعض المرضى المزمنين القدرة على التعبير الانفعالي فراودتني فكرة **التشفير الانفعالي** عبر مراحل العمر المختلفة، ونسبة ذلك الى خيراتنا البدنية مغلفة أو مخنطة في سراويل الكلمات والأصوات أو الصور

د . يحيى

.... وهذا هو من أهم ما شغلنى بالضبط، ولعه وراء
مماولتى هذا التنظير فى مسألة العواطف، وأنا أشك فى أننى
سوف أنجح لأنه يبدو أن الأداة المتاحة ليست هى الأداة
المناسبة، لعلك قرأت يومية 2007-11-6 عن الفطرة والجسد
وتضمن الألفاظ، ولكن هل أماننا سبيل آخر؟

د . رمضان

الموسيقى، الألوان أو قل مدركات الحواس الخمسة أو الستة
أو أكثر؟

د . يحيى

والله يبدو أنهم أكثر من ستة، هل يمكن أن نعطى لتلك
العواطف الجياشة التى يمكن أن تحركها فىنا سيمفونية
بيتهوفن إسماً؟ (مع أنى لا أفهم فى الموسيقى الكلاسيكية
أصلاً).. ثم إن الجسم كما تعلم قد دخل لعبة التفكير
والإبداع من أوسع أبواب العلم المعرفى، والوجدان أيضاً
يقوم بدوره الجوهري فى التفكير والإبداع معاً، والحكاية
تتسع بروعة مذهلة جميلة .

د . رمضان

معلقة ذلك كله بفقر التعبير الانفعالي alexithymia فى
الصحة والمرضى بين النفس والجسد؟ كل ذلك مغطوساً فى محيط
الثقافة!

د . يحيى

يا خير يا د . رمضان، وضعت يدك على جذور ما أدى إلى
اغترابنا المعاصر، قليل من الزملاء هم الذين يستعملون
(أو يعرفون) ما هى "الألكسيثيما"، أنا أفضل تعريبها
لأن تعبير "فقر التعبير الانفعالي" هو لا يفيد ما تفيد
الكلمة الأصلية، وإلى أن تحصل على كلمة واحدة مفيدة،
دعنا نتوسع فى التعريب بمسئولية مباشرة (يمكن أن تراجع
عدد الكلمات الجديدة التى تدخل اللغة الإنجليزية) يومية
2007-11-6 عن الفطرة والجسد وتضمن الألفاظ، فهل تقبل
دعوتى لك لكتابة مقال فى الشبكة العربية، أو فى موقعنا
"باب المحررون الضيوف" عن هذا الموضوع، حين تختزل تعبيرنا
الانفعالي ونحن نصفه بألفاظ حاوية من أى نبض حقيقى، وهو
مايشعرنى أحياناً أنها تخرج من ثقب صفارة ذات تردد واحد
موضوعة خارج أعلى رأس المتكلم !!!

د . رمضان:

أحسبك كينونة تتشظى بعد أن وصلت لمرحلة الانشطار، أرجو
أن يكون لك سلف كوكبي يسمح بتوالد نجمي ولو على حساب
الكوكب الأم (ابنكم عن بعد رمضان)

د . يحيى:

برغم تحفظي ضد ذكر مثل هذا الفضل، إلا أنني فضلت أن
أثبته لأفرح بنجاح التعريب فى الجزائر بعد ما عانت من
الفرزسة الكاملة عقوداً وعقوداً، والآن أدعوك لتسمع

معى صوت عزيز قدم إلينا - بفضل الشبكة العربية أياًضاً،
(يا فرحتى أصبح لى ابن آخر فى الجزائر !!) هذا يا د.
رمضان هو صوت ابن لم أجرؤ أن أتذكره لمدة عشرين عاماً،
وهو قادم من العراق!!، أهلاً يا د.صفاء

د . صفاء جواد زوين

أستاذي ... شكرا على هذا الموقع

... (قلت لنفسى) منذ عشرين سنة كنت طالبا للماجستير فى قسم الأمراض النفسية فى القصر العيى، ثم هأنذا أعثر على موقع أستاذى الذى استفدت من محاضراته وخبرته السريرية وخاصة جلسات العلاج الجمعى...!!

د . يحيى

أهلاً وسهلاً، يا د. صفاء الحمد لله أنى سمعت صوتك الآن هكذا،
بأتينا من العراق الشقيق الدامى، لا تتصور يا صفاء
أنى نسيتك، أو نسيت عدنان، نعم ، كان ذلك من عشرين
سنة أو أكثر، لكنى كنت كلما خطرتم على بالى أفزع خشية
أن أكون قد فقدت أحدكم فى وسط مجور الدماء الجارية الآن
أو الرؤوس المتساقطة قبل الآن!!!، صحيح أنى لم أكن أطمع
أن أرى أياً منكم قبيل موتى ولا لحظة واحدة، لكن هذا كان
حالى (وما زال)، أخشى أن أسألك عن عدنان، وعن زميلكم
الثالث الذى لا أذكر اسمه، كان بعض ذلك يحظر ببالى وأنا
مع الزميل الأستاذ الدكتور عبد المناف (من العراق)
.... فى لجنة امتحان الشهادة العربية (البوردالعربى) فى
دمشق العام، تلو العام، لكنى لم أفعل، أولاً: من أين
له أن يعرف وأنتم فى الجيش وهو فى الجامعة، ثم إنى لم أكن
أريد أن أعرف أخباركم تحديدا خوفاً من ما أتوقع، ولكن
ما الفرق بين أن أفقدك يا صفاء وأن أفقد كل هذه المئات
من الأبرياء كل يوم، كل يوم، كل يوم، لا أحد يعرف
الثروة البشرية التى تمثلها عقول أبناء العراق بالذات.
فى الشهادة العربية، وبرغم كل الظروف، كانوا أوائل كل
التخصصات من إخواننا العراقيين، أنت تعرف أننا نعرف
أنهم أحسن وأكثر من يقرأ ما يكتبه المصريون، وينشره
لبنان، كل الناس تتكلم عن الخسارة فى البترول وفى
الفوسفات العراقى، ولا ينتبهون إلى حجم الخسارة فى البشر
العراقيين، آسف، أقلب عليك مواقع يا صفاء، وأنت لست
ناقصاً. مرة أخرى أرجع الفضل لإبنى جمال ترك، ياه، كيف
حالك يا صفاء لقد امتلأت بكل هذا : ابن فى تونس، وابن
فى الجزائر، ثم تعود أنت يا صفاء تسمعنى صوتك من العراق
هكذا قبل أن أموت ، الحمد لله !! كيف حالك؟ وماذا تبقى
مما قلناه سوباً، هل تعرف أن العلاج الجمعى ما زال هو هو
كما تركته ، والمشاهدة مفتوحة للجميع فى قصر العيى كل
أسبوع ومنذ 1971؟ والأمور مازلت تسير وتتجدد وهى تتحدى
التدهور والانقراض؟ أى والله.

د . صفاء

الان أتساءل بعد ان اتحت لي الفرصة للاتصال بأستاذي

الجليل هل مازالت المبادئ والنظريات التي تعلمناها منه باقية لحد الان؟ وخاصة ماضمها كتابه الشهير "سر اللعبة"؟ أم حدث هنالك تغيير دال لبعض المفاهيم؟

د . يحيى:

إذن فأنت ما زلت تذكر ما بدأناه، الحمد لله، تقصد شرح ديوان سر اللعبة "دراسة في علم السيكيوباتولوجي"، تصور يا صفاء أنه بعد مرور ربع قرن لم يوزع منه إلا بضع عشرات ، والباقي هدايا، لم يقرأه "على بعضه" طبيب نفسى مصرى واحد، لم أقرره طبعاً على أى مستوى ذراسى، لأن ما به يُزارُ اختياراً، ولا يُقرر دراسة، وخاصة أنني امتنعت عن الامتحانات والإشراف على الرسائل منذ سنوات طويلة، وحتى الشهادة العربية التي كنت مقرراً للجنة الامتحانات بها لسنوات، اعتذرت عن الاستمرار فيها لأسباب لا بد أنك تستطيع أن تستنتجها.

أقول لك رداً على تساؤلاتك إننى بصدد تحديث هذا العمل من خلال هذه النشرة اليومية، وقد بدأت فعلاً بفصل "الفصام"، ولست أعرف إن كان ذلك مناسباً أم لا، لكنى حين وُزِّطت نفسى في هذه النشرة ، كان ذلك بهدف ضمى ، هو أن الزم نفسى بمثل ذلك، أرجوا أن تتابع أنت - ومن يهمه الأمر- هذه المحاولات خاصة في ما يتعلق بالفصام، ثم الإدمان ، ثم التنظير الأساسى مثل تناولى لمسألة الوجدان:

(عن ماهية الوجدان وتطوره (1) 14-11-2007)،

(عن ماهية الوجدان وتطوره (2) كيف لا نحس الظاهرة في لفظها 17-11-2007)،

(عن ماهية الوجدان وتطوره (3) عن الوجدان والخزن 18-11-2007)،

يا ليت يا صفاء، شكراً،

يا ترى عندك وقت للمشاركة في تتبع حوارنا مع الأصدقاء القدامى؟

ولكن دعنا أولاً نستجيب لضيغن جديدين أيضاً ولكنهما مصريان ، أحدهما فى السويد، يكتب بالإنجليزية ، (ماذا أفعل بالله عليك يا صفاء)، دعنا نرحب به أولاً د. عطية من ستوكهولم .

Atia Daud:

My very dear Prof Yehya Rakhawy. I'm very happy to read you site. Also I'm very proud for being one of your students 1976 at psychology lecture Ain Shams University. I'm working in Stockholm since 1978. I get some of your books from Dr Yosri Khamis. I would like to visit you and Dar elmukatam next time I visit Egypt. Your article about what happened to the Egyptian values is very wonderful.

For us the Egyptian abroad ...we have a frozen picture about Egypt. Our children ask us why Egypt in TV does not

د . يحيى

تركت رسالتك بالإنجليزية يا د. عطية كما هي، لضيق الوقت، ومن فرط الغيظ أيضاً، أنا أحب العربية كما لعلك تعلم، ولا أرضى عنها بديلاً، ولعلك لاحظت خطاي مع د. سناء في أحد حوارات الجمعة في هذه النشرة، أهلاً د. عطية، برغم محاولة تجنبي ذكر تقرير شخصي إلا أنني أثبتته هنا لأذكر نفسي بتلك السنوات التي قمت فيها بالتدريس لطلبة علم النفس في كلية الآداب، واحترمت المبدأ الذي أتاح لي هذه الفرصة، وهو الذي ألزمني أن أستجيب لأي دعوة يمكن أن يتبقى منها ما يبلغ رسالتي، وأظن كذلك حتى يستغنوا عن خدماتي، وها أنت ذا في ستوكهولم مازلت تذكر ما كان، والفضل يرجع لهذا المبدأ: "خذ الفرصة، وقل ما عندك، حتى يوقفونك!"

أشفق يا د. عطية على أبنائك وهم يتساءلون عن الفرق بين "مصر التلفزيون"، ومصر "إلى محق وحقيق" (التي يزورونها)، تصور يا د. عطية أن نفس هذا التساؤل يطرحه أطفال مصر (وبعض كبارهم) عن أطفال مصر التلفزيون، وأطفال مصر عزة القصيرين، وحرارة السكر والمون، وأطفال كفر عليم، الخ.....

شكراً يا د. عطية، وفي انتظار متابعتك ونقدك، وخاصة أن ما ننشره - مثلاً في موضوع العواطف والوجدان - هو أقرب إلى تخصصك في علم النفس، يا ترى ماذا عندكم من جديد في ستوكهولم، وخاصة بالنسبة لهذه الموجات التسطيحية التي غمرت شبكات التواصل وهي توهم الناس بالخلو السهلة وهي تسوق برامج التغيير التدريجي الملفظ على السطح وكأنه السبيل الأمثل لتطور الإنسان، وربما هذا هو ما يسأل عنه ضيف جديد هو الأستاذ محمد غنيمي، لو عندك إجابة أكثر تفصيلاً، أرجو أن توافينا بها مشكوراً.

أ . محمد غنيمي

.... ماذا يرى أستاذنا "..."، فيما يتم استيراده من أنماط حياة ومناهج تحت اسم "علم التنمية البشرية" أو "علم البرجة اللغوية العصبية"، وادعاء مستوردي هذه المناهج بأنها سبيلنا للنجاح والسعادة؟

د . يحيى

أظنك يا أخ غنيمي سمعت دعوتي لإبن د. عطية أن يكتب لنا في هذا الموضوع، وأرجو أن تسمح لي أن أؤجل ردى مفصلاً في يومية لاحقة، فأنا أقوم الآن بدراسة مسألة موازية لعلك سمعت عنها، وهي ما يتعلق بالكتاب الذي اشتهر مؤخراً وعنوانه "السر" The Secret، لقد شاهدت الفيلم، واقتنيت الكتاب، وأنزلت الترجمة تحت الفيلم لأراجعها مكتوبة، وقد فزعت فزعا شديداً من لعبة بيع

الأوهام هذه، تلك اللعبة التي وصلت إلى درجة تكاد توازي ترويح المخدرات، أي والله.

لا أنكر يا سيدي أنني عثرت على بعض الحجارة الخام الملقاة هنا وهناك بين أكوام القش الهش هذه، تلك الأكوام التي يسوقونها تحت هذه الأسماء، وأنا أكاد أكون متأكدا أنهم لا يعلمون شيئا عن أن بعض هذه الحجارة قد تكون من الأحجار الكريمة، لو أحسن الكشف عنها بطريقة أخرى لهدف آخر غير التجارة وبيع الأوهام. أعتقد أن هذا هو نفس موقفى تجاه ما ذكرت عن "التنمية البشرية"، و**البرجة اللغوية العصبية**، : أكوام من القش، أصحابها من شطار التجار، لا يعرفون ما يمكن أن تحتبئ تحتها من أحجار كريمة، فإذا اشتريت كوما من هذه الأكوام فلا تنس البحث عن هذه الأحجار، لعلنا نصلها معا، وهذا ما سأحاوله في يومية - أو يوميات قادمة- وأنا أناقش كتاب "السر"، أرجو أن تسامحني في التأجيل. ثم أدعوك معى للترحيب بأصدقائنا القدامى، أهلا يا أسامة

د. أسامة عرفة

خطر لي سؤال: هل يتحاور المبدعون معا؟

خطر لي جواب، ربما خطأ: ... هم عادة لا يتحاورون بل يبدعون وتجادل إبداعاتهم عبر المستهلكين

د. يحيى

الله نور يا أسامة، كنت دائما - وما زلت - أستشهد بالبابا شنودة - متعه الله بالصحة- وهو ينبهنا إلى عدم التركيز على، أو الفرحة بـ "الحوار بين الأديان"، ويقول إن الحوار الذي يجري هو بين المتدينين وليس بين الأديان، وحين فكرت في هذا تأكدت لي صحة هذا الرأي. إن الحوار بين الأديان، لو كان صادقا، وجدليا وعميقا، فلا بد أن يفرز دينا جديدا، وإلا فما فائدة الحوار الحقيقي، أذكر أن فيلسوف الإسلام محمد إقبال قد فسر حكمة وأهمية ومعنى أن يكون الإسلام هو خاتم الرسالات، بأنها إشارة إلى أن يتحمل كل واحد من البشر بعد ذلك مسئولية وجوده وكده وإيمانه دون أن ينتظر كل عدة عقود أو قرون وحيا جديدا من السماء، ربما هذه هي الأمانة التي علينا أن نحملها، وبالقياس: فإن ما وصلت إليه يا أسامة هو رأى رائع فعلا، دعنا نتصور أنه تم حوار بين إبداع نجيب محفوظ وإبداع توفيق الحكيم (أقول بين إبداعهما، وليس بين شخصيهما) لا بد أنه سوف ينتج من هذا مسخ شائه لا يطيقه أحد.

د. أسامة عرفة

لو صحت هذه الفرضية فمن هم نوع محاوريك في هذه اليومية من بين قراءها؟..

المبدعون من القراء: القليل منهم قد يدخل على خط الحوار

والمستهلك هايشيل ويمشي ..

د . يحيى

حلوة حكاية القارئ المبدع، والقارئ المستهلك، مرة أخرى: الله ينور يا أسامة، ثم خذ عندك القارئ المنتقى (الذي لا يصله إلا ما يريد أن يصله بعيدا عن السياق)، ثم القارئ الخائف (الذي يخلق كل أبواب وعيه وفكره إلا عن ما سبق له معرفته، فلماذا يقرأ بالله عليك؟) ثم القارئ المشؤم، الذي يضع من عنده ما لم أقله، ياه هذا بحث يا أسامة يستأهل جهك، يا اللالالاه

د . أسامة

... بقى البحث في أجندة المحاورين عن مكسبهم الخفى من الحوار، وهو في الأغلب مكسب شريف هم أشبه بمن يذهب للمباراة في الاستاد وعدم الاكتفاء بمشاهدتها على التلفاز، أتمنى أن لا يكتفوا/نكتفى بتشجيع اللعبة الخلوة ونذب الفرصة الضائعة، بل نخاورك في أرض الملعب

د . يحيى

ياليت!! أنا أوافقك فرحا فعلا، وإن كان لم يصلني وجه الشبه تمديدا مع حكاية كرة القدم هذه، لكنني فرحت بحكاية "المكسب الخفى" و "المكسب الشريف"

هل عندك شيء آخر؟

د . أسامة

(نعم) السكينة عندي ليست سكونا أو جموداً أو توقفا، بل هي الحركة في أعلى درجات الصفاء والثقة والأمل،

أتفق مع حضرتك في جل ما ذهبت إليه في رؤيتك للفترة أنا فقط أردت أن أشير عفوا وعذرا عن التعبير أن الفقهاء بيوصفوا الزرافة و حضرتك بتوصف الفيل

د . يحيى

أيضا لست آخذا بالى، سامحنى ، ما معنى أنهم يصفون الزرافة وأنا أصف الفيل؟، يا أختي أنا أحترم الفقهاء حين يدعمون ما أراه لصالح الحياة والناس، كنت أغامر أحيانا في أن أنصح بعض المرضى الوسواسيين ألا يجعلوا وسوستهم في الموضوع حائلا دون صلاتهم بما يترتب عن ذلك من شعور بالذنب، وتقصير في العبادة و...و.. أنصحهم أن يواظبوا على الصلاة حتى بدون وضوء، حتى يأذن الله - بالطب أو غيره- في أمرهم خيرا، وكنت أتردد بيني وبين نفسي وأنا أنصح بذلك، هذا ناهيك عن اعتراض المريض وأهله، أو سخريتهم مما أقول أو مني، إذا بوالد أحد المرضى بهذا المرض يوافقنى على رأيي ويستشهد بمعنى حديث يقول "طاهر من حيل بينه وبين الطهورين" (لأذكر نص اللفظ) فاستزدته، فشرح لى أن الطهورين هما "الماء" و"التيتم"، فإذا كان ثم مرض يحول دون هذا وذاك، فلا حاجة للمصلى بهما وهو طاهر بدونهما. لم أجد نفسى في حاجة أن أتساءل عن صحة رواية الحديث أو

مصداقية راويه، وجدتي أشكر هؤلاء الفقهاء الذين ينتقون من التراث أنفعه، ويدعمونه بما عندهم من دعائم ليست أبدا جامدة ولا ضارة بحال. هل هذا كل ما هنالك يا أسامة.

د. أسامة

مازلت على يقيني بأن رؤيتك للوجدان تستأهل الرصد وقد وصلني منها ما يرر ذلك خلال إشرافك على رسالة دكتوراة د. مجدى عرفة (افتقده بالذات وبشدة في حوارات اليومية)

د. مجدى

..وأنا كذلك أفتقده، لكننى سئمت من كثرة انتظاري للأقرب فالأقرب، وهأنت ترى اليوم أن البريد قد امتلأ بالأبعد فالأبعد ، لا أحد من قصر العيني، ولا من أطباء مصر النفسين ، حتى الآن (وقد قاربت اليومية أن تصل إلى ثلاثة أشهر) لا أحد من كل هؤلاء قال: باسم الله، أعانهم الله على وقتهم، عموما يمكنك أن تسأله أو تحيره بما تشاء، خاصة وأنه كان من أهم كتاب "الإنسان والتطور" المجلة الأم من أول عدد، وما زلت أذكر أن شيخنا نجيب محفوظ يَختَرُ من مواضيع العدد الأول (يناير 1980) إلا على موضوع "علم النفس الإنساني" الذى خصه د. مجدى فى هذا العدد وإليك بريد مجدى arafamagdi@yahoo.com. إن أردت أن تدعوه بنفسك يا أسامة، قل له أنت مباشرة ما تشاء،

ولكنك لم تقل لى رأيك عن احتمال نشر كتاب الفصام هنا مسلسلا مثلا.

د. أسامة

(أذكر بهذه المناسبة) كتابك بورترية للمريض النفسى بما كان به من احتمال إضافة للمكتبة العربية خصوصا أن كتب الطب النفسى المتداولة شوهت أو تجاهلت عمق هذه المنطقة (عن الوجدان) كما فعلت بالوعى اختزالا وجهلا وتجاهلا

د. مجدى

ياه !! ذكرتنى يا شيخ، تصور أن هذا الكتاب عن أعراض الأمراض النفسية لم يصدر أبدا، مع أنى أعددت مسودته كاملة تقريبا فى صورة كتاب ثنائى اللغة Bi-lingual بالإجليزية والعربية معا؟ والله لا أعرف يا أسامة هذه اليومية ستسع ماذا أم ماذا؟ دعها تتطور وحدها.

ولكن ، قل لى ما رأيك فى موضوع الموت الذى أقحم نفسه علينا فى هذه اليوميات هكذا مؤخرا بلا استئذان

د. أسامة

أحيانا أتساءل كيف لنا أن نتحدث عما يلى الوفاة و المسمى بالموت دون أن نخبره، فنحن لم نحياه بعد !! ولم يأتنا من عايش خبرته ليحدثنا، إنغا هى تصوراتنا أو

آمالنا.. ، أو أنها وعى يقيني يصل لدرجة الإيمان بذلك الامتداد بعد الوفاة، ولكن من أين أتانا كل هذا اليقين..؟

ولنتأمل مايقوله علام الغيوب و رسوله المحبوب
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد..
وعى أشمل رؤية أوضح
ثم في الانتقال الثالث :
رفع عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
وكان الموت درجة من درجات هيراركية الوجود الإنساني و
مسار كدحه

د . يحيى

.... ليس عندي تعليق!! رائع تعبيرك "الموت درجة من درجات هيراركية الوجود الإنساني ومسار كدحه"، أظن أن هذه هي المنطقة التي أشتغل فيها، أو قل هي التي وصلتني لتطمئنني على توجه مسار كدحي. ثم اسبح لى أن أنتقل إلى آخر تعليق لك عن المخ البشرى بين التفكير، والغسيل، وإعادة التشكيل (والإبداع)

د . أسامة

بتأمل حركة التاريخ و دوراته فان ما نمر به الآن هو أكثر مراحل الإنسانية تدهورا، أى أعلى نقط تصاعد منحى الظلم، وأدنى نقط نزول منحى الانسانية، وعند هذه النقطة، عادة عبر التاريخ كانت تأتي الرسائل والنبوات الجديدة .

حاليا: العالم أصبح قرية واحدة و لم يعد هناك أنبياء فالتحدى أصبح أكبر، ولا مفر من منهج عالمى جديد أو الفناء ..

هذه اللحظة التاريخية التى لا مفر فيها من تكاتف شرفاء العالم، وتقريبا لم أكن أمزح سابقا عندما أشرت إلى سفينة نوح العصر .. ويا شرفاء العالم اتحدوا .. ولكن بقى أن نتحد على ماذا .. بدايةً على رفض ما آلت اليه البشرية وحتم التغيير و الاصلاح

د . يحيى

"ماشى" لكن دعنا نتفق ألا نكتفى بالنوايا الحسنة، أو الوصف والشجب والتشخيص، ماذا يفيد التشخيص إن لم يلحقه علاج نابع من فائدة التشخيص والتوصيف؟

شكرا يا أسامة، وتعالى الآن نرحب بالإبنة إيمان، ونحن نعتذر لها لأننا انتقينا من فيض ما أرسلت بعض ما جادت به، وهو الأقل، لقد أرسلت تطمئننى ألا أنتظر من كل من يقرأ اليومية أن يشارك بالرأى أو التعقيب

أ . إيمان

..... هناك من يتابع ويشغف ولكن دون المشاركة برأى معين ومتاكده أنهم كثيرون وأن هذه المقالات تؤثر فيهم إيجابا وليس سلبا، أدعو من الله ان يثبت خطاك فى

الاستمرار لما هو خير. عندما أقرأ هذه اليوميات فأنا أميل للموافقة على بعضها، ورفض البعض الآخر أحيانا، ولكني لا أستطيع تكوين رأي خاص بي في كثير منها، يمكن هذا لأنني قليلة المعرفة ولكنني أحاول ...

د . يحيى

أشكر يا إيمان، ولا أظن أنك قليلة المعرفة بما جاءني بعد ذلك منك من تعقيبات ناضجة ناقدة، مثلا عن ماهية الوجود وتطوره

أ . إيمان

لا أعتقد انني يمكني تسمية التعبيرات العاطفية بهذه السهولة بالرغم من أنها ليست غريبة أو جديدة وأحيانا كنت أعتقد أن اللغة أو الكلام مهما بلغ لن يعبر عن العاطفة الحقيقية، ولكن بعض الشعراء عندهم قدره فائقة على ذلك . أذكر في قصيدة المساء للمتنبي (عندما هجرته حبيبته) يقول:

لقد ذكرتك والنهار مودع والقلب بين مهابة ورجاء .
وخاظرى تبدو تجاه نواظرى كلمى كدامية السحاب إزائى
والدمع من جفنى يسيل مشعشا بسنا الشعاع الغارب المتزائى
والشمس في شفقى يسيل نضارة فوق العقيق على ذرا سوداء .

مرت خلال غمامتين تحدرا وتقطرت كالدمعة الحمراء .
فكأن أحر دمعة للكون قد مزجت باخر أدمعى لرتائى .
وكاننى آنست يومى زائلا فرأيت في المرآة كيف مسائى .
هذا يحدث أيضا (والأولى ذكره) في عظمة القرآن وبلاغته حتى بدون تفسير له، فمعناه يصل بقوة من خلال القراءة المتأنية فقط.

د . يحيى

بذمتك يا إيمان هل هذا يدل على أنك قليلة المعرفة، إنني لا أحب المتنبي كثيرا، ربما كشخص، وليس كشاعر، وما زلت أحفظ كثيرا من أبيات كانت علينا في الثقافة العامة (سنة ثانية ثانوى الآن) من ميميته التي تبدأ بـ

واحر قلباه من قلبه شبح ومن مجسمى وحالى عنده سقم
مالي أكتّم حيا قد برى جسدى وتدعى حب سيف الدولة الأمم

بصراحة يا إيمان كرهت نفاقه لسيف الدولة، وحكايته مع كافور، وحتى أنني كرهت موته ولم أصدق روايته، وبرغم دفاع أستاذى المرحوم محمود شاكر عنه، إلا أنني لم أتصالح معه أبدا، حتى ذكرت ذلك لشيخى نجيب محفوظ، وإذا به يفهمنى أنني أقيس ما أسميه نفاقه بمقياس خاطئ، لأن الشعراء أيامها كانوا يقومون بدور وزير الإعلام هذه الأيام، ثم أردف شيخى "ماذا تنتظر من وزير إعلام معاصر أن يقول في الرئيس الذى عينه في هذا المنصب؟"، وبرغم هذا المنطق الواقعى الجميل، لم أستطع أن أصالح المتنبي، ثم

تأتين أنت الآن تصالحيني عليه من خلال كل هذه الرقة التي لم أكن أعرفها أبدا عن مثل هذا المشاعر، ولا كنت أتصور كيف يجيش وجدانه بكل هذا الحب.

ثم بالنسبة لتعليقك على الصور، ولكن دعيني اثبتته أولاً هكذا:

إيمان: الصور بالتوالي

الصورة 1: حزن ويأس وانكسار

الصورة 2: راحة اليأس

الصورة 3: ألم شديد وندم على فشل ما أو فقدان إنسان عزيز.

د . يحيى

أرجو أن تقرئى تعليقي على الصور في حوارى مع د. رمضان في أول الحوار، ذلك أنه لم يصلنى ما يكفى من ردود حتى أعقب ، ثم دعيني أثبت تعقيبك على موضوع "السعادة"

أ . إيمان

... أنا أيضا لا أميل لاكتشاف أو تحديد السعادة بالبحث عنها فأنا أكون سعيدة عندما أفاجأ بها، أو حتى عندما لا أنتبه إلى خطاياها، ولماذا نبحث عنها أصلا؟ فهي لن تتشكل في موقف أو كلمة أو أى شيء معين، هي أكبر من ذلك.

د . يحيى

عندك حق، لكننى لا أوافقك على اعتراضك على غيظى من نفسى وأنا أنهى موضوع المخ البشرى بين التفكير والغسيل والتشكيل

أ . إيمان

(فعلا، لقد تعجبت) لماذا امتلأت غيظا. أنا عن نفسى شعرت بالأمل والتفاؤل ولكننى أعتقد أننا سنحتاج من الوقت والجهد (الذى أسأل الله أن يعيننا عليه) ما يجعلنا نستخدم مجالات المعرفة المختلفة بوعى وحذر حتى نهتدى إلى ما هو أصلح لتطور الإنسان

د . يحيى

حين أستعمل كلمات كبيرة نابضة، مهما كنت أعنيها، أشعر أننى ابتعدت عن القارئ، وأننى ألوح له بما لا يليق وهو فيما هو فيه، فأحاول أن أحول دون ذلك، لكننى لا أستطيع أن أتخلى، فأثبتها، وأعتذر، هذا هو ما ملأنى غيظا. دعيني أعيد ما قلته من خلال هذا التوضيح "

إن هذا التواصل الواعد الجديد قادر على أن يعيد للشخص العادى بعض معالم فطرته التي شوهتها وتشوهها عمليات غسيل المخ الجماعى المهددة للنوع البشرى برمته ، فنستعيد بذلك :

- حلاوة المعرفة،
- وفرحة التساؤل

- ومسئولية الحزن الموقظ
- ودهشة الحكمة الفطرية،
- وفخر التاريخ الخيوي،
- وتواصل البشر الحقيقي،
- وإمكانيات الشخص العادي في المشاركة في النقد والإبداع،

فيعود الإنسان قادرا على أن يسير أموره من حسن إلى أحسن، برغم بطء الخطى ووعورة الطريق.

(انتهت الإعادة)

بالذمة يا إيمان هل هذا يجوز/ فرحة التساؤل !!!
ومسئولية الحزن اليقظ!!!!

يا شيخة نحن في ماذا أم ماذا؟ ولكن يبدو أنه وصلك أنت - وأنت في هذه السن- ما أشعرك بالأمل والتفاؤل، هذا طيب ، ولعلمك أنا لا أستطيع أن أعيش بدون تفاؤل، على شرط أن أبدأ فوراً في محاولة الإسهام في تحقيقه، هل تقبلين هذا الشرط؟

والآن هل تنتقلين معي إلى الإبن كريم ، بعد الاعتذار أيضا عن اختصاره هذه المرة لأن المسألة اتسعت منا

كريم محمد محسن شوقي: عن الوجدان، والحزن

المقال صعب جدا وطويل جدا ومهم جدا

أنت تقول: "إن تقديسنا لما هو علم - بالمعنى الحديث الضيق - ينبغي أن يُزاجحَ تماما حتى لا يصير النشاط المعرفي حكرا على فئة بذاتها، تمارس من خلاله الوصاية على وجودنا ومشاعرنا، مع عجزها عن الإحاطة بأقل القليل مما هو نحن، بسبب انغلاقها الساكن في مصطلحات جامدة (مستورد أغلبها) بما يفصلها عن الظاهرة الأصل".

"موضوع مراجعة تقديسنا لما هو علم بالمعنى الحديث الضيق دي صعبة شوية يا دكتور يجي لأنه ما عنديش بديل...طب من قاموا بكتابة هذا العلم اتبعوا منهجا بحثيا ونظاما معيننا للوصول إلى النتائج بما يحقق مصلحتهم...أنا بقى لا أنا عندي منهج، ولا بحث، ولا نظام، ولا حتى ناس بتقرأ أدب وشعر...أراجع إيه ولا إيه و ازاي وليه...؟

د. يحيى:

بصراحة يا كريم عندك حق، وأنت لست أول من حذرت من مثل ذلك، أنت - وهم - تتصورون أن تحفظي من استسهال الاستيراد هكذا هو تهوين جهود هؤلاء السابقين المتقدمين عنا فعلا، مع أن هذا لم يخطر على بالي أبدا، فأنا أعرف مدى تخلفنا، وكسلنا ، وتقاعسنا، بل إنني حين أنبه إلى ضرورة عدم تبعيتنا لهم، أجد أكثر الاستجابات في اتجاه "عليك نور، إذن نتبع أجدادنا الأولين" فأرعب، وأقول : لا يا عم رجعت في كلامي، ومهما ذكرت هؤلاء الذين يفهمونني خطأ، بأنني لا أعني "هكذا وجدنا آباءنا"، وإنما أعني أن عندنا

"هنا والآن"، بما خلقنا الله ما يمكننا من إضافة، لكنهم لا يصدقوني، ويتمادون في تصنيفي حيث هم، سلفي ابن سلفي فماذا أفعل بالله عليك؟

أستأذنك الآن يا كريم، ولنقتطف من رامى هذه المرة أقل القليل فالحوار طال، ولا بد أن أسلم اليومية الآن.

أ. رامى عادل: حوار الجمعة

بسم الحق العدل: مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة، ومن أصدق من الله حديثاً.

عم ذهب العزيز . مش عارف ابدأ من فين . ومع ذلك توكل على الحى اليوم الذي يراك حين تقوم . وربي، إيه اتك العظيمة المنتظمة تدفعني نحو الصحة تدريجياً أقصد بتدفعني للكبح، ولكنها موحية بدرجة خطيرة حتى أنني أشك في خطاتك انك تكلمني شخصياً فانتفض وأفضها سيره . ومع نفاذيتها (كلماتك) يمكن ان تفيد جداً لقياس أمور شائكته . وهذا لا يستقيم إلا للمتابع المجادل .

أنا مش عارف ليه لما بتتكلم عن استمرارك في الكتابه (أى كتابه) بتكون منكسر مكتئب. ماتغير جو أخرج البلكونه. أسرق تلت ساعه على بحر. المهم شم هوا نضيف جدُّ. إتمرد أيوه إتمرد. زُوشن غنى وأرقص واتثورج. إركب مراجيح. طرقت لبنان، روح لصحابك. أقف على ناصية، أعمل منظر. سلام

د. يحيى

أكثر الله خيرك يا رامى، أشعر مجد أنك تحبني، ويكفى أن تقوم هذه اليومية بهذا الدور الطيب لك ولصحتك ولى، شكراً، لكنني لن أقتطف منك هذه المرة إلا هذا المقطع، ربما ثقة في سماحك، وأرد عليه هكذا:

أولاً: أنا أرفض مناداتك لى بـ"عم ذهب"، صحيح أنني أحب عم ذهب كشخص خفيف الظل، لكن مجله مزعج لى، ومع أن تكالبه على المال يتعري بتحايل بطوط وأولاد أخيه البط الصغير أولاً بأول، فما زال رفضي أن تسميني باسمه شديداً، وحتى عبقرينو، قد أعاطف معه، لكنني لا أحب أن أستعير اسمه، فأياك أن تناديي بعم ذهب ثانية. ثم يا أخى إيش عرفك أنني لا أفعل كل ما تقول؟ أنا اشتريت مركبا صغيرا للتجديف هذا الأسبوع، وليس عندي أهمل من شم الهواء سواء في النيل أو في البحر، ثم إن أتروشن يا أخى بطريقي، لكنني لا أحب طرقة الليان، لا ميني، ولا من أى أحد خصوصا إن كان يتحدث معي وهو يفعلها، ثم إنه صحيح أنا ليس لى أصحاب بالمعنى الذي تريده وأتمناه، مع أنني أزعم أن كل الناس أصحاب، وهذا زعم خائب لا ينفج. أما حياة أقف على ناصية وأعمل منظر، فإني أخشى أن يجسبي أحدهم غير ما تريد، فيمد يده ويعطيني ما فيه القسمة، شكراً يا رامى، واعذرنى للاختصار هذه المرة

كما أعتذر أيضا لابن أخي محمد أحمد، مع أنه أهدأ وعنده هذه المرة بعض الجديد، برغم دورانه حول نفس البؤرة، وحول نفسه وآرائه!

ثم دعني يا رامى أختم بالإبن د. زكى سالم الذى انتطرتُ رسالته هذه من زمان، فجاءت بكل هذا الاختصار

د. زكى سالم: أحلام فترة النقاهاة

أعبر لسيادتكم عن سعادتى واهتمامى بكتابتكم الكاشفة لجوانب مهمة فى أحلام فترة النقاهاة

فلكم كل الشكر والتقدير والحب

د. يحيى

شكراً يا زكى

برجاء قراءة آخر كلمتى مع رامى.

السبت 24-11-2007

85- عن الحب "الشباب" (وغيرهم غالباً!)

منذ أكثر من ثلاثين عاماً، قررت أن أرفض أن أجيب على أسئلة الصحفيين الطيبين بالهاتف، ورحت أطلب أن يرسلوا لي ما يريدون بالفاكس، وأرد عليهم كتاباً، فيصر بعضهم على مقابلة شخصي وجها لوجه، فكنت أتساءل لماذا هم حريصون على مشاهدة جمال خلقتي هكذا، فأرفض، ثم تعلمت أن أعدهم أنني على استعداد للقاءهم إذا ما وجدوا نقصاً في الرد، أو احتاجوا مناقشة أو تعديلاً أو توضيحاً لما ذكرت فيه (في الرد)، والحمد لله كان الرد كافياً دائماً، فاستغنوا عن مقابلي دون استثناء.

لم أكن أتابع ما ينشر، فبعض هذه الصحف والمجلات لا تأتيني بانتظام، والبعض أبعد من متناولى (في البلاد العربية مثلاً) والبعض يحتفى في ثنايا ازدحام وقتي.

فإذا تصادف أن قرأت ما كتبت من ردود، فإنى غالباً - وليس دائماً - ما أجده قد قُصّ منه ما تيسر بما يشوهه عادة، وإذا حدث وأن هاتفني صاحبته أو صاحبه في طلب حديث لاحق، وعاتبتهم على ما حدث، فإنهم يعتذرون ويتهمون سكرتير التحرير أو المساحة ... أو غير ذلك.

فقررت أن أطلب من طالب الحديث تحديد عدد الكلمات التي يريدها من عشرين كلمة إلى ألفين، شريطة ألا يحذف منها حرفاً، فيحدد تحديداً أشعر معه أنه لا يعرف المساحة التي تحتلها عدد الكلمات التي طلبها، ومع ذلك أستجيب في معظم الأحوال.

حين أتاحت لي الفرصة لأراجع باب المقالات في موقعي هذا انتبهت إلى الفروق غير القليلة (نوعاً وكمّاً) بين الأحاديث التي نشرت لي وبين أصل الحديث، وأسفت أسفاً شديداً (ليس شديداً جداً).

ثم جاءتني هذه الفتاة الجميلة من مجلة "الشباب" (أنا لم أرها لكنني أستنتج ذلك من اسمها "رانيا"!) وطلبت ما طلبت، فقصرت، فعادت تطلب فنسيت، فأصرت، وحين جلست إلى مكتبي هذا الصباح (الجمعة) لأكتب يومية الغد عن "السرا" (بيع الأوهام الأحدث) الذي وعدت بالكتابة عنه في حوار أمس، إذا بي أجد أسألها تنتظرن على المكتب في تحدّ صاحب، قلت ابدأ بها -

وأنا لا أعرف الموضوع - لأهيتها بسرعة، ثم أنتقل لكتابة يومية الغد، وإذا بالموضوع الذي تريد من الرد عليه هو عن الحب، وإذا بالأسئلة ذكية (على غير العادة)، وإذا بي أتذكر ما كتبتة هنا في يومية 10/7 عن الخوف من الحب (1) ، يومية 10/8 عن الخوف من الحب "من يجب من" (2) ، يومية 9/26 تعرية زيف واغتراب التواصل بين البشر، فأشعر أنني مدين لزوار الموقع بتوضيح أبسط، وإذا بي أرد بشكل مختلف دون اعتبار مجلة الشباب (الأهرام) وإذا به يخرج للموقع بحرية غير ما كنت سأكتبه لرانيا محاسباً متزوداً.

وفيما يلي ما كان (دون تحوير في الأسئلة إلا نقل سؤال 9 محل 10).

س1- يقولون: "قليل من البعد يزيد الود" فهل هذا حقيقي؟

لم أفهم معنى "قليل" في السؤال، دعنا نقول: **البعد ضروري للقرب**، المسألة ليست مسافة ثابتة قليلة أو كثيرة، المسألة هي **حركية "البعد والقرب"**، العلاقات الحية بين البشر هي التي تسمح بتحريك برنامج "الدخول، الخروج" الذي يبدأ منذ الولادة، فالطفل بعد ولادته دائم النزوع إلى الرجوع إلى الرحم، والأم دائمة التهيؤ لاستعادته (بيولوجيا = لا شعوريا)، ومع كل مشوار للدخول والخروج (الذي سيكتمل ويتواصل لاحقا بدورات "النوم واليقظة" يزيد الذراع الخارج في كل جولة، وهكذا يضطرد النمو.

العلاقات البشرية الثابتة (سواء على قليل من البعد أو كثير من القرب) هي **ضد "الود"** ، **ضد "الحب"**، خاصة إذا وصلت إلى احتواء طرف للطرف الآخر بشكل دائم (أموت فيك وتموت فيئة).

س2- حب النظرة الأولى: حقيقة أم خداع نفسى للمشاعر؟

هو حقيقة، لكنها حقيقة البداية (مثل حب النظرة العاشرة أو حتى حب السنة العاشرة)، أعني **حقيقة البداية** أن أى حب هو "مشروع" له بداية قابلة للاختبار من ناحية، وقابلة للتطوير والتعديل من ناحية أخرى، أى حب هو قابل أيضا للتراجع والإلغاء، يحدث ذلك، أو المفروض أن يحدث، سواء تمت صياغة بدايته في ثانية (من أول نظرة) أو في شهور أو في سنين (من طول العشرة).

س3- الحب يحرك الموهبة، والموهبة بدورها تحرك الإبداع، فهل معنى هذا أن الحب ممكن أن يصبح وسيلة للإبداع؟

لا بد من تعريف الحب، وكذلك تعريف الإبداع قبل الإجابة على مثل هذا السؤال، وايضا تعريف الموهبة، وهذا موضوع يطول شرحه،

ابتداء أنا أعتبر الشخص العادى (بدون موهبة ظاهرة أو إبداع معلن)، هو مبدع بالضرورة، **طالما أن أى واحد منا ينام ويصحو، يتغير ويندهش، فهو مبدع بالضرورة**،

ثم نأتى إلى تعريف الحب الذى احترت فى تقديمه للناس، وأيضاً فى الإلتزام الحقيقى أو المناسب بتحقيقه ما أتاحت الفرصة، أكرر دائماً أن الحب - بعد التعديل - هو الرعاية والمسئولية وتحمل الاختلاف، ومكابدة الاستمرار، وتذبذب الجذب المتبادل وكل هذا يسمح بالحركة وإعادة التشكيل للذات (إبداع الذات) أو إبداع الناتج الجديد، أو فى الأداء المختلف (هذه كلها هى حركية الإبداع)،

ومع تحريك الإبداع تُصَقَلُ الموهبة، التى ينبغى أن نتعامل معها ليست على أنها "هبة" يتمتع بها البعض دون الآخرين، وإنما هى فرصة متاحة لمن يبحث عنها فينميها فى أى جانب من جوانب أدائه، لعل وعسى.

س4 - بعض الدراسات العلمية أكدت أن الحب يحفز المخ لإفراز مادة "الأكسيتوبين" التى تعطى الإحساس بالأمان والراحة والطاقة النفسية؟

لا أعرف إلى متى يتواصل هذا العبث "العلمى" أو: (الشائع باسم العلم) بمشاعر البشر تشويها واختزالاً!؟

هذه الموجة الطاغية المتمادية لتفسير السلوك والمشاعر البشرية والمواقف الإنسانية، بل والأمراض (النفسية) بزيادة هذه المادة هنا، أو نقص تلك المادة هناك، عموماً، أو فى المركز الفلانى فى المخ هى علم زائف، مختزل، ناقص، ناهيك عن ما جاء بالسؤال عن الإحساس "بالأمان" و"الراحة" و"الطاقة النفسية"،

ما هو هذا الأمان؟ هل هو الحركة المتوازنة الإيقاعية المضطربة فى زخم سلس، أو هى السكينة الخاملة المعتمدة؟

وما هى الراحة، أهى التجمع للانطلاق، أم اللا عمل والاحركة واللاجهد؟

وما حكاية الطاقة النفسية؟ أهى الطاقة النفسية المتجددة المتوجهة إلى التناسق مع دوائر الوعى الممتدة بدءاً من الفعل اليومى إلى الحوار مع الطبيعة؟

كيف يمكن أن تعطى "مادة الأكسيتوبين" (أو الزفت الأزرق) هذا الإحساس بالأمان والراحة والطاقة النفسية؟ كأننا موثور عواطف محتاج إلى زيت محرك جيد الزوجة.

ثم إلى متى تظل صحفنا تنشر مثل هذه الأخبار القشرية تحت صفة "العلمية"، تنشرها على الناس وعلى الشباب خاصة هكذا دون مسئولية،

بعد هذه الدراسات "العلمية جداً"، لا تتعجلوا، فسوف تخرج إلينا "الأبحاث العلمية اللاحقة جداً"، لتعلن تعبئة هذه المادة (أو ما يمثّلها) فى أقراص، تحقق لمن يتناولها "الإحساس بالأمان والراحة والطاقة النفسية، وبالمرّة قد تترد منعكسة إليه فيزداد حبا وهو فى غاية الأكسيتوبين.

س5 - هل حقيقى أن الحب لايعرف حسابات الربح والخسارة؟

بصراحة: نعم

هو لا يعرف حسابات الربح والخسارة إذا كنا نعى المكسب والخسارة بلغة السوق،

لكنه يعرف حسابات المكسب والخسارة بلغة أخرى رائعة وعميقة وخطيرة، لغة لا تستعمل الأرقام عادة، فهى لغة أخرى، بمقاييس أخرى،

وبرغم أننى لا أمانع فى استعمال تعبير الصفقة التى تتم بين الحبين "إلا أننى أعنى بها أموراً أخرى" غير ما أشرت إليه أول الأجابة، علينا أن نعرّف أنه: إن لم يكسب الطرفان من هذه العلاقة التى تسمى حبا مكسبا متوازنا، فإن عمر الحب يتحدد بمدى الظلم الواقع على أحد الطرفين، أو على كليهما.

المكسب الذى أعنيه هو أن تكون النتيجة المتجددة المتزايدة من خلال هذه العلاقة هى أننى (أحد الطرفين) أكسب نفسى أفضل وأنضج وأكثر عطاء وأصبر ألما وأوسع وعيا، وأجهز إبداعا، وأن يكتشف الطرف الآخر بنفسه تقدمه من خلال العلاقة، مقاسا بنفس الحكات: يكسب نفسه أفضل وأنضج وأكثر عطاء وأصبر ألما وأوسع وعيا وأجهز إبداعا، ثم من خلال ذلك يكتشف كل منهما أن ما يتحقق له هو نتيجة هذه المشاركة المتبادلة، التى أسميها صفقة بهذا المعنى الخاص،

هكذا تصبح الإجابة البادئة على السؤال بالنفى خاطئة،

هذا النوع من الحب بالاستعمال الجديد لكلمة صفقة، يعرف حسابات المكسب والخسارة، لكن بهذه الحكات المحددة،

وتفسد الصفقة حين تميل كفتها لصالح أحد الطرفين على حساب الطرف الآخر، ويتمادى ذلك بوعى أو بغير وعى،

وبإعادة حساب المكسب والخسارة تفسخ الصفقة، أو يعاد ترتيب شروطها (ليس بالكلام أو بالأرقام)

المكسب هنا يقاس بما يحققه كل فرد لنفسه من خلال فرصة وجود الآخر فى حياته ووعيه بدرجة متوازنة (متغيرة بالضرورة)،

وتستمر حركية المحاولة والبعد والقرب والقياس (بهذه الحكات الجديدة للمكسب والخسارة) حتى تنمو العلاقة أو تنتهى.

س6- تربط القصص الرومانسية عادة الحب بالبعزلة والبعد عن البشر لافتراض وجود شعور نفسى خفى عند بعض الناس يسعى لقتل الحب؟

لا يا شيخة!!

إن أكبر العوامل التى تقضى على الحب هو البعد عن البشر، أية قصص رومانسية تلك؟ وما هو تعريفك الجديد للرومانسية فى هذا العصر؟

منذ قرأت لكثير عزة تمنياته لنفسه ولعزة، أن يكونا: **بعيرين أجربين يرعيان في الخلاء**، وهما يبتعدان عن البشر، بل وينفّران البشر منهما خوفاً من العدوى بالجرب، وأنا معجبٌ بدلالة هذه الصورة الكاريكاتيرية الصادقة. يقول كثير عزة .

ألا ليتنا يا عَزُّ كُنَّا لِيذِي غَنَى
بعيرين نرعى في الخلاء وتَعْرُبُ
كلانا به عُرٌّ فَمَنْ يَرْنَا يَقُلُّ
على حُسْنِهَا جِرباً تُعَدَى وَأَجْرُبُ

صورة صعبة، أليس كذلك؟ لكنها تعرى هذا الوضع الذي يشير إليه السؤال، ولن لا يفهمها من الشباب أذكر قول شاعر آخر لخببته اسمها "ليس"

"ياليتنى وأنت يا ليس .. في بلدة ليس بها أنيس!!"

هل هذا هو ما يريده الحب الرومانسي؟

إن الحب لا ينمو ويزدهر إلا تحت الشمس، وسط الناس، ربما ينبغي أيضاً أن يصب في الناس

إذا حالت ظروف القاهرة خاصة دون ذلك فإمّا أن الحب سيتراجع، أو سيضمّر أو ربما يجد لنفسه وسيلة محل بها إشكال هذه الوصلة مع الناس وعيا وإنتاجا وانتماء معاً في محاولة اختراق ظلام هذه العزلة الاضطرارية بالتوجه الضام في اتجاه الناس، وهذا مستحيل - وقد يكون كذبا - إلا في حالات الندره .

أما أن البعد عن البشر هو لافتراض وجود شعور نفسى خفى عند بعض الناس لقتل الحب، فهذا ما لا أرجحه إلا عند بعض النفوس التي لها ظروفها الخاصة التي تسمح بذلك، الأرجح عندي أن الناس تفرح حين ترى الناس تحب الناس!!

س7- قال برناردشو أن أكثر ما قيل عن الحب هو كلام فارغ، فما رأيك؟

أوافق طبعاً

بما في ذلك ما جاء في الإجابات السابقة، وغالبا ما سوف يجئ في الإجابات اللاحقة .

س8- لماذا تحمل أشهر قصص الحب إمضاء الرجل؟ هل لأنه الأقدر في التعبير عن مشاعره؟

الأرجح عندي أن أشهر قصص الحب، ليست هي أعمق ولا أصدق قصص الحب، الشهرة تتطلب الإعلان والشيوخ معاً، فإذا كنا قد دافعنا عن ضرورة أن يكون الحب تحت الشمس وسط الناس حتى ينمو، فهذا يسمح بالتوقيع من الطرفين، أما أن الرجل هو الذى يوقع على مثل هذه القصص أكثر من المرأة، فلأنه أكثر مجاحة ونقضا وكذبا غالبا، في حين أن المرأة قد تملؤها التجربة صادقة مثرية، حتى لا تحتاج إلى أن تتباهى بها غرورا مثل الرجل.

س9- هل يمكن أن تتوقف أحيانا قدرة الإنسان على الحب أم أن إحساسه به يختلف من مرحلة لأخرى؟

الحب ليس محفظة أمهلها في جيبي يمكن أن أفقدها،

ثم تأتي بعد ذلك حكاية "تقديره لذاته" بأى مقاييس يمكن أن نقيس هذا التقدير؟ إذا كان تقديره لذاته يأتيه فقط من تقدير محبوبه له، فهذه مصيبة، في هذه الحالة يمكن أن يفقد تقديره لذاته مع فقد محبوبه، أو إذا توقف محبوبه عن تقديره له،

ثم بيئي وبينك، حكاية تقديره لذاته هذه فيها كلام، لأننا عادة نقدر ذاتنا بمقاييس خائبة "مضروبة"، وبالتالي يصعب التقييم أصلاً، فماذا نفقد وماذا يترتب على ماذا؟

المسألة تحتاج إلى تحديد أكثر لعلاقة ما يسمى حبا بما يسمى تقدير الذات

س11 - هل هناك زمن أو عمر افتراضي للحب ينتهي بعده؟

طبعا

لكل شئ نهاية، حتى العمر، وبالذات العمر فلماذا نستثنى الحب، ومع ذلك فلا يوجد حب مؤقت منذ البداية، إلا باستعمال الاسم الخاص الذي يسمح بتسمية ممارسات أخرى باسم "نصنع حبا"،

فكيف السبيل إلى حل هذا الإشكال الذي أعود فأوجزه كالتالي: لا يوجد حب موقوت بضابط الوقت Timer وفي نفس الوقت لا يوجد حب ليس له عمر افتراضي؟

فجأة ففز إلى ذهني فرض يقول:

إن أى علاقة حب هى علاقة أبدية لحظة ولادتها، وهذا هو ما يسمح لها أن تزرع باطمئنان، وأن تغوص إلى عمق العمق،

وفي نفس اللحظة فإنها علاقة تحمل حتم انتهائها لحظة ولادتها طالما الإنسان كائن متغير ينمو باستمرار، وبالتالي هو يعيد تشكيل علاقاته باستمرار، مع إعادة تشكيل ذاته باستمرار نموه،

أعلم أنني أصعب المسألة لكن ماذا أفعل.

الحل هو أن تكون العلاقة جدلية حركية باستمرار،

ففى حين أنها أبدية بما يسمح بالاستغراق فيها، هى جاهدة للتجديد "إعادة التعاقد" recontracting وهو اسم سخيف مثل استعمالنا لكلمة "الصفقة"، لكنه أدق اسم لوصف ما أريد، فما دمت أنا أتغير، وشريكى يتغير، فإن نوعية العلاقة لابد أن تتغير،

أما إن كنا قد كَلْبَشْنَا في بعضنا البعض سكونا وهموداً، وهو ما يسمى علاقة "القفل بالفتاح" Key & Lock relation، فإن الحب في هذه الحالة لا يكون له عمر افتراضي، لأنه لا يوجد أصلاً.

س12 - إذن متى يصبح الدرب بين الرجل والمرأة سيرا لا يمكن أن يكتمل؟

هناك ألف سبب وسبب لمثل ذلك، ومنها مثلاً:

- حين يتغير (ينمو أو يتراجع) أحد الطرفين مع ثبات (همود) الآخر.
- حين يتغير الطرفان ولكن بزواوية منفرجة، فمع مضي الوقت تزداد الزاوية انفراجاً فيزداد التباعد حتى يختفى كل منهما وراء أفق الآخر.
- حين تتراكم الصعوبات التي كانا يتغلبان عليها بزخم حرارة الحب في البداية، تتراكم حتى تصبح أكبر إعاقة من قوة دفع الحب، ويصبح ثمن تحملها أكبر من عائد الحب فعلاً.
- حين يكتشف أحد الطرفين (أو كليهما) تفاصيل أخرى عن شريكه لم تكن في دائرة وعيه حين عقد الاتفاق المبدئي.

وغير ذلك كثير

س13- أكدت دراسة أمريكية أن الحب يضعف المرأة ويقوى الرجل فما رأيك في هذا الكلام؟

هو كلام فارغ (بعد إذنك)

دعيني أكرر تحذيري من هذه الصياغة المكررة "دراسة أمريكية" ، "دراسة علمية"، دراسة حديثة" كل هذه التعبيرات توصل للقارئ العادي - خاصة من الشباب - هالة مسيقة لقبول ما يليها، لا يوجد شيء اسمه دراسة أمريكية هكذا دون ذكر - ولو بإيجاز شديد - نوع العينة (البشر موضوع الدراسة) والمنهج واحتمالات التعميم وغير ذلك.

ومع هذا فمن حق الشباب - وهذه هي جملة الشباب - أن يسمعو رداً أوضح من مجرد أنها دراسة "كلام فارغ"، وفي ذلك أقول:

الحب لا يضعف المرأة إلا المرأة الضعيفة، أو التي استعملته ابتداءً لتكون ضعيفة، وهو لا يقوى الرجل إلا أن يكون غيباً مستغلاً، لا يشعر بقوته إلا من خلال ضعف شريكته، وهي قوة زائفة، وأنا لا أستطيع أن أنقد هذه الدراسة نقداً موضوعياً إلا إذا جاءت التفاصيل، أنا فقط أتعامل مع كلمتي "ضعف" و"قوة" بمفهومي الخاص،

المرأة عندي - تاريخياً بيولوجياً وإنسانياً وحاضراً - هي الأقوى، وهي الأصل، وهي الأقدر على الحب، فمن البديهي أن يزيدها الحب قوة،

أما الرجل (الذكر عموماً) فهو كائن (بيولوجياً، وربما حالاً) يمكن الاستغناء عنه، ليس فقط بالاستنساخ أو الأنابيب أو حتى المثلية، ولكن لأنه بغيره الذي يغطي خواءه، أقل التحاماً بجذور الحياة ومسيرة التطور.

كل هذه طبعاً مجرد فروض محتملة، لا أعرف منها قادراً على التحقق منها، لكن من حقي في خلال خبرتي ومرضى وقراءاتي أن أضعها كفروض، مجرد فروض لمن يريد أن يتحقق منها مقابل تلك الدراسة الأمريكية بعد الحصول على تفاصيلها.

س14 - وهل المرأة بصفة عامة تميل إلى التضحية أم الامتلاك؟

أنا إيش عرفنى؟! (ولو أن المرأة بداخلى أقوى وأنضج) عموما أنا لا أحب "التضحية" كقيمة مطلقة، وإن كنا نقبلها حتى التقديس في بعض الظروف الطارئة (مثل الحروب والكوارث) وعلى ذلك فإننا ينبغي أن نتحفظ تجاهها ونحن نناقش العلاقات والحب، المرأة التي تبدو أنها تضحي جدا جدا، ربما تكون هي هي التي تمتلك من تضحي من أجله جدا جدا، (سواء كان إبنا أم زوجا أم حبيبا) وبالتالي فإنها تضحي بعد ما تمتلك من تضحي من أجله، أو حتى تلتهمه، فأين التضحية؟

س15 - يقولون أنه لا حب في السياسة ولا سياسة في الحب فهل يمكن لرجل السياسة في ظل ظروف عمله القائمة أن يتذوق طعم الحب؟

أرجو أن تسمحي لي أن أعتذر عن الإجابة عن هذا السؤال، وأن توصلي مني برقية تهنئة حقيقية للعروسين الحبيين شاهيناز النجار وأحمد عز، جمعهما الله بالحب والسياسة والفلوس معاً، وأفاض علينا من فيض سعادتهما ما تيسر (أنا أتكلم جداً، لماذا لا تصدقيني؟).

س16 - وأخيراً متى يموت الحب؟

إذا كنا نعني القدرة على الحب فهي لا تموت أبداً إلا بموت صاحبها،

وحتى بعد تصالحي مع الموت مؤخراً وأنه يمكن أن يكون نقلة الوعى الخاص إلى الوعى الكونى إلى وجه الله تعالى، فإن القدرة على الحب لا تموت، حتى بالموت، لأن الوعى الخاص يحتاج للتناغم مع الوعى الكونى إلى وجه الله حتى بعد الموت، وهذا كله حب في حب.

أما إذا كنا نتكلم على انتهاء العمر الافتراضى لحبّ بذاته فقد سبقت الإجابة عليه في سؤال 11.

الأحد 25-11-2007

86- ... من الفصل (2)

(من أرشيف ما لم ينشر: جنون صبي تنأثر، فتجمد، فتجمع)

أصل الحكاية

... في يوم من ذات الأيام حضر لي الابن "محمد هاني" مدير تحرير روز اليوسف، وطلب مني أن أكتب في صحيفة يومية، سوف تصدر قريباً!! اسمها أيضاً روز اليوسف، أن أكتب صفحة أسبوعياً، تذكرت ما سمعت حين كانت الروزا يومية لفترة رائعة أيام منشئتها السيدة روزا شخصياً، أقول: بعد فرحة تاريخية، وتحفظ مستقبلي، سألته: هل يعنى عامودا، قال: صفحة، قلت له: ما حجم هذه الصفحة، قال: مثل صفحة الأهرام، قلت: تريد مني أن أكتب صفحة بأكملها أسبوعياً بحجم صفحة الأهرام وباستمرار؟ قال نعم، وسوف تنشر كل يوم جمعة قلت: ويوم الجمعة؟ قال: نعم!!،

عدت أسأله: في أى المواضيع تريد مني أن أكتب؟ أنا عادة لا أكتب في الصحافة العامة في تخصصي إلا من خلال القضايا العامة، قال: أنت وما ترى، نحن نعرف ماذا تكتب. قلت له: هل هي صحيفة "قومية"، بصراحة أنا أخاف عليكم، أنا أحب روز اليوسف (كنت أعنى روزا الروزا، روزا إحسان، وروزا جاهين، وروزا غام وروزا الروزا) قال، لا تخشى شيئاً، نحن سوف نتحرك في مساحة رحبة من حرية حقيقة.

وكعادتي حين لا أفهم شيئاً، ولا أرفض جديداً، وافقت، وقلت لنفسى: فلتكن التجربة هي المحك وافترحت عنواناً لهذه الصفحة "الإنسان" حتى لا التزم بالسجن في تخصصي (تماماً مثل الإنسان والتطور، وهذه النشرة).

وبدأت،

بدأت وأنا مطمئن أنهم سيستغنون عن خدماتي حين أتخطى السقف،

وقد كان، ولكن أكثر الله خيرهم، فلم يحدث ذلك إلا بعد عشرة أشهر إلا أسبوعاً.

وحتى أوضح لقارئ (زائر) هذا الموقع موقفي من هذا القبول، سوف استسمحه أن أثبت هنا استسهالاً، وبعض مقدمة،

أول مقال نشر في 19-8-2005

استهلال المقال الأول

نشأت - مثل جيلي - في رحاب مقالات إحسان عبد القدوس السياسية في روز اليوسف في الأربعينات وحتى قامت الثورة. كنا نستنشق من خلالها عبير تلك السيدة العظيمة التي لم تعد كيانا بشريا له ولد ومجلة ، بل كانت وما زالت معنى متجددا دائما. طمأنني الجيل الذي تولى القيادة مؤخرا أن روزاليوسف هي روزاليوسف، وأنها تتجدد أبدا، فقبلت الدعوة.

أولا: "الإنسان العادي، ...المعرفة"

هي محاولة لتتعرف على ما هو "إنسان" بعد كل الذى كان ويكون.

الإنسان (كل إنسان) دون سائر الأحياء، لا يكون كذلك إلا إذا تميز بالوعى، وأيضا تميز بجدل محاولة عمل علاقة بآخر من نفس جنسه، علاقة تتجاوز مجرد "الاستعمال" و"الكر والفر".

كل واحد منا ، على هذا الأساس، مهياً - دون وصاية معقدة- أن يفعلها ، أن يعرف من هو.. لا يمكن أن نفعّل ذلك إلا إذا بدأنا من إنساننا نحن، وتحديدنا من واقع ثقافتنا الراهنة.

من نحن؟ ماذا الإنسان؟ من هو؟ كيف هو؟ ماذا يستطيع؟ وكيف يضيع؟

لا نملك إجابات جاهزة، لكننا نحاول تحمل مسؤولية السؤال وكل تركيزنا على الشخص العادي، متلقيا ومخورا وناقدا ومبدعا.

نحن نقدر منذ البداية خطورة الطموح، وصعوبة التواصل، إلا أن الصعوبة لا تعنى الاستحالة على أية حال.

وقع بعض العلم، أو أغلبه، في مأزق حقيقى حين تصور أنه يستطيع أن يحل محل المعرفة والخبرة المباشرة، ، تماما مثل مأزق بعض الفقه الرسمى حين تصور أنه يمكن أن يحل تماما محل الإيمان الفطرى،

العلم المؤسستى أصبح باهظ التكلفة، فاحتكره أو كاد يحتكره من يملك تكلفته،

العلم أخطر وأنبى وأهم من أن يُترك للعلماء

المعرفة أكبر من العلم وأشمل، لكن العلم أنصع وأدق.

والوعى أوسع من العقل وأرحب، لكنه لا يلغيه ولا يحل محله!

يقول أينشتاين

العلم ليس سوى إعادة ترتيب لتفكيرك اليومى.

كما يقول

لا يمكننا حل مشكلة باستخدام العقلية نفسها التي أنشأتها .

وبعد واليوم يا أهل موقعنا هذا:
ألا ترون معي كم كانت النية حسنة،

المهم ظلت أنشر أسبوعيا بانتظام، وكنت أحصل على العدد يوم الجمعة بطلوع الروح، لم يكن متاحاً عند أغلب باعة الصحف حتى في القاهرة، فما بالك في الأقاليم!! حتى حسبت أنها صحيفة سرية بشكل أو بآخر، ومع ذلك أخذت المسألة جدا وكأني أنشر في الحياة اللندنية أو الأهرام (أيام كان أهراما بحق).

بدأت بهذا المقال الذي أثبت مقدمته هنا، وكان آخر مقال نشر لي يوم 7-4-2006، وحين استغنوا عن خدماتي، ولم يحظروني قبلاً، ولم يعتذروا لي، ولم يشكروني، (وطبعاً كانت الكتابة بدون مقابل)، هذا هو نفس ما حدث مع الأهرام بعد كتابة منتظمة لعدة سنوات، كانت النهاية بنفس الطريقة، ربما لنفس السبب، الله أعلم.

وهم وما يرونه مناسباً

"وأُم الأعمى أدري برقاد الأعمى" (مثل لا يعرفه كثيرون والحمد لله، وبالتالي لن أشرحه).

ولكن

ما علاقة هذه المقدمة الطويلة بموضوع اليوم عن الفصام؟

أكتشفت أن آخر مقال أرسلته وكان المفروض أن ينشر في 11-5-2006 لم ينشر حتى الآن، كان مقالا عن الفصام، يا خير!! كيف تسحب هذا الموضوع الجوهرى في فكرى إلى هذه الصحيفة السرية اليومية هكذا؟ كيف استدرجتهم لينشروا - للقاء العادى - عن الفصام بهذه التفاصيل الدقيقة، ... كم أنا لئيم!!.

قرأت المقال، ووجدت أنني لا أميل إلى نشره كما هو، لأنه كان رقم (14) في سلسلة المقالات التي سبقته، والتي كانت تقدم للقاء العادى مفهوماً اعتبرته شديد الأهمية بالنسبة للتركيب البشرى، وهو أننا ذوات كثيرة في "واحد"، ولسنا مجرد أجزاء مركبة من شعور ولا شعور وكلام من هذا، كانت السلسلة بعنوان "أنا واحد ولا كثير"، فتصورت أن نشر هذا المقال رقم (14) الآن كما هو في الموقع دون الإشارة إلى المقالات الثلاثة عشر السابقة هو أمر غير مناسب.

ولكن الوقت أزف، ولم يكن عندي غيره ليومية الغد، فقلت لنفسى: إلى متى تظل وصيا على المتلقى هكذا؟

هذا مقال لم ينشر أصلاً في أى مكان،

وهو للقارئ العادى

وهو تقدمه لصلب ما هو فصام كما تريد أن تقدمه .

كفى وصاية لو سمحت.

وافقت على مضم مع احتفاظى بالحق فى مناقشته مستقبلاً إذا
لزم الأمر

ها هو المقال، أنشره بنفس صورته التى كنت أعدد لكل
مقالات هذه "الصحيفة السرية" الكريمة.

أما قبل

(مقدمة قبل عرض الحالة)

(الأهماء غير حقيقية، وكذلك الصور ليس لها علاقة مباشرة بالحالة)

حين انفتح على ملف "الجنون"، وجدت أننى فى بيتى أكثر دفئاً
وأقرب ائتناساء، أنا أحب أن أعلن أنى طبيب مجانين، أفضل
ذلك عن الاختباء وراء الاسم الحركى "طبيب أمراض نفسية"،
برغم أن المرضى وأهاليهم يريدونى متخفياً وراء هذا الاسم
حسن السمعة، وهذا يعطلى أحياناً.

المنظور الذى أعمل من خلاله هو أن الجنون موجود
بداخلنا كامن ينتظر أن ينقض إذا نحن لم نحسن التصالح مع كل
"من" هو، من هم "نحن"، ولو بدرجة نسبية، لكن متحركة.

الاعتراف بالـ"كثير فينا" ليس نزهة عقلية، أو معلومة
طريفة، هو أساس حركية الوجود لبناء الفرد فالجتمع.

نحن نقى أنفسنا من الجنون بأن نسمح بمكوناته أن تشترك
جميعاً فى نحن واحد.

إذا توقفنا واختبأنا وراء أغطية "العادية"، فالحال
قد يمشى، وربنا يستر.

نعم: الحال يمشى ولكن لو استمر مشيه على نفس النمط
الساکن فعلياً أن نعرف أن ثم خطأ ما.

كلما هدنا الـ"كثير" بداخلنا بالخروج عشوائياً (الجنون)
سارعنا بزيادة عدد من الأغطية والأخفة والحواجز والأسوار
والأثقال.

إذا زادت هذه الأهمال بلا توقف على حساب حركية الداخل
أصبنا بما يسمى الأمراض النفسية الحقيقية (العصاب) التى هى
محاولة لتغطية وضبط الجنون الذى يتقلقل داخلنا من فرط كتم
أنفاسه.

من هنا صار موقفى العلاجى (والشخصى، والوقائى) هو أن
أتعامل مع الجنون فى الداخل حتى لو كان ما زال كامناً بعيداً
عن التناول.

نعم، حين يطمئن المريض النفسى العصائى (هو لم يجن بعد) من أن الجنون بداخله ليس غريبا عنه، (عنا) وأنه لن ينقض عليه إلا إذا أنكرنا حقه فى التعبير بطرق غير مجنونة، حين نتصاح على جنوننا فى الداخل، لا نمرض نفسيا (عصابيا) من فرط الضبط، ولا عقليا (جنونا) بكسر الحواجز ورفع الأغشية واقتحام الأسوار.

تعاملى هو مع الجنون فى كل الأحوال:

إن كان كامنا يتغطى بصورة المرض النفسى العصائى، فعلىنا أن "نهُؤى" عليه ونتفهم أسباب قلقته أنها إنكارنا حق حركته،

وإن ظهر يفرض نفسه على السطح تنائرا أو شطحا أو بعدا عن الواقع (جنونا) فهى المواجهة وإعادة التنظيم.

أول خطوات الوقاية من الجنون الصريح، هى احترام "الكثير فى داخلنا"، وإعطائهم الفرصة للتناوب والتعبير من خلال الأحلام أو اللعب أو الإبداع،

بل كل ذلك معاً.

الحالة

جنون صبى: تَنَائِرٌ فَتَجَمَّد، ثم تَجَمَّع

هو صبى فى مستهل المراهقة (15 سنة)، واحد من ناسنا الطبيين، عينة من عمق ما هو نحن شعبا مجتهدا مثابرا طول الوقت.

تفكك الصبى وتناثر حتى أصبح نموذجاً لما يسمى الفصام (اسمه الجنون الباكر أو جنون المراهقة، تاريخياً)....

اسمه: علاء محمود (اسم مستعار مثل كل الأسماء)، عمره خمسة عشر عاماً، يسكن فى حى فقير بالقاهرة الفقيرة، يعمل "صبى مطبعى" ترك المدرسة فى سن العاشرة ليعمل أعمالاً متفرقة متقطعة،

تاريخه العائلى إيجابى للمرض العقلى (ابنة الخالة)، وهو الأخ قبل الأخير خمسة من والد قهوجى فى نفس الحى، الأب غيور بعيد ضعيف، والأم قوية حاضرة أنانية ثائرة محتجة بطريقتها،

كان الأب المشغول البارد يشك فى أن ثمة علاقة بين الأم وجارهم، انتهى هذا الشك بالطلاق منذ ثمان سنوات، (كان عمر علاء 7 سنوات) و تزوجت الأم من نفس الجار!! بعد الطلاق مباشرة، ولم تر أبناءها - دون أن يمنعها أحد من ذلك- لمدة عام ونصف عام، ثم عادت الزيارات المتباعدة حتى توفت إثر إصابتها، بعد أن شجت رأسها فى مشاجرة مع زوجها الجديد حين دفعها فاصطدمت فى عامود سرير حديد، مع أنهم زعموا أنها توفت بورم فى المخ، ولم يحدث تحقيق.

حين دخل علاء على الطبيبة للكشف لأول مرة بادرها بقوله:

"عندي خمس سنين، أنا عندي خمس سنين، عندي خمس سنين".
وحين سألته الطبيبة عن شكواه قال: مفيش حاجة تعبانى يا دكتورة".

بعد يومين من دخوله المستشفى كان قد نجح أن ينام ليلتين ببعض العقاقير النيورولبتات (meurolepties ليست منومة أساسا)، عاودت الطبيبة سؤاله، فأجاب بما يلي:

"مفيش حاجة تعبانى، ماشى ياعين أمك، أصل احنا كنا بنهزر شوية مع بعض أنا والدكتورة "س"، أصل أنا كنت بذاكر شوية فى الحمام، وقابلتى واحدة، وآدى كل اللي حصل، حينما احنا الاثنين، واتقفنا نتجوز أول ما نعيش - فيه واحد يبسجبنى ورايا كل يوم، باسمع أصوات بتقولى ووى ووى ووى، كان فيه واحد قاعد جنى بيأكلنى بس مش عارف جه منين، إنت بتحسى إنى أنا اللي لبستهولك؟ طب يالا قوم يا حبيبي، تعبت من أول امبارح، هش يا واد قوم من قدامى، إنت اللي بتعمل فى كده."

اعتاد الأطباء أن يقولوا إن مثل هذه الشكوى هي منتهى الخلط وهم يصفونها أحيانا بأنها "سلطة كلام"، وهذا صحيح، علاء لا يكاد يكمل جملة واحدة على بعضها، النقلات سريعة، والصور متلاحقة بدرجة تيرر مثل هذا الحكم المبدئي، سلطة كلام لكن من منطلق مسألة "أنا واحد ولا كتير"، تعالوا معنا (وأغلبنا ليسوا أطباء والحمد لله) نعدد كم واحد ظهر في هذه الأسطر

- (1) طفل عنده خمس سنوات (هذا ما قاله ابتداء)
- (2) واحدة قابلته فى الحمام
- (3) واحد يسجبنى ورايا كل يوم
- (4) أصحاب الأصوات التى تقول له ووى ووى ووى
- (5) واحد يجلس بجواره يؤكله وهو لا يعرف من أين أتى
- (6) واحد يجسسه أنه هو الذى لبسه لها (لبس ماذا ليس مهما)
- (7) واحد راح يهشه حين ظهر أمامه وهو ينهره "إنت بتعمل كده ليه". (؟)

إن إعلان ظهور الطفل الذى بداخله هكذا على سطح الوعي (أنا عندي 5 سنين) كان هو كل ما قاله فى أول مقابلة ابتداء دون سؤال،

ثم تظهر بقية الشخص مَسْقُطِينَ إلى الخارج وهو يستقبلهم "معا فى نفس الوقت" تقريبا.

كما نلاحظ أيضا أن هؤلاء الشخص الذين خرجوا من داخله (حسب "الفرض" الذى نعمل من خلاله) لا يتخذون نفس الموقف،

فواحد منهم يسحبه،

والآخر يقابله،

وواحد وراءه،

ثم واحدة قابلها فى الحمام،

وواحد يهشه وواحد ينهره.

لو ترجمنا كل هؤلاء إلى مجرد "أفكار خاطئة"، كما نفعل نحن الأطباء عادة، لضاع منا الخيط.

نستمع إلى جانب آخر من حكايته تحكيه أخته (20 سنة) المخطوبة:

"من 3 شهور علاء كان يحب بنت معاه في الشغل، هيه اللي كانت بتعمل حاجات عشان يجيها، هيه كبيرة عندها 26 سنة، وكانت قايلاله إنها من سنه، وكانت دايمًا تقعد تتكلم معاه وتاكل معاه،

وفي عيد الحب جابت له طقم هدوم، وهو كان ابتدى يتعلق بيها أوى وكان ابتدى يحكى لآخواته عنها، ولما سابت الشغل فجأة كان ده بداية تعب علاء، هيه كانت بتعامله كويس وبتعطف عليه زى أخواها الصغير بس هوه تقريبا أخدها حاجة تانية. ولما سابت الشغل جه يوميهما شكله حزين وبيعبط وأما تكلميه ما يردش عليكي، ويبص للحيطان زى ما يكون خايف أو مرعوب من حاجة....، وماكنش ينام ولا بالليل ولا بالنهار ويقوم الليل يصحينا يقولنا

قوموا اتكلموا أنا ربنا بيحبني، فيه حاجة بتجلى وأنا نايم بتخلينى أعمل الصبح، إنتوا مش تحسوا بيها،

ويقول لأخويا

أنت مش بتصلى ليه أنت مش بتحب ربنا،، ويقول:

إنتوا ليه كلكوا بتقولوا علىّ إني وحش وحرامى؟ أنا كويس، إنت أختى، أنا مش هأذيكى،"

لا ينبغى للناس أو الدراما أو حتى الأطباء أن يختزلوا كل هذا الموقف إلى حكاية "اللى حب ولا طالشى"، هذا التفكك هكذا لا يحدث إلا لمن قهياً له، هي مجرد قشة قصمت ظهره، فتراجع ضعيفا، مكشوفاً، عارياً، يستنجد بأى دعم، ويستند إلى كل داعم وهو يعلن براءته من ذنب لم يرتكبه، تطورت الحالة بسرعة مخيفة إلى درجة من التدهور جمعت بين النكوص والتصلب (الكاتاتون).

تكمل أخته:

من أسبوعين كلامه قل وساب الشغل ولما يروح يشتري حاجة يقف ساكت قدام الراجل، ينسى هو المفروض يقول إيه، وكل ما ياكل حاجة يرجعها، باطنه مش قابلة أى حاجة وبطل نوم ويبص للحيطان ويقول يا ماما، زى ما يكون يبشوف حاجات تخوفه، ولما نسأله يقول لنا "بس"، بصوت واطى زى ما يكون خايف حد يسمع، وفضل واقف على رجله يوم مجاله من 9 صباحا - 10 مساء جنب باب الشقة حتى عمل حمام بول وبراز في البنطلون، ويبقى واقف ساكت ما يتحركشى، وما يكلمش حد، وكل ما تحركه ونشده لجوه يزقنا ويرجع تانى لنفس المكان، وخرج بره البيت وقف جنب الجامع برضه بنفس الشكل بتاع ساعتين

هذه المظاهر تعلن ما وصلت إليه الحالة بهذه السرعة

المخيفة، وبرغم أنها مرحلة خطيرة فعلاً، فإن التعامل معها برفض، أو تجنب، أو حتى بشفقة ماسخة مفرطة، هو من أخطاء الخطأ. النكوص هنا تحظى مرحلة الطفولة إلى مرحلة التجمد كالمادة قبل الحياة،

هذا الشاب حين تفسخ بعيداً عن بعضه البعض بهذه السرعة، بهذه الجسامه، أصبحت كل حركة منه، من جسده، تهدده بالتلاشى.

الجمود هنا يوقف الحياة الفاعلة بقدر ما يوقف حركية التناثر، وكأنه دفاع ضد مزيد من التناثر (عكس ما يعتقد كثير من الأطباء ويعتبرونه هوة التدهور).

مفاجأة التحسن

برغم كل هذا التدهور، فقد تحسن الصبي بالعقاقير المهدئة الجسيمة وبعض جلسات تنظيم إيقاع الدماغ (ما كانت تسمى للأسف صدمات كهربائية) و تحت مظلة علاقة هادئة بناءة مع الطيبه و مجتمع المستشفى، تمت المقابلة مرة أخرى مع الأستاذ (الكاتب) بعد ذلك، وهى المقابلة التى نكتطف منها ما يلي:

- إزيك يا علاء
- الحمد لله ، قَرَبْتِ أخف
- أنا أحب الكلمة دى، "قَرَبْتِ"، أحسن من خَفَيْتِ
- متشكر يا د. يحيى
- إنت مش كنت نسييت إسمى فى أول المقابلة
- أنا آسف
- هوا اللى ينسى اسم حد، يبقى غلطان لدرجة إنه يعتذر
- يعنى

لا أحد يمكن أن يصدق أنه نفس الشخص الذى أوردنا مقتطفاً من شكواه فى البداية. أليس ذلك دليلاً على أن المرض إذا لحقناه باكراً، وأمكن التعامل معه بسرعة ضامة، يمكن تجميعه هكذا، ثم إن فرط التناثر حتى درجة التدهور (التي جعلته يصل إلى درجة ألا يتحكم فى إخراجِه)، ثبت أنه ليس علامة سيئة جداً كما تبدو لأول وهلة، وبالرغم من هشاشة تركيبه التي سمحت بهذا التناثر بمثل هذه السهولة، إلا أن التزامه السابق، وتماسكه فى عمله من سن مبكرة، ربما تكون من أهم العوامل التي أرجعته بسرعة إلى هذا التجمّع "فى واحد" من جديد

انتقلت نفس المقابلة بعد ذلك إلى تناول الحدث المرسب (حب زميلته) على الوجه التالى:

- إنت إيه علاقتك دلوقتى بالدكتورة نور (الطبيبة المقيمة المسؤولة عنه).
- دكتورة حلوة وطيبة
- ما تقولها كده يا أخى، ينوبك ثواب
- (ينظر إليها بود حقيقى، فيكمل الطبيب):
- يا لهوى على نظرتك دى، إنت ابن حلال.
- (يطأطئ علاء رأسه)
- ممكن يا علاء توصف لنا مشاعرك دلوقتى نحو الدكتورة نور

- ؟ (مكملاً) زى ما انت متأسف إنك نسيت إسمى، أنا متأسف
برضه إني بأسالك كده زى ما يكون تحقيق.
مشاعرى غوها كويسة
- يعنى إيه كويسة؟
 - باعزها زى اختي
 - يالله عزها قدامنا
 - إزاي يعنى؟
 - ما اعرفشى
 - (يطأطئ رأسه وهو يبتسم)
 - طيب نرجع لحكايتك من الأول، إنت فى الأول قلت كلام
مفكوك بشكل ! أقولها لك؟
 - قول
 - مثلا كنت بتقول "يسحبني ورايا"، يعنى إيه يسحبني
ورايا؟ إلیى يسحب يسحب قدام؟
 - مين هوا ده؟
 - أنا عارف؟ دا انت قلت برضه "الواحد إلیى قاعد جنبى
ياكلى"
 - مش فاكرك
 - بصراحة ، أول ما دخلت المستشفى ، كان فيه حاجات كتير
مع بعض، إنت جواك كله كان ملخبط على بعضه، أصوات على
تحركات على دربكة
 - مش فاكرك
 - أحسن، باقولك إيه يا واد يا علاء، عارف وصل بيبك الحال
خد إيه؟
 - خد إيه؟
 - بصراحة حاجة مش كويسة، بس لازم أشاور لك عليها عشان
تعرف كان فيه إيه
 -
 - إنت وصلت لدرجة ما كنتش بتتحكم فى البول والحاجات
التانية
 - لا
 - حد ينسى حاجة زى كده يا شيخ؟
 - طيب نرجع للدكتورة نور (....) كان انتباهه بدأ
يضعف عندما حاولنا تذكرته بما كان) ، ضخص شوية زى
أول ما دخلت علينا النهارده يا علاء
 - ما انا مصصح
 - لا إنت غطت ساعة ما جينا سرة الفرشة، طيب هى
الدكتورة نور بتحبك، ولا إيه؟
 - أيوه بتحبني، زى اخوها
 - حد قالك زى مين، هوّه انت مش خايف إنها تحبك، وبعدين
فجأة تسببك؟ تنساق؟
 - مش عارف
 - إنت فاكرك زميلتك فى الشغل إلیى كانت بتحبك
 - أيوه
 - مش هى برضه كانت بتحبك زى اخوها
 - لأ، دى ما كانتش بتحبني زى اخوها، دى كانت بتحبني

- حب حقيقي، كانت بتجبنى وتعطف علىّ.
- هي اسمها إيه؟
 - مش فاكر
 - ولاّ خايف تفتكر اسمها؟
 - لا، أنا نسيتها خالص
 - يا شيخ !! نسيت اسمها ونسيتها كمان؟ بقى بعد العشرة واللى كان، تنسى بالبساطة دى
 - (د. نور) - أول حرف فى اسمها "هـ"
 - مش فاكر
 - اشتغلت معها قد إيه؟
 - شهر شهرين ، مش فاكر
 - شهرين وتنسى اسمها يا مؤمن، هي عندها كام سنة
 - عشرين
 - إنت عارف عندك كام سنة ؟
 - خمسناشر
 - بس هي كان عندها ستة وعشرين سنة
 - لأه
 - إنت كنت عايزتتجوزها ؟
 - هي كانت خطوبة
 - إيش عرفك
 - خطيبها كان ببيجي ياخدها من الشغل
 - شفت خطيبها؟
 - أيوه
 - أسمر ولا ابيض
 - أبيضانى
 - وشعره ؟
 - أسود
 - كان مسبسه ؟
 - مش عارف (يتراجع إنتباهه أكثر)
 - إنت رحت فىن يا علاء؟ عايزتنام ولاّ إيه؟
 - لأه
 - عايزتمشى؟ كفاية كده؟
 - لأه
 - عايز تقعد معايا ليه؟
 - مش عارف؟
 - إنت بتجبنى؟
 - أيوه
 - طب وانا؟ يا حَبِّك؟
 - حضرتك بتعزنى
 - إيش عرفك؟
 - أكيد بتعزنى.
 - تعقيب أخير:

أولاً: الفرق ظاهر بين فرط التناثر في البداية، ودرجة التماسك في المقابلة.

ثانياً: بالإضافة إلى الاستعداد الوراثى (الاستعداد

للتناثر أساساً بدليل تاريخ الأسرة) فإن هذا الصبي لم تصله رسائل ضامة من والديه، أعنى رسائل تكفى لضمه إلى بعضه في "واحد صحيح"، واحد قادر على استيعاب "الكثير" الذين بداخله على مسار النمو.

والده مهزوز مهزوم، شك في زوجته القوية الذاتية (التي ليست لها إلا ذاتها)، ليتبين بعد ذلك أن شكه كان له مايرره (فقد تزوجت الذي كان يشك فيه)،

الأم بعيدة عن أولادها، جافة المشاعر، على النقيض من فرط اندفاعها لنفسها ورغباتها لذاتها.

ثالثاً: حاول الصبي أن يعوض غياب أمه الواقعي، وغياب أبيه الفعلي (برغم تواجده الشكلي) بأى تعويض مدرسي أو علاقتي، فلم ينجح في المدرسة، وتنقل سريعاً بين أعمال متعددة، كانت تجمعه إلى نفسه، بقدر ما ترحمه من فرص الطلاقة الطفولية، والخرقية والمبادأة على مسار النمو.

رابعاً: وجد علاء في زميلته التي تكرهه بتسع سنوات ما يشبع جوعه بشكل ما. لعلها لم تقصد إيذاءه واعية، لعلها وجدت في احتياجه الشديد لها، ما كانت هي بدورها محتاجة له سواء أمام نفسها، أو لافتقارها مثل ذلك من خطيبها (ربما) أو أنها كانت تستطيبة، فالتقطت طفولته الجائعة، وراحت تلعب معه للتسلية، دون استبعاد جرعة من حنان صادق.

تأكيد علاء على التفرقة بين "حبها الحقيقي"، وحب الدكتورة نورله "زى اخوها"، يشير إلى أن الذي تحرك فيه لم يكن الحاجة إلى أم خالصة (اللهم إلا إذا تبيننا وجهة نظر فرويدية، باعتبار خطيبها هو الأب المنافس، بشكل ما).

ومهما التمسنا العذر لزميلته تلك فقد ترتب على عواطفها ما لم يكن في حسيانها. يقول المثل الصيني: **تقذف الأطفال الضفادع بالحجارة وهم يلعبون، لكن الضفادع تموت جدا لا هزلاً.**

الخلاصة

إن ما يجمعُ الكثيرين (الكثير) داخلنا هو **تماسك ما هو خارجنا** وانتظام إيقاعه وسلامة رسائله، "**خارجنا هذا**" يبدأ بالأسرة بالأم والأب،

علاء هنا لم يصله طفلاً إلا فراغ الأب، ودوران الأم حول نفسها لنفسها في المحل،

كيف إذن يمكن أن تتناغم مستويات وعى علاء (شخصه) على درب النمو.

إن ذلك النشاز من حولنا لا يسمح لأى منا أن يؤلف لحنه الخاص المناسب إلى اللحن الأكبر يتناغم مع الوجود البسيط الحقيقي.

إن التغطية الخارجية للهشاشة المتراكمة، بالضغط والربط والعمل والإنجاز فقط، قد تؤجل التناثر، ولكنها قد تخمد الحركية الداخلية حتى يتوقف النمو برغم ظاهر السلامة.

إن مثل هذا الجنون الذي يشتهر باسم "الفصام" إنما يعلن خيبتنا في استيعاب "الكثير فينا"،

كما أن التغطية بأثقال الكبت والدفاعات طول الوقت إنما تعلن خيبتنا في استيعاب الحركة داخلنا.

لا مفر من اتاحة الفرصة للحركة المتنامية بين الداخل والخارج طول الوقت على كل المستويات الممتدة.

وإلى حديث لاحق - ربما عن نفس الحالة - أرجو أن يكون غداً.

الإثنيون 26-11-2007

87- عن الفطرة (3)

عن القشرة والفطرة والتعدد والواحدة!

أثارت يومية أمس تساؤلات واحتجاجات كثيرة، لغموض فكرة التعدد في واحد، وعلاقة ذلك بالقشرة والفطرة، التي ذكرناها في حالة عصام يومية 4-11-2007، ثم علاقة هذا وذاك بجركية النمو، وهذا الغموض هو بعض ما أعلنت تخوفي منه أمس.

وجدت اليوم أنه من المناسب أن أقوم بتحديث بعض أول مقال (رقم 1) في سلسلة مقالات الصحيفة السرية التي كانت بعنوان "أنا واحد ولا كثير"، وهو المقال الذي يوضح أساس هذا المفهوم (التعددية والواحدة) ثم أقوم بربط محدود لفكرة "القشرة" و"الفطرة" مع "حركية النمو" و"تعدد الذوات".

نبدأ أولاً بما انتهينا إليه في الحالتين عصام ثم علاء.

أولاً: الفرض: في حالة عصام

الفرض الذي أنهينا به عرض حالة عصام كان كالتالي:

شاب (23 سنة) نشأ في أسرة مزدحمة شكلاً، مفرغة موضوعاً، تفتقد إلى أي دفاء حقيقي يضم أفرادها إلى بعضهم البعض، لا يوجد بها تاريخ عائلي إيجابي لمرض نفسي أو عقلي خطير، الوالد حاضر حضوراً جافاً ملتويًا، يعلم الأقرب إليه من الأولاد التجسس على الباقيين، "عصام" ثم لاحقاً "أخته الأصغر".

الأم ضعيفة سلبية متنجية مفهورة، جافة "متلصمة".

عصام -مثل أي واحد- له داخل طبيعي سليم هو الفطرة (كما خلقنا الله) لكن أحداً لم يتعهدها، لا الأهل ولا المجتمع، هذه الفطرة تغطت بقشرة تربية لامة، لكنها -الفطرة- ظلت تتعامل من وراء القشرة مع ما يصلها من برجة بطريقتها البسيطة الصحيحة.

القشرة تنجح وتتم صفقاتها مع الوالد والفطرة "تعرف" وتدرك، وتتعامل مع المعلومات باستيعاب سليم

تصادم الفطرة مع القشرة في مرحلة باكرة (الابتدائية)

يظهر الصداق، ثم يختفى ربما بالبعد بينهما (بين القشرة والفطرة) مع استمرار نشاط كل منهما.

تستمر القشرة في النجاح الظاهر، والصفقات الداعمة الخبيثة (بين الابن و الأب: التمييز والتجسس) وتستمر الفطرة في النشاط والتماسك والمعرفة السليمة والادراك الداخلى.

تنجح الفطرة حتى في برجة المعلومات والإسهام في أداء الامتحانات، فيفسرها الابن حامداً فضل الله، لكن يبدو أن الداخل تجاوز هذا المستوى سراً، وفي نفس الوقت أجل إعلانه.

حادث دال خطير (صفعة مهينة من شخص عزيز أمام غرباء) يحدث بالصدفة يهز هذه التركيبة برمته،

يفسد الصفقة الخبيثة الجارية،
فتختل صورة الأب ليظهر على حقيقته بلا رجعه
فتفسد الصفقة،

فيحدث التباعد بين الإبن والأب (الزعل: سنة) دون ظهور الأعراض بعد،

يجنب الابن أباه، لكن الكسرة قد حدثت في الداخل، فطالت الفطرة التي انفصلت، وارتدت، وانطلقت لحسابها البدائي مخترقه القشرة المنفصلة..

الفطرة وحدها لا يمكن أن تواصل إنجازاً واقعياً ظاهراً إلا إذا تكاملت مع أجهزة الأداء السلوكي (القشرة المتصلة).

لكن الرسالة تصل أن القوة الفطرية الداخلية قد انطلقت من بين شقوق الكسرة (المنفصلة)

تتعلمق قوة الدفع ولا تتوقف عند حد استعادة تلقائية الفطرة وأحقيتها، بل تتفاقم حتى تنقلب الفطرة إلى تسليم قدرى أعمى،

ومن ثم تفقد الذات أبعادها،

يتضاعف التمدادى في الانفصال وتتجلى سلبية مطلقة لقوى لم تعد هى القوى الضامة المساعدة، ولكنها أصبحت قوى شكلية هابطة من المجهول، وإن لم تفقد في شكلها الظاهري معالم الوصلة وتظل في نفس الوقت تتعامل بنفس الألفاظ "الأذان، واللغة الدينية المسطحة"

تشوهت الفطرة على أنقاض القشرة وظهر الفصام.

ثانياً: خلاصة حالة علاء

جاءت خلاصة حالة علاء أمس هكذا:

إن ما يَجْمَعُ الكثيرين (الكثير) داخلنا هو تماسك ما هو خارجنا وانتظام إيقاعه وسلامه رسائله، "خارجنا"

هذا ما ينبغي أن يبدأ بالأسرة: بالأم والأب،
علاء هنا لم يصله طفلاً إلا فراغ الأب، ودوران الأم حول
نفسها لنفسها في المحل،

كيف إذن يمكن أن تتناغم مستويات وعى علاء (شخصه) على
درب النمو.

إن ذلك النشاز من حولنا لا يسمح لأى منا أن يؤلف لحنه
الخاص المناسب إلى اللحن الأكبر يتناغم مع الوجود البسيط
الحقيقى.

إن التغطية الخارجية لهشاشة المتراكمة، بالضبط
والربط والعمل والإنجاز فقط، قد تؤجل التناثر، ولكنها قد
تحمّد الحركية الداخلية حتى يتوقف النمو برغم ظاهر السلامة.

إن مثل هذا الجنون الذى يشتهر باسم "الفصام" إنما يعلن
خيبتنا في استيعاب "الكثير فينا"،

كما أن التغطية بأثقال الكبت والدفاعات طول الوقت
إنما تعلن خيبتنا في استيعاب الحركة داخلنا.

لا مفر من اتاحة الفرصة للحركة المتنامية بين الداخل
والخارج طول الوقت على كل المستويات الممتدة.

قبل الحديث عن ماهية الفصام

ونحن على وشك تقديم نظرى عن ماهية الفصام الذى تتفكك
فيه كل الروابط، ويتعدد التوجه، كما يتشتت أو ينعكس
مسار النمو، وجدنا أنه من الأنسب أن نتعرف على أصل فكرة
الوحدة والتعدد في الكيان البشرى، والتي هى تختلف عن
الشائع عن مفهوم "الشعور والاشعور" و "الهو والأنأ" ...
إلخ.

وفيما يلى مقتطف من أول حلقة في هذه السلسلة (أنا
واحد ولأ كثير) لشرح الفكرة:

الوحدة والتعدد في الكيان البشرى

.. أنا واحد؟ ولأ "كثير"؟!؟

أغلب النظريات القائمة، حتى نظرية التحليل النفسى
الفرويدى، تتعامل مع الإنسان باعتباره وحدة متكاملة
قائمة لها معالم وحدود، قد يكتفى اتجاه علم النفس السلوكى
بظواهر التصرف المعلن، بل ويرفض ما دون ذلك بحسم مستول،
وقد تمتد الرؤىة إلى اعتبار أن الظاهر ليس إلا الشعور
(الأنأ) الذى يحمل بداخله ما سمي الاشعور، بتقسيماته
وغرائزه ومكبوت أحداثه إلخ، وأن الأخير (الاشعور) يعبر عن
نفسه من خلال ميكانزمات تتجلى في الشعور بطريقة ملتوية.

لكن نظريات أخرى انتبهت إلى أن ما بالداخل ليس مجرد
قوى خفية، وغرائز متحفزة، وذكريات ونوازع مكبوتة، بل هى

محمود تفسيراً لبعض جوانب حالته، ومن ضمنها احتمال التعدد العشوائي (والمتنافر أحياناً)، فراح في هذا المقطع من المقابلة يذكره بذلك، وسوف يشار إليه بـ",,,,," تجنباً لتكرار الاسم):

الدكتور "،،،":

إنت عملت حاجة يا محمود تشككى في الست شهور اللى فاتت، رغم الحمد لله استمرار التحسن الظاهرى، زى ما تكون لغيت حاجة حصلت، وبإصرار

محمود

دى أفكار غلط

الدكتور "،،،":

إيه هيّه إلى غلط؟

محمود

أنا مش شايف غير محمود واحد، محمود إلى مش

عايز يروح الشغل، محمود المريض، محمود التعبان.

الدكتور "،،،":

يا محمود أنا مش جى من بيتنا عشان أسمع لك نظرية حافظها، دا كلام حاصل قصاد عيننا، مش فاكرك؟ كان فيه حاجات تانية أثناء التمثيل، إنت شفتها بنفسك فينا وف نفسك ، واحنا بنتخانق مع بعضينا، مع نفسنا، واحنا بنلعب الألعاب (أنظر بعد) ، حد يشوف ده كله ، وبعد خمس شهور ، يروح شاطب عليه مرة واحدة؟ وقايل أنا واحد وخلص؟

محمود

لأ مش عملية واحد، أنا فعلا واحد

الدكتور "،،،":

طيب واللى ظهروا قبل كده في الجروب (المجموعة) ؟ سزبتهم؟

محمود

أنا مقتنع إن محمود ده محمود واحد

الدكتور "،،،":

هوا أنا رفضته؟ بس اللى انت شفته جنب ده راح فين؟

محمود

دى كانت أفكار بس

الدكتور "،،،":

يعنى ، ما احنا ساعات بنعامل الأفكار كإنها أشخاص، مش كده؟

محمود:

لا ما ينفعى

الدكتور "،،،،":

ما هي نفعتي، ياللا نرجع ناخذ الفكرة ونعملها شخص ونشوف: محمود إالى عايز يروح الشغل، ومحمود اللى مش عايز يروح الشغل، نرجع تاني للتمثيل، أنا معاك وزيك..

محمود:

حضرتك أستاذ الطب النفسى، وأدرى منى..

الدكتور "،،،،":

مش مسألة استاذ، إحنا بنلعب، واللى يسرى عليك يسرى على، لو قلت لى طلع يجيى اللى عايز يروح الجروب ويجيى إالى مش عاوز يجيى الجروب، وبيقول ما فيش فائدة، حاحاول مجد..

محمود:

يعنى أنا كام محمود؟ عشرين محمود يعنى ؟

الدكتور "،،،،":

نبتدى بتلاتة يا شيخ، باسمالله

محمود:

لا ألفين أحسن

الدكتور "،،،،":

يا راجل بلاش هرب، ماتصعبهاش وتتريق، النظريات بتقول تلاتة أربعة، إنما إحنا شفنا كثير من واقع إالى إحنا عشناه سوا

محمود:

خليهم خمسة

الدكتور "،،،،":

يا صلاة النبى، إيه الكرم ده؟ طب يالله عدهم

محمود:

فيه محمود إالى عايز يبقى كويس، ومحمود العيان نفسيا، والوسخ، والسليم، والكانن.

الدكتور "،،،،":

كتر خيرك، إوعى تخاف أو ترجع، طيب إيه رأيك نشوف بقية زملاءنا فى المجموعة بتشوف الخمسة دول، ولا أكثر؟ ولا أقل؟ كل واحد يقول هو بيستقبل مين فى محمود؟ أهو محمود؟

(يعرض على أفراد المجموعة أن يقول كل واحد أنا شايف محمود الـ"كذا".

آنسة (م) 24 سنة : مش فاكرة

سيده (ص) 45 سنة : محمود الضعيف

شاب (ح) 25 سنة : محمود الطيب

شاب (ن) 28 سنة : محمود إالى بيأسل على طول

شاب (ع) 22 سنة : محمود اللى مش منتظم فى الجروب

رجل (س) 36 سنة : محمود المغرور

حمود (مقاطعا) ممكن أقول للأنسة (م) (الأولى 24) تقول
إيه ما دام هيه "مش فاكرة".

الدكتور ",,,":
طبعاً ممكن

حمود

حمود إالى ما عندوش إقبال على الحياة

الدكتور ",,,":

شفت ابتديت بجمسة، وزودت السادس على لسان زميلتك، بقوا
كلهم حداشر، وكنت ناكر ده كله، كنت حاتوديهم فين؟

حمود

كفاية كده يا دكتور؟

الدكتور ",,,":

ليه بقى؟ المهم الحكاية طلعت أفكار وصفات، ولأ بنى آدمين
همه انت؟

حمود

هم قالوا حمودات

الدكتور ",,,":

مش مهم هم قالوا إيه، إيه اللى وصلك إنت؟

حمود

أنا عايز أبقى حمود واحد

الدكتور ",,,":

طبعاً، حد قال حاجة، إالى عايزه شيء، واللى موجود
شيء، عندك حق، ما انا برضه عايز أبقى يجيى واحد فى لحظة
معينة، إمال حاعاللك إزاي، أو حانتفاهم إزاي؟

حمود:

أصل يا دكتور..، أنا حافضل كده

الدكتور ",,,":

ماشى بس نقبل الموجود، ونشوف حانتصرف إزاي. فى لحظة
معينة لازم تبقى واحد، وأنا أبقى واحد، لكن حقيقة الأمر
كل واحد منا الظاهر إنه كثير، يبقى علينا نتحمل
مسئولييه ده، مش كده ولا إيه؟

عبد الغنى (مريض 24 سنة)

على فكرة، أنا برضه بيحصل لى نفس الموضوع، فى لحظة أبقى
كويس وفى لحظة أتغير

الدكتور ",,,":

إنت يا عبد الغنى بتتكلم عن صفات، عن تغير فى الشكل،
فى التصرف، فى الشعور، إحنا دلوقت عايشين "أشخاص" كثير،
أشخاص بحق وحقيق

عبد الغنى

يمكن، مش عارف، يجوز

الدكتور "،،،،":

جرب كده يمكن يطلعوا أكثر من عبد الغنى

عبد الغنى

ممكن

الدكتور "،،،،"

بس من حقك زى محمود وزى تبقى عبد الغنى واحد فى لحظة بذاتها حسب الظروف، معاك حق، وإلا حانعش ازاي لو متفركشين كده على طول؟

الملاحظات

والآن دعونا نلاحظ معا ما يلى

1- إنه فى خلال أقل من نصف ساعة، استطاع التفاعل فى المجموعة أن يتحسس الطريق إلى كشف احتمال التعدد من واقع المعيشة، وليس من باب التنظير والتلقين، إن المسألة ليست إجماع كما تبدو لأول وهلة، فلو لم تكن المجموعة العلاجية قد حركت هذه الشخص داخل أفرادها، لبدت الصعوبة أكبر بكثير لمقاومة قبول هذا الوعى والتحرك.

2- إن إنكار محمود الفجائى لهذه الفكرة بعدما حدث خلال أكثر من خمس شهور، هو فى حقيقة الأمر بمثابة إعلان أنها وصلته، ليست كفكرة تقبل أو ترفض، وإنما كمعاشية حركة كيانات حقيقية (بيولوجية حسب فكر الكاتب)، أراد بهذا الإنكار أن يلغيها (أو يتنكر لها) مقاوماً لجديّة حضورها.

3- إن هذه المقاومة لم تكن بالقوة التى تمنع ظهور حقيقة ما وراءها، بل لقد بدا من الحوار والتفاعل أنها كانت السبيل إلى كشف التغير الحقيقى الذى كان، والذى ثبت من التفاعل معه أنه ليس مرفوضاً تماماً من محمود، ولا هو مرعب يستأهل كل هذه المقاومة، وكأن المقاومة خطوة نحو مزيد من دعم هذه الحقيقة الجديدة معيشة، فقبولاً، فتمتلاً، ما أمكن ذلك.

4- إن قبول التعدد ليس استبطاناً ذاتياً يقوم به الشخص نفسه بالنظر فى نفسه، بغض النظر عما يراه الآخرون، بل إن استقبال باقى المجموعة لفكرة التعدد كان مفيداً فى دعم التحريك فالقبول، ليس فقط لحالة محمود لكن للباقيين كذلك، فالتعدد موجود حتى لو أنكره صاحبه، جزئياً، أو مرحلياً، أو تماماً.

5- إن مثل هذا التفكيك ليس هدفاً فى ذاته، ولا ينبغى أن يكون كذلك، فالموقف العلاجى يختلف عن المواقف فى الحياة العامة. ما لم يكن التفكيك خطوة مسئولة نحو التكامل، فالمسألة تبدو لعبة خطيرة (مع أنها تحدث فى الحلم بنفس الصورة)

الخوف من الفكرة ومقاومتها

من حيث المبدأ أغلبنا لا يقبل فكرة تعدد الذوات إلا كظاهرة مرضية تستأهل الشجب أو السخرية أو الخذر. إن ما ندعو له هنا حتى نفهم مفهوم التعدد بشقيه المرضى والنمائي، هو أن نضع هذا الاحتمال الجديد (الذي هو أقدم كل الاحتمالات) احتمال "تعدد الذوات في الكيان الواحد" على أنه أمر طبيعي من حيث المبدأ، أما كيفية تجلي هذه الذوات في الحياة العادية (في التعامل، والحلم والإبداع والأساطير) فهو أمر يحتاج إلى تناول الشروط التي تجعل قبول هذه الفكرة وتطبيقها مأموناً.

تمهيد للحديث عن الفصام

والآن، وتمهيداً للحديث عن الفصام بوجه خاص، دعونا نتساءل:

- 1) ما هي علاقة التعدد بالشعور واللاشعور، ومقولات فرويد عن "تشریح الشخصية" ؟
- 2) كيف يتداخل التعدد مع حركية النمو ؟
- 3) ما علاقة التعدد بمفهوم القشرة في مقابل الفطرة ؟
- 4) وهل يمكن أن نقرأ حالة عصام بلغة حالة علاء، وحالة علاء بلغة حالة عصام ؟
- 5) وأين الفصام في كل هذا؟

لا يمكن الرد على أي من ذلك حالاً، فهي قضيتنا الممتدة طول الوقت، وربما مدى الحياة)، فنكتفي الآن بأن نقول:

• الفطرة -كما سبق أن ذكرنا- ليست كياناً، أو صفة (أو مكاناً)، ونستطيع أن نحددنا الآن في ألفاظ أدق قائلين: الفطرة هي تفعيل قوانين حركية الوجود،

• وبالتالي تصبح القشرة الساكنة الجائمة المنفصلة المستبعدة لهذا القانون والممانعة للحركة، هي الغطاء الخارجي للذات

• إلا أن نفس هذه القشرة إذا كانت مرنة ومسامية ومتغيرة فإنها تصبح جزءاً لا يتجزأ من الفطرة، بل ومكتملة لها (فهى أحد أوجه نفس القانون تكمل حركيته وتدعم نظامه).

فأين تقع الذوات المتعددة من هذا وذاك؟

- حركية الوجود: (قانون الحياة)، لا تتم في فراغ
- هي تجرى بإيقاع تناوبى تكاملى جدلى ينظم ويوجه منظومات الوجود البشرى المتعددة (في واحد)
- ممتداً إلى منظومات الوجود الكونى المتصاعدة.
- وبالتالي يصبح تعدد الذوات ليس مجرد حضور متبادل، أو

متناوب، أو متنافس، أو متصارع، أو حتى متعاون، وإنما هو وحدات عمالة الحركية الإيقاعية المتمادية لغايتها بإيقاعها الحيوى طول الوقت.

▪ إذا ما طغى الكيان الظاهر (في اليقظة عادة، فهو لا يستطيع أن يظل طاغيا أثناء النوم) على كل تعدد مستويات الوجود، كبتاً، أو محواً، أو إزاحة، أو كل ذلك وغيره، فهو هو القشرة بشكل أو بآخر.

▪ يتم التناوب بين الكيانات فسيولوجيا (في النوم والحلم) وهو أمر من المستحيل إيقافه، ومع ذلك فنتائجه، لو لم تستوعب الجدل النمائي، ليست عادة إيجابية.

▪ إن الوعى النفسى بتفعيل قوانين حركية الوجود بقانونها الحيوى والاستعداد لتلقيها، فالإسهام في حفزها إلى ما تعد به، هو الإبداع في مختلف تجلياته، بما في ذلك إبداع الذات على مسار النمو.

▪ إن انفصال القشرة بعيدا عن حركية قوانين الوجود لدرجة إخفائها، ومحو آثارها (حتى الفسيولوجية) أولا بأول هو الذى يجعل القشرة تبدو نقبض الفطرة وكأنها حلت محلها تماما.

▪ إن شرح القشرة المنفصلة، أو تشققها أو انهيارها، هو الذى يطلق الذوات المتعددة بشكل عشوائى، مع غلبة التوجه الناكس، ومن ثمّ الفصام .
المنطلقات الأساسية لفهم الفصام :

فيما يلي نقدم بعض الافتراضات الأساسية التى تمهد لما سيأتى حين نتناول الفصام:

أولاً: الإقرار بالقانون الأسمى للوجود البشرى تاريخيا وحاضرا بكل مفرداته القادرة على النمو والتطور بقوانينها الطبيعية.

ثانياً: الإقرار بأن هذه المفردات هي "ذوات متعددة"، مرتبة هيراركيًا (وعرضيًا)، وأن الذى يمنعها من التصادم الحاد حتى الإعاقة، أو التشتت حتى الشلل، هو تفعيل قوانين حركية النمو (الفطرة) .

ثالثاً: إن حركية تنظيم، وإعادة تنظيم الذوات، إيقاعا وتبادلا وتشكيلا وجدلا، هي القادرة على استيعاب هذا التعدد في واحدية قادرة في لحظة بذاتها على تسيير الحياة والاستجابة للمتطلبات الموقفية الممتدة إلى غاياتها.

رابعاً: إن الفصام هو فشل كل ، أو أغلب، ذلك .

خامساً: إن الأمراض الأخرى هي مراحل متوسطة - مرضية - للحيلولة المؤقتة أو الدائمة دون ذلك

.....

وإلى أن يجين شرح ذلك، نأمل أن نتحمل المغامرة بالوعي -
نسبياً وتدرجياً- بما هو نحن:

فروضاً محتملة.

- برجاء الرجوع إلى حالة عصام أولاً لمن لم يقرأها أو
نسيها، مع أن المقال يمكن أن يقرأ مستقلاً

- أيضاً ننصح بقراءة حالة علاء أولاً:

- فاروق من الميلاد إلى الرحيل، د.لطيفة محمد سالم، دار
الشروق 2005، 850 صفحة.

- فاروق الأول وعرش مصر: بزوغ واعد .. وأفول حزين
(1920 - 1965)، دار الشروق، 2007، 260 صفحة

الثلاثاء 27-11-2007

88- سيمفونية المعرفة الكونية بآلات عزف متكاملة (تسابيح)

مقتطف وموقف: سيمفونية المعرفة الكونية بآلات عزف متكاملة (تسابيح)

التصوف الشرقي والفيزياء الحديثة

ابتداء: ليكن في علمكم أنى ضد التفسير العلمي للنصوص المقدسة مائة في المائة

موقفٌ قبل المقتطف

لو أنك سألت شابا مصريا، عمره 21 سنة، طيبا مسلما، متفوقا، متدينا، والده مهندس مدني، ووالدته اخصائية اجتماعية، وأخته مسافرة مع زوجها المدرس في دبي، وهو غير متعصب، ويؤدي عباداته بالتزام سلس، ويمارس ما يمارسه الشبان في السر أحيانا، ويستغفر، ويذهب إلى صالة كمال الأجسام أحيانا أخرى، لكنه لا ينتظم في ذلك لأن عضلاته لا تنمو كما يرجو، ولا كما يعده صاحب الصالة،

لو أنك سألته عما يعرفه عن الهندوسية، أو البوذية

يَمْ سيجيبك؟ (خاصة حكاية عبادة البقر والتمثيل!!!)

ولو أنت سألته عن البهائية،

يَمْ سيجيبك؟

ولو أنك سألته عن عذاب القبر،

يَمْ سيجيبك؟

ولو أنك سألته عن الشركات العابرة للقارات وعلاقتها بالرأسمالية المتوحشة بحرب العراق،

يَمْ سيجيبك؟

ولو أنك سألته عن رأيه أين ستذهب طنط تريزا (عمرها 65) سنة، أم صديقه رياض فهمي رياض، سألته أين ستذهب بعد موتها؟ للجنة أم للنار؟ وهل هو أبلغها هو شخصيا ما يمكن أن يجعلها تذهب للجنة، ولماذا لم يبلغها؟

يَمْ سيجيبك؟

ولو أنك سألت فتاة مسيحية طيبة عمرها 19 سنة، متدينة، وليست متعصبة، "تناول" كل أسبوعين أو ثلاثة،

"وتعترف" كل شهرين أو أكثر، ولا تضع مساحيق فجة، وتشاهد "روتانا زمان" مع أمها، كما تشاهد "ميلودي هتس" وحدها، وتتنقن حشو "الكوسة" دون أن تتقطع منها أية واحدة، وتسرح أحياناً فيما لا نعرف، لو أنك سألت هذه البنت التي جمالها فوق المتوسط قليلاً، سألتها نفس الأسئلة، التي سألتها للشباب المسلم الطيب، مع التحويلات اللازمة للضمانر، وتبادل مواضع الأديان في الأسئلة،

يَم ستجيبك؟

ولو أنك عدت فسألت نفسك - بعد إذنك - نفس الأسئلة، ولم تسارع باستعمال الألفاظ - التي تعرف أنها انتهى عمرها الافتراضي من فرط سوء الاستعمال في اللقاءات العامة بين رؤساء الأديان - لأنك غير مقتنع بعمق صدقهم، ولذلك تأتي أن تكررهما مثلما يفعلون، أو على الأقل: لأنك لو قلتها مثلهم، وكنت يقظاً بما فيه الكفاية، فقد تنتبه إلى عجزك عن أن تتحمل مسئوليتها، بحق.

يَم ستجيب نفسك؟

(لقد نسيته، تجيب نفسك على ماذا؟ ولماذا تسمع كلامي وتساءل نفسك أصلاً؟)

دع إجاباتك الظاهرة والخفية جانباً، وتعالى إلى منطقة أسلم:

لو أنك توجهت إلى الله سبحانه وتعالى تسأله الرحمة والمغفرة عن كل ما اقترفت من أكاذيب الآن، وأنت تجيب، وأنت تمتنع عن الإجابة، سواء لم تجب أو أجبت على نفسك، أو على من سألك، أو سألته، من دينك أو من غير دينك، نفس الأسئلة أو ما شابهها،

يَم سيجيبك الله سبحانه وتعالى؟

الإجابة التي حضرتني، توجُّهاً إلى وجهه ابتغاء مرضاته تقول:

إنه - سبحانه وتعالى - سوف يرمحك بقدر ما اجتهدت صادقاً في الإجابة.

أما إذا كنت قد استندت في إجاباتك لغير صدقك شخصياً، ولغير عقلك الأخضر الرائع،
..فهو قد يرمحك أيضاً،

لأن الله سبحانه يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به.

ما علاقة كل هذا بالعنوان؟

المساحة التي تتيحها لنا اتساع مجالات المعرفة، وتعدد قنواتها، تجعلنا نحسن القراءة لوجودنا بأكثر من لغة، تتصفر

جميعها لتتعرف على أنفسنا نغما بشريا عازفا في سيمفونية الكون الممتدة إلى وجه الحق تعالى.

في كتاب حديث نسبيا، أشرت إليه في يومية سابقة، يربط المؤلف بين التصوف الشرقي، (الشرق الأقصى بالذات) وبين الفيزياء الحديثة، تعلمت ما لم أكن أعلم عن الهندوسية والتاوية

ومن كتاب "الموت والوجود" ، تعلمت أيضا عن الهندوسية وغيرها

ومن كتاب "الشرق الفنان" لخت معالم خافتة عن كل هذا الشرق الأقصى.

ومن كتاب "تاريخ التصوف الإسلامي" تعلمت الوصلة بين التصوف عند غير المسلمين خاصة في جنوب شرقي آسيا وبين رؤية العارفين بالله من المسلمين.

والآن

سوف أورد المقتطفات بأقل قدر من التعليق حيث أنصو أن الموقف المسبق الذي بدأت به اليومية يمكن أن يكون كافيا.

أولاً : مقتطفات متعددة: من كتاب التصوف الشرقي والفيزياء الحديثة

(1) ص 170

"... حيث لا يوجد أي تمييز بين العقل والجسد، بين الذات والموضوع.. نتطلع حوالينا وندرك أن كل جسم مرتبط بكل جسم آخر ليس فقط مكانياً، بل زمنياً. كحقيقة من حقائق الخبرة الخاصة، لا يوجد مكان بدون زمن، ولا زمن بدون مكان، إضهما متنافذان".

(ثم:) (2) ص 171

"... برأيي، إن الحدس الزمني للتصوف الشرقي هو أحد الأسباب الرئيسة في أن رؤاه للطبيعة تبدو مطابقة، بشكل عام، للرؤى العلمية الحديثة على نحو أفضل بكثير من مطابقتها لرؤى معظم الفلاسفة اليونانيين. كانت الفلسفة الطبيعية اليونانية، في مجملها، سكونية في الجوهر وتقوم إلى حد كبير على الاعتبارات الهندسية، فقد كانت، إذا جاز القول، "لائسبوتية" إلى درجة قصوى، وتأثيرها القوي على الفكر الغربي، قد يكون أحد الأسباب في أننا نعاني مثل هذه الصعوبات المفاهيمية الكبيرة مع النماذج اللئسبوتية في الفيزياء الحديثة. أما الفلاسفة الشرقية، من الناحية الأخرى، فهي فلسفات "زمكانية"، ولهذا فإن حدسها غالباً ما يقترّب اقتراباً شديداً من رؤى الطبيعة التي تقتضيها نظرياتنا اللئسبوتية الحديثة".

الموقف

يبدو أن الإعاقة الاختزالية التي تُعزى إلى المنطق الأرسطي، وإلى الختمية السببية الخطية، ترتبط بشكل مباشر بسكونية الجوهر واللاإنشؤنية التي يحاولون تجاوزها الآن،

في حين أننا نبدأ في تقديسها بعد انتهاء عمرها الافتراضي عندهم!!.

(3) ص 244

".... المثال الجميل لصورة الإيقاع والرقص هذه إنما تقدمه الكساندرا....، حيث تصف كيف قابلت لاما يصف نفسه بأنه "معلم الصوت" وأعطاهما التفسير التالى لرؤيته للمادة":

...."كل الأشياء هي مجاميع الذرات ترقص، ومركباتها تحدث أصواتاً. عندما يتغير إيقاع الرقص، فإن الصوت الذى يحدثه يتغير أيضاً.. كل ذرة تنشد نشيدها الخاص بها على الدوام، والصوت في كل لحظة، يخلق أشكالاً كثيفة".

يصبح تشابه هذه الرؤية مع رؤية الفيزياء الحديثة صارخاً على نحو خاص عندما نتذكر: أن الصوت هو موجة ذات تردد معين يتغير مع تغير الصوت، وأن الجسيمات، المكافئ الحديث للمفهوم القديم للذرات، هي أيضاً موجات ذات ترددات تناسب مع طاقاتها. وفقاً لنظرية الحقل، فإن كل جسيم، في الواقع، ينشد نشيده الخاص على الدوام، محدثاً أنماطاً إيقاعية من الطاقى (الجسيمات الافتراضية) بأشكال كثيفة وحاذقة.

إن مجاز الرقصة الكونية قد وجد أعمق وأجمل تعبير عنه في الهندوسية في صوري الإله الراقص شيفا. من بين تجسدهات الكثرة، يظهر شيفا، أحد أقدم الآلهة الهنود وأكثرهم شعبية، بوصفه ملك الراقصين. وفقاً للمعتقد الهندوسى، فإن كل الحياة هي جزء من عمليات إيقاعية عظيمة من الخلق والإفناء، من الموت وإعادة الولادة، ورقصة شيفا ترمز إلى هذا الإيقاع الأبدى "للحياة - الموت" الذى يستمر في دورات لا نهاية لها.

الموقف:

(أ) وصلنى مجذس نقدى لماذا اختار نجيب محفوظ أن يحكى عن أصداء سيرته، وليس عن سيرته

(ب) إن تصالحننا مع الجسد كوسيلة للمعرفة لن يتم بمجرد الاعتراف به من قبيل العلم المعرفى الحديث، وإنما لابد من احترام هذه الممارسات التى تتجلى في الرقص، ربما بما يقابل "حلقات الذكر" عندنا في الدين الشعبى (الصوفية الشعبية) الذى راح يتهدد مؤخراً بوصاية الدين المكتى السلطوى الملفظن .

(4) ص 144

"...في ليل براهمان، تكون الطبيعة عاطلة ولا تستطيع الرقص إلى أن يشاء "شيفا" ذلك: إنه ينهض من طربه وهو يرقص فيرسل عبر المادة الخاملة موجات نابضة من الصوت الموقظ،

من الصعب أن يجد المرء طريقة أفضل لوصف المفهوم النسبوي للزمكان.

.....من المثير للاهتمام أيضا أن نلاحظ أن كلا من الفيزيائي والبوذي يؤكدان حقيقة أن مفهوميهما للزمكان يقوم على الخبرة، على التجارب العملية في حالة الأول، وعلى الخبرة الصوفية في حالة الآخر.

الموقف

... أعتقد أنه لا يقصد "التجارب" بالمعنى المَعْمَلِي الحرفي.

ثانياً: مقتطف: من كتاب العلم والشعر

تأليف أ.أ. رتشاردز ترجمة محمد مصطفى بدوى كتب المؤلف

".. وللأسف العميق كان الكثيرون -ومنهم كيتس- مثلاً يعتقدون أن النتيجة الحتمية للتقدم العلمي هي هدم فرص وجود الشعر".

(مع أن) ".....الشعر في مقدوره أن ينقذنا، لأنه وسيلة من الوسائل التي يمكننا بها أن نتغلب على الفوضى".

الموقف

التغلب على الفوضى لا يكون بإنكارها ولا بقمعها، بقدر ما هو باستيعابها، والشعر هنا لايقوم فقط بتجديد اللغة، أو إعادة تشكيل الزمن والصورة، ولكنه يغذى الوجود معارفا كلية غامضة، ومع ذلك هي فاعلة بحيث تستوعب الفوضى الحركية الرائعة داخلنا.

ثالثاً المقتطف:

أينشتاين شاعرا (الأهرام 2005/5/30 يحيى الرخاوى)

"..... اكتشفت أنني أحب هذا الرجل اليهودي الجميل، ثم إنى رحمت أقرأه شاعرا: لا في ناتج إبداعه، وإنما من موقف حركية وجوده، وهو القائل"

"... إن أجمل ما نعيشه هو الغموض..، ومن لا يشعر بهذه العاطفة، فلا يتوقف ويختار ويقف مأخوذاً في دهشة، لئلا ميتا مغمض العينين".

أليست هذه الدهشة هي التي تلم أينشتاين فيلّمها في إبداعه شعرا سواء كان ناتجه معادلة رياضية أو موقفا وجوديا؟

علاقة أينشتاين بالدين والله سبحانه هي إثبات آخر أنه شاعر.

يقول أينشتاين أيضا:

"العلم بلا دين أعرج، والدين بلا علم أعمى"،

وهو بذلك لا يفتح الباب لهذا الجهل المزدوج المسمى "التفسير العلمى للدين"، بل إنه يغلقه ليتكاملا معا لصالح الإنسان دون وصاية أحدهما على الآخر، أو اختزال أحدهما إلى الآخر.

أينشتاين يعيد إحياء الألفاظ في سياق تشكيلى جديد، فهو الشعر، نقرأ قوله:

"علينا أن نجعل كل شئ أبسط ما يمكن، ولكن ليس أبسط من ذلك"

أو قوله:

"الثقافة هى ما يبقى بعد أن تنسى كل ما تعلمته في المدرسة."

هل نتأمل معا كلمات مثل "أبسط"، و "تنسى" و "تعلمته" لنعرف كيف تحضر الألفاظ جديدة في تشكيله هذا؟

(انتهى المقتطف من الأهرام!)

الموقف الأخير

.... إن صح كل ذلك، وهو صحيح عندي، فياليسئوليتنا المتزايدة وخاصة في التربية والتعليم،

ويالحجتنا الماسة لمراجعة علاقتنا بالعلم، والجسد، والرقص، والشعر، والصلاة، والحب، وربنا سبحانه وتعالى.

- التصوف الشرق والفيزياء الحديثة، تأليف: فريتجوف كابر، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار- سوريا- اللاذقية.

- أكرر الاستشهاد بدعاء النوم في الإسلام: باسم ربى وضعت جنى وبك أرفعه، اللهم إن قبضت نفسى فأغفر لها، وإن أرسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، ثم بدعاء الاستيقاظ" اللهم إن قبضت نفسى فأغفر لها، وإن أرسلتها فأحفظها....".

الإربعاء 28-11-2007

89- الوحدة والتعمد في التركيب البشري

"أنا واحد ولا كثير"

ونحن نتقدم نحو التعرف على الفصام بدأنا باعترافنا بالتمدد الطبيعي في تركيب النفس البشرية، وقد وجدت من المناسب أن نقدم ذلك أيضا من خلال لعبة لعبناها في برنامج "سر اللعبة"، لتكمل الرؤية التي عايشناها من خلال العلاج النفسي الجمعي يومية 2007/10/2 (يا خير، دانا لو اتجنتت، يمكن ..)

سوف نقدم الخمس لعبات الأولى في البداية (عكس ما فعلنا في المرات السابقة)، راجين من القارئ/الزائر - أن يمارسها مع نفسه بسرعة قبل أن يقرأ الاستجابات والمناقشة والتعليق.

9 (لعبة الخوف). الفكرة والتطبيق تفصيلا يمكن الرجوع إليها في يومه 14-

المطلوب هو أن تكرر الجملة بصوت عالٍ، ... وأن تكملها شفاهة، ويا حبذا لو كان معك صديق أو أخ تتبادلان الأدوار، ثم تقرأ الاستجابات معاً:

اللعبة الأولى: هو أنا واحد ولا كثير، دانا بيتهيألى
 إفى.....
 اللعبة الثانية: ساعات الشخص اللي جوايا يبقى

 اللعبة الثالثة: يمكن الطفل اللي جوايا مش مجرد
 ذكريات طفولة، الظاهر إنه
 اللعبة الرابعة: طب لو أنا كثير كده، أمال بارفض
 ليته يمكن
 اللعبة الخامسة: الست (الراجل) اللي جوايا بتقول
 لازم

المشاركون:

الأستاذة: فوزية "أخصائية نفسية"

الدكتور: مروان "طبيب"

الأستاذة: رجاء "وكيل وزارة التأمينات سابقاً"

والأستاذ: يوسف "مخامى"

الآن نعرض الاستجابات والمناقشة (ويمكن مشاهدتها مباشرة هنا)

اللعبة الأولى: هو أنا واحد ولا كثير، دانا بيتهيألى
إنى.....

اللعب

أ.يوسف: يا دكتور مروان هو أنا واحد ولا كثير، دانا
بيتهيألى إنى "خمسة ستة مع بعض"

د.مروان: يا دكتور يحيى هو أنا واحد ولا كثير، دانا
بيتهيألى إنى "قوم مجاله جوايا"

د.يحيى: يا أستاذة فوزية هو أنا واحد ولا كثير، دانا
بيتهيألى إنى "زحمة قوى"

م. فوزية: يا مدام رجاء هو أنا واحد ولا كثير، دانا
بيتهيألى إنى "عالم بأكمله"

أ. رجاء: عزيزى المشاهد هو أنا واحد ولا كثير، دانا
بيتهيألى إنى "عدة اشخاص مع بعض"

أ.يوسف: عاوز اقول تانى واحدة كمان

يا مدام فوزية: هو أنا واحد ولا كثير، دانا بيتهيألى إنى
"زحمة لدرجة مافيش حاجه طلعت، كله بيتخانق مع بعض جوه"
المناقشه باختصار:

د.يحيى: النهارده الظاهر إن احنا فى منطقة مستحمله
الحركة، حد وصله حاجة؟.

م. فوزية: أنا تقريبا كنت خايفه أوى وأنا باتكلم
تقريباً كنت شايفه الزحمة اللى جوايا

أ.يوسف: أنا إطمئنت شويه لما لاقيت المسألة مش بعيدة،
كنت خايف حسن تكون بعيدة أنا كنت خايف أطلع شاذ لوحدى
طلع فيه ونص.

د.يحيى: المفروض يا أ.يوسف إنى أستاذ فى الجامعة، والمفروض
أن القضية دى قضيتى ليل مع نهار مع العيانيين، ما كنتش
متصور إنها بهذا الوضوح عند الأشخاص والناس العاديين

د.مروان: أنا حاسيت بالزحمة جوايا وأنا باتكلم

د.يحيى: فعلاً؟

د.مروان: فعلاً وأنا بتكلم

التعقيب الخالى

(1) نلاحظ أن اللعبة كانت تبدأ بسؤال احتمالى، أو
بالأحرى بتساؤل محرك، ثم ينساب النص مسبقاً بـ
"بيتهيألى". ربما كانت هذه الطريقة هى التى سهّلت قبول
التعدد بهذه السهولة،

(2) ربما أيضاً ساهم عدم تحديد هؤلاء الـ"كثير"، وهل هم
شخصوس أم ذوات أم مستويات وعى أم أفكار، مجرد "كثير"،
ربما كان لذلك فضل هذا الانسياب الخالى من الوصاية
العقلانية والتنظير المسبق.

اللعبة الثانية: ساعات الشخص اللى جوايا يبقى

اللعبة

أ.رجاء: يا مدام فوزية ساعات الشخص اللى جوايا يبقى
"نفسه يتكلم كلام مش صحيح لامثل الواقع"

م.فوزية: يا أستاذ يوسف ساعات الشخص اللى جوايا يبقى
"نفسه إني أنا ما أنساهاوش"

أ.يوسف: يا دكتور يجيى ساعات الشخص اللى جوايا يبقى
"نفسه يزحزحني ويقول إوعى إنت وأنا أعيش بدالك"

د.يجيى: يا دكتور مروان ساعات الشخص اللى جوايا يبقى
"نفسه بقولى إلهى على عينك وهو يتولى بدالى"

د.مروان: ساعات الشخص اللى جوايا يبقى "نفسه بقعدنى
على جنب ويطلع هو مكانى"

المناقشه باختصار

م.فوزية: آه وصلنى حاجة وخلص

(قاعدة من حق المشارك أن يعلن ذلك، دون ذكر ما وصله)

أ.يوسف: أنا وصلنى صدق مروان قوى، وإنها مشكله حقيقية

أ.رجاء: أنا وصلنى إن عندى مشكلة

د.يجيى: أنا وصلنى حاجه غريبة لما قلت إن "هو" يكمل هو
يعرف حاجه علشان يكمل هايكمل هايثيل إليه، يعنى أتلهى على
عيني أنا وأكمل

أ. يوسف: بس فيه اتفاق، إجابتي قريبة من إجابة مروان،
وقريبة من إجابة حضرتك شوية

د. يجيى: ما هو دا دليل على ان احنا بنتحرك فى منطقته
قريبة (من بعضنا مع إننا) مش بنمارسها فى الحياة العادية،
يا ترى ليه! حانشوف.

التعقيب الخالى

(1) نلاحظ أن ثلاثة من الحضور اكتشفوا أن مَنْ بداخلهم
يريد أن يجل محلهم، ولم يبد فى التعقيب البعدى أنهم
معترضون، أو أنهم يقاومون ذلك، أو حتى يخافون منه.

(2) م. رجاء كشفت عن أن ذاك الذى بداخلها هو أقرب إلى أن
يكون طفلا مشاكسا "يتكلم كلام "مش صحيح"، لكن من الذى يحكم
على كلامه بأنه "مش صحيح"، أظن أن الشخص الظاهر (م. رجاء)
هو الذى قرر أن كلام من بالداخل يمكن أن يكون "مش صحيح".

(3) نلاحظ أن قوة الكيان الداخلى لا تعوقها إنجازات
الكيان الخارجى، فما جاء فى تعبير د.يجيى كان "إلهى على
عينك"، وهو أكثر صراحة من تعبير كل من يوسف ومروان،
الذان أعلننا نفس الميل ("يعيش بدالى"، "يطلع مكانى")
ثم إن الكيان الداخلى عند د. يجيى أدخل الكيان الظاهرى
إلى "جوه"، وكأن ظهور الداخل كبديل قادر هو أمر يمكن
أن يحدث بعد ذلك تلقائيا

اللعبة الرابعة: طب لو أنا كثير كده، أمال بارفض ليه
يمكن.....

اللعب:

د. مروان: يا أستاذ يوسف طب لو أنا كثير كده، أمال
بارفض ليه يمكن "لو سبيت اللي جوايا يشاركني هاستريح"
أ. يوسف: يا أستاذة رجاء طب لو أنا كثير كده، أمال
بارفض ليه يمكن "خايف لو طلع تبقى مشكلة"
أ. رجاء: يا مدام فوزية طب لو أنا كثير كده، أمال
بارفض ليه يمكن "لو طلع أحجل منه مثلاً"
أ. فوزية: يا دكتور يحيى طب لو أنا كثير كده، أمال
بارفض ليه يمكن "أخاف من اللي قدامي مايشوفندش كويس"
د. يحيى: عزيزي المشاهد طب لو أنا كثير كده، أمال بارفض
ليه يمكن "جيان"
المناقشة باختصار

د. مروان: أنا استرحت

م. فوزية: أنا عكشهُ، أنا حاسيت إنى متأله

أ. يوسف: أنا الحقيقه عندى الاثنين: الراحه والالم، بس الأمم
أغلب

التعقيب الخالى:

(1) نلاحظ أن الاعتراف بالداخل (بكثرتة) هو ممكن ولا
يحتاج لتحديد هذا الداخل تفصيلا (بدون تحليل نفسى ولا
محزنون)

(2) ترتب على احتمال هذا الاعتراف مشاعر مختلفة تراوحت
بين " الخجل (م. رجاء) والجن (د. يحيى) والخوف من المشاكل
(أ. يوسف).

(3) لكن د. مروان بدا وكأنه يريد أن يريح هذا الذى
بالداخل، وأن الاعتراف بحقه هو السبيل إلى ذلك، لم يقتصر
ذلك على إراحة من بالداخل بالاعتراف به، بل إنه أقر (في
التعقيب) أنه شخصيا قد شعر بالراحة بعد اللعبة.

(4) أما م. فوزية فقد تبينث أنها متأله، وفي اللعبة
بدأت خوفها ليس من جانبها أساسا، فقد حددت احتمال أن
خوفها يأتي من رؤية الآخرين لهذا الداخل، سواء كانت
رؤية خاطئة، أو رافضة، أو جزئية.

اللعبة الخامسة: الست (الرجل) اللي جوايا بتقول لازم....

اللعب

د. مروان: يا مدام فوزية الست اللي جوايا بتقول لازم "تفتكرنى"
م. فوزية: يا مدام رجاء (الراجل) اللي جوايا بيقول
لازم "تعدشى"
أ. رجاء: يا أستاذ يوسف (الراجل) اللي جوايا بيقول
لازم "تفتكرنى دايماً"

أ.يوسف: يا دكتور يجي الست اللي جوايا بتقولى لازم "تدنى حقى"

د.يجي: عزيزى المشاهد الست اللي جوايا بتقولى لازم "تهمد شويه لاني أحلى منك 100 مرة"

المناقشه باختصار

د.يجي: احنا بنعمل في نفسنا إيه؟

أ.يوسف: مش عارف ليه طلعت في دماغ حضرتك ليه

م.فوزية: أعتقد إنه كتاب مفتوح عمالين نتشقلب كده من فوق لتحت

د.يجي: دا احنا كده بنثبت نظريه بأكملها، إن كل راجل جواه ست وكل ست جواها راجل، دا مش بس كده، دا الوعى الشعبى بيقر هذه الحقيقه لما الواحد بيقع يقولك **أسم النبي حارسك وضامنك، وقعت على أختك اللي تحت الارض أحسن منك،** دى لها أساس علمى لأن بيحصل عند الوقعة حتى لو أرتجاج بسيط ساعات ربع ثانية فالارتجاج البسيط ده ساعات يسمح الى جوه يطلع غصن عنك، فيحصل لخبطه، فالوعى الشعبى بيطببط على اللى جوه ويمضى (يوقع بالموافقة) بقوله: وقعت على اختك تحت الارض يعنى تحت الوعى الظاهر

يونج قالها والوعى الشعبى قالها (لكن قلبها "قرين" و"جان"، وكلام من ده)

أ.رجاء: وصلنى أنى فيه حاجات ماكنتش بافكر فيها قبل كده

أ.يوسف: أنا أظن إنى صاحبت الست اللي جوايا شويه

التعقيب الخالى

ما زالت إشكالة الصراع الحقيقى بشأن التمييز الذكورى تمثّل تحديا علميا وسياسيا وتطوريا يستحق مواصلة العمل فيه من أكثر من جانب، لذلك أفضل أن أتناول استجابات المتطوعين فى هذه اللعبة الخامسة بتفصيل واحدا واحدا:

1- د. مروان: أحسن الاستماع إلى الست اللي جواه وهى تقول "لازم تفكرنى". فنشعر معه أن البداية هى تذكر أنها موجودة. هى لم تطلب الظهور، لم تطلب حقوقا، لم تطلب أن تحل محله. إن الرجل حين يتذكر هذه الحقيقة البسيطة (الواقعية) لابد أن يشعر أنه أجهل وأكمل، وربما ساعده ذلك على التراجع عن غيائه الذكورى المغترب، مجرد أن يتذكر أنه ليس هو إلا بها، يقربه من نفسه، ومن ثم من عدل محتمل، واحترام واجب.

2- التصالح الذى بدا من م. فوزية فى اللعبات السابقة من حيث مطالبة الشخص "إلى جواها" الهادئة "ألا تنساه" ("نفسه ما انساهاوش، اللعبة الثانية) أو حين تقرر علاقتها بطفلها وأنه "عايش معايا وبيتهياى إنى باحبه"، هذا التصالح يتأكد هنا أيضا بشأن علاقتها مع "الراجل اللي جواها". فى هذه اللعبة الأخيرة يأتى التصالح من الداخل للخارج. الرجل الذى بداخل هذه

السيدة هو الذى يدفعها " أن تعيش" (يقول لازم تعيش)، لا أن يعيش هو بدلا منها (كما لاح لآخرين في لعبات أخرى) . **كأننا نتعلم من ذلك أن التصالح ليس استبدالاً، وإنما** تعيش الأنثى أعمق أنوثة وأفوى حضوراً بالرجل الذى فى داخلها لتكون هى هى به، لا ليحل محلها. إن الاعتراف بالضد لا يحقق الضد، ولكنه يملأ الفراغ الذى لو لم يملأ لعاش أى منهما فارغاً من بقيته التى تكمله.

3- استجابة السيدة رجاء تبدو فى نفس الاتجاه، وإن شملت أيضاً الاتفاق مع استجابة د. مروان، (لازم تفكرنى)، والسيدة فوزية. إضافة "دائماً" لم تبدل ثنائوية. الكيان الداخلى (الذكورى هنا) ليس تزييناً (إكسسوار) يستعمل بعض الوقت، أو فى المناسبات التى تستدعى صفات ذكورية، وإنما هو يشير إلى أن حضور الذكورة فى الأنوثة (وبالعكس) هو تكامل سلس، حتى لو بدأ الحضور "بالاعتراف"، والتذكر كخطوة مبدئية.

4- استجابة أ. يوسف أعلنت معالم بداية موقف ثورى، إلا أن الثورة الحقيقية هى التى تنتزع الحق، لا تستأذن فى طلبه "لازم تدينى حقى". على أى حال هى بداية طيبة. إذا كانت الست داخل د. مروان رضيت بمجرد أن "يفتكرها"، فالست التى بداخل أ. يوسف تطالب بحقها، ولا ترضى بمجرد التذكر.

5- ظهرت الست من داخل د. يحيى بحضور واثق، تأمره أو تنصحه "أن يهدم شوية"، البداية تشير كيف أن ظاهر هذا الرجل "لا يهدم"، لماذا؟ ربما لأنه يتصور أنه لو همد "لن يكون هو". فمن هو؟ لن يكون من؟ لن يكون هذا الرجل المبادر الملاحق الذى لا يكف عن الإنجاز والحركة. كأنه يخاف أن يهدم فتتفزع منه "الست إلى جواه" كما يتصورها، ربما يتصور أنها نقيض المبادأة والإنجاز واللهاث وقلة الهمدان. اللعبة هنا سمحت لهذه الست (إلى جواه) ليس فقط أن تنصحه، أو تأمره، ولكن أن تبين له أنها ليست كما يتصور، وأنها أولى به، وأنه حين يهدم سوف يصبح أحلى بها لأنها "أحلى منه 100 مرة"

تعقيب جامع

إن هذه القضية "ثنائية الوجود البشرى بين الذكر والأنثى"، قد تعرت فى لعبة عابرة، وبشكل تلقائى، مع مجموعة من مختلف الأعمار، ومن الجنسين، ومن مختلف التخصصات، تعرت دون تنظير مسبق أو محاضرة تلقينية، أو تحليل نفسى معقد، هذه القضية تبدو من بديهيات الوجود البشرى. صحيح أن التكامل من خلالها هو أمر بعيد حالياً عن متناول كل من الرجال والنساء حسب البرمجة الاجتماعية الممتدة من تاريخ قهر قديم، والتى تتعرض لها المرأة لتعميق الفروق الظاهرة، لتصبح هى غاية المراد ومبرر التمييز، وليست بداية الانطلاق إلى التكامل. إن هذه اللعبة على اختصارها وتواضعها تضعنا أمام قضية أساسية يحاول العلم والممارسة والنقد والإبداع عبر العالم أن يتجاوزوها.

الإبداع وتطور المرأة على مسار النمو البشرى

في فرض قديم بعنوان "تحرير المرأة وتطور الانسان" نشر في مجلة المركز القومي للعلوم الاجتماعية والجنائية عدد المجلة الثاني في عشر عدد سبتمبر 1975، قدم الكاتب مداخلة شرح فيها كيف أنه لابد من إعادة تعريف المفاهيم الخاصة والعامية للمرأة والرجل، وأن مسألة الأنوثة والذكورة هي ذات أهمية من حيث تحديد نقطة بداية تطور كل منهما، ولكنها ليست تفرقة تمييزية نهائية، ولا هي تصنيف ساكن، كما أنها ليست مربر لأي تمييز نوعي لأي من الطرفين. إن تعميق الفروق في بداية مسيرة النمو، مع اختلاف المسار، جدير بأن يسمح للرجل أن يصالح أنوثته ويتكامل بها، وللمرأة كذلك. بدأ الفرض الذي قدمه الكاتب آنذاك من مقولة وينيك Winnicot بأن المرأة تبدأ من فعل الكينونة To be لتنتقل إلى التكامل وهي تتحقق بتعميق كينونتها التي ينطلق منها الفعل To Do أما الرجل فيبدأ بالحركة القلقة من الفعل To do ليتحقق من خلال استيعابه إنجازَه حتى لا يظل خارجا عنه فيزيده ذكورة منفصلة غبية ، To Be، الرجل يتكامل إذا امتلأ بإنجازَه "ليكون" To be، لا ليزداد به إنجازا خارجا عنه .

انطلاقا من فرض وينيكوت بينت أطروحة الكاتب (1976)، أن أهم ما يميز الإنسان هو أنه كائن يتكامل نموا بإبداع ذاته، وكلما كان داخل الانسان (الذي يبدو نقيض ظاهره) أقرب إلى التناول في وعيه الظاهر، كان الإنسان مبدعا. وكلما كانت مسامية الإدراك نافذة للتحرك بين الداخل والخارج كان الانسان مبدعا، وكلما كانت مرونة الفعل لديه أكثر طواعية كان مبدعا بالمعنى التطوري للنمو البشرى كما ذكرنا .

يبدو أن هذه اللعبة الخامسة كما قدمناها قد تسهم في إثبات هذا الفرض، مع اتساع مفهوم الإبداع ليشمل النمو الذاتى للشخص العادى، فالمرأة في اللعبة بدت أقرب وأكثر تكاملا باقترابها من الرجل في داخلها وتصالحها معه. كذلك بدأ الرجل أكثر امتلاء بنفسه حين اعترف واقترَب من المرأة في داخله .. ربما لنفس الهدف.

وقفة ودعوة :

نتوقف هنا ونؤجل قراءة الخمس ألعاب الباقية من الحلقة في نفس الموضوع "أنا واحد ولا كثير"، مع نفس الأشخاص، لكننى أطمع في تحقيق ما فشلت فيه أثناء النشر السرى في الصحيفة اليومية القومية، أطمع أن يستجيب الزوار (القراء) هنا .

أولاً: محاولة الإجابة على الخمس الألعاب الأولى التي وردت في هذه اليومية (كتابية) وأن يتفضلوا بإرسالها مع ما شاؤوا من تعريف بأنفسهم (سطين أو ثلاثة)

ثانياً: أن يحاولوا الإجابة على الخمس لعبات التي لم

ننشرها بعد تكملة لهذه الحلقة، لعلنا نستطيع أن نستفيد من إجاباتهم تحديثاً لما سبق نشره بالنسبة للجزء الثاني (أى الخمس ألعاب من 6 إلى 10)...

وإيكم لعبات

والدعوة عامة

وياحبذا الاستجابة للخمس ألعاب الأولى أيضا:

الألعاب الستة الباقية:
 اللعبة السادسة: طيب لو أنا أكثر من واحد؟ يبقى مين
 فينا المسئول أنا شايف
 اللعبة السابعة: المسألة مش مسألة صراع ولا خناقه،
 المسألة إنى لو كثير يكن
 اللعبة الثامنة: يكونش الكثير اللى جوانا هو الجن
 اللى يقولوا بيلبس الناس معنى كده بقى
 اللعبة التاسعة: أنا كده اتلخبطت، لكن يتهيأ لى ممكن
 أستفيد بإنى
 اللعبة العاشرة: أنا نفسى الكثير اللى جوايا
 يتصلخوا مع بعض، بس مش على حساب

الخميس 29-11-2007

90-أم فتمترة النقابة

حلم 11

مصر الخلوب والمستحيل، ثم "حلم" على "حلم"

في ظل نخلة على الشاطئ استلقت على ظهرها امرأة فارعة الطول ريانة الجسد وكشفت عن صدرها ونادت. يزحف نحوها أطفال لا يحصرهم العد. وتزاحموا على ثديها ورضعوا بشراهة غير معهودة، وكلما انتهت جماعة أقبلت أخرى وبدا أن الأمر أفلت زمامه وتمرد على كل تنظيم. وخيل إلى أن الحال تقتضى التنبيه أو الاستغاثة ولكن الناس يغطون في النوم على شاطئ النيل. وحاولت النداء ولكن الصوت لم يخرج من فمى وأطبق على صدرى ضيق شديد. أما الأطفال والمرأة فقد تركوها جلدة على عظم ولما ينسوا من مزيد من اللبن راحوا ينهشون اللحم حتى تحولت بينهم إلى هيكل عظمى. وشعرت بأنه كان يجب على أن أفعل شيئاً أن أكثر من النداء الذى لم يخرج من فمى وأذهلنى أن الأطفال بعد يأس من اللبن واللحم التحموا في معركة وحشية فسالت دماؤهم وتحرقت لومهم. وخطى بعض منهم فأقبلوا نحوى أنا لعمل المستحيل في رحاب الرعب الشامل.

من السهل أن نقول إن هذه المرأة هي "مصر"^{[1]2}، ثم نقرأ الحلم وكأنه رمز صريح مباشر لمصر وما يفعله بها بعض أبنائها.

هل هذا يكفى؟

هل هذه المرأة هي "البقرة السودا النطاحة" التى نأح عليها الشيخ إمام منذ 1968 وهو يدندن كلمات أحمد فؤاد نجم؟:

"نأح النواج والنواحة
عالبقرة السودا النطاحة
والبقرة حالوب...حأحأ
تحلب قنطار...حأحأ
لكن مسلوب...حأحأ...
من أهل الدار...حأحأ"؟؟

^{[1]2} - حتى حميدة في زقاق المدق قالوا إنها مصر!! فما بالك بهذه المباشرة هنا.

بل إن الرمز في هذا الحلم أكثر وضوحاً، فالنيل أكثر حضوراً بنخيله وطوله الفارع، وجسده الفيضان، (أعني الريان!!) والناس يغطون في النوم على شاطئ النيل، ماذا يتبقى بعد ذلك لتكون هذه المرأة هي "هبة النيل"؟

هل هذا يكفي؟

هل يكون الإبداع إبداعاً إذا اكتفى بوصف الحاضر رمزاً ، مهما بلغ إتقان التشكيل، وجمال التوليف؟

ليس عندي مانع! ولكن:

دعونا نبحث في بعض ما هو "قبل وبعد ذلك"

أولاً: المرأة هنا هي التي تنادى ، وهي لم تنادِ أطفالها، هي تكشف عن صدرها وتنادى فقط، ربما هي إشارة إلى وفرة العطاء الذي فاض عنها فيضاناً لا تريد حكمتها أن ينتهي إلى البحر، فناسها أولى بعطائها، بل لعل النداء موجه لكل الناس، ينفّج العطاء ويغمر حين لا يتحدّد المُنَادَى (بفتح الدال) المرأة نادَتْ (فقط) ، "كشفت عن صدرها ونادت" وهذا هو العطاء الأكرم،

الأطفال - وليس الناس - هم الذين زحفوا نحوها وتزاحموا على ثدييها، بينما الناس كانوا "يغطون في النوم على شاطئ النيل"، أطفال بلا حصر، مختلفو الهوية، ليسوا أطفالها بالضرورة، أما ناسها فهم نيام نيام!!،

أطفال في جماعات تتلاحق

هل هم الحكام المصريون جيلاً بعد جيل؟ الحكام منذ الفراعنة وقبلهم؟ على حساب الناس الغافلين،

هل هم الغزاة المستعمرون؟ خَمَلَةٌ بعد خَمَلَةٌ؟

فلماذا هؤلاء أو أولئك ظهروا في الصورة أطفالاً ؟

ربما يتعلق ذلك بما سبق أن أشرت إليه عن أحد أوجه معالم الطفولة ، أعني ضراوة الطفولة وقسوتها إذا هي انفصلت عن الفطرة المتكاملة فأصبحت البدائية لا الطفولة؟ **يومية 6-**

11 (عن الفطرة والجسد وتصميم الألفاظ)

هذا السعار المتتالي جيلاً بعد جيل، هو أقرب إلى سعار التكالب على السلطة، والاستقلال، والاستعمار جميعاً

وفي حالتنا هذه: هي سلطة بلا قانون يردعها، بلا عدل يزن تصرفها **(الأمر أفلت زمامه وتمرد على كل تنظيم)**

الأطفال هنا إذن يمثلون سعار عدم الأمان البدائي الذي قلت فيه يوماً: "....."

من فرط الجوع التهم الطفلُ الطفلُ،

ملكيتي الخوفُ عليكم

فإذا أطلقتُ سَعاري بعد فوات الوقتِ،

فلقد ألتهم الواحد منكم تلو الآخر، دون شبع"

(ديوان سر اللعبة: الوجود المثقوب & دراسة في علم
السيكوباتولوجي) [2]3

ثانياً: حين يمتد الاتهام من الرضاعة إلى امتصاص وجود
الأم المصدر، ثم نهش لحمها، حتى تصير هيكلًا عظيمًا إلى التقاتل بين
القتلة المسعورين، فهو نذير ذو شقين: أولاً أنهم بدلا من أن
يرعوها احترامًا لكرم ندائها دون تمييز، لتظل تفيض عليهم
من جسدها الريان، غلبهم الجشع والجوع الذي لا يشبع، فذبحوا
الدجاجة التي تبيض ذهبًا، ثم إن ذلك لم يروهم، فانقلبوا
يتقاتلون حتى لاح لي أنهم انتهوا إلى أن يكونوا من أكلة لحوم
البشر، لا أكثر.

هل كانوا كلهم كذلك؟

الإجابة بالنفي، لأن الذي استغاث بالراوى كان "بعض
منهم" أقبلوا نحوه لعمل المستحيل.

دورالراوى هنا هكذا كشف لي عن دلالة مستقلة،

فهو منذ البداية يشعر أن ما هكذا تكون الرضاعة، وما
هكذا تكون الاستجابة لكرم نداء المرأة المعطاء،

وهو لا يكتفى بهذا الخدس المتخوف، بل إنه يشعر بالحاجة إلى
التكاتف لإجهاض هذه الجريمة المتمادية، وذلك حين خيل إليه -
ومن البداية - "أن الحال تستدعي التنبية أو الاستغاثة"،

ينتهي الحلم - كما أشرنا - باستغاثة بعض الأطفال
القتلة بالراوى نفسه "لعمل المستحيل"، لنتذكر أنه هو
الذي هم بالاستعانة أول الحلم،

لماذا كانت الاستعانة بلا جدوى؟ لأنها جاءت بعد الأوان،
انتهت البقرة، ولم يشبع الأطفال بل ازدادوا سعاراً وتقتيلاً
في بعضهم البعض، حين يصل الأمر إلى مثل ذلك، لا يكون أمامنا
إلا المستحيل.

ومع ذلك:

ربما يكون الحديث عن المستحيل - خاصة في رحاب هذا الرعب
الشامل- هو دعوة لنجعله ممكناً،

مفوظ لا يذكر المستحيل تينيساً وإعجازاً، هو يذكرنا
"بالاستحالة"، لنشحن أنفسنا لتجاوزها مهما بدا ذلك
مستحيلاً.

حلمٌ على حلم

هذه الفروق الرهيفة، تقلب هذا الحلم شيئاً آخر غير
التفسير الرمزي السياسى الجاهز، الموازى لقصيصة "أحمد فؤاد
نجم" عن البقرة السودا النطاحة،

حين فاض بي الوجد في عيد ميلاده الثانى والتسعين، وتجلى في

هل نبقى أم نهاجر؟ ولكن إلى أين؟ ولذت بمقر المكان الآمن من الخطر وجاء رجل من الأمن وقال صراحة إن الدولة تريد أن تعرف طاقة الأسر على إيواء من يحتاجون إلى إيواء لاسمح الله. وتضاعف الاضطراب وأعلنت أمي وهي تعيش وحدها في بيت كبير أنها على استعداد لإيواء أسرة كاملة، أما أنا فوجدت أننا يمكن الاستغناء عن حجرة واحدة تسع لشخصين، وأصبحت حذرا عند سماع أى صوت أو الإجابة على أى سؤال، وطرق بابي مخبر ودعاني إلى القسم ولما سألته عن سبب الاستدعاء أجاب بخشونة: إنه لايعرف وقطع حديثنا انطلاق سفارة الإنذار.

القراءة

أدخل إلى أى حلم، وكأني أدخل إلى امتحان ماء، وأقرر قبل كل شئ أنني جاهز بشهادة الاعتذار عن حضور الامتحان أو تأجيله، هذا الشعور هو الذى يتيح لى حركة أوسع حين أجد صعوبة حقيقية فى قراءة حلم ماء، مثل هذا الحلم.

الصعوبة مثلت أمامى هائلة حين غمرنى تساؤل يقول:

أين مجال وساحة هذه الحرب؟

ما هذا الجو الذى يحيط بها ويثير الأعصاب؟

هل هذه الحرب هى حرب فى الداخل أم فى الخارج؟

حضرتنى قراءتان،

نبدأ بالقراءة الأصعب: باعتبار أننا فى عالم الداخل، ذلك العالم "المثير للأعصاب"، والذى يصلنا غامضا بما يحتاج معه إلى رؤية مخترفة.

طبعاً هى ليست على بال محفوظ واعيا، لكن الإبداع يخترق معلومات المبدع الجاهزة إلى ما يتجاوزها، بل إلى ما يتجاوز العلم نفسه، أضعف أعمال محفوظ - بالنسبة لى - كان حين أن يصيغ بعض ما يبهره من نظريات علمية أو تاريخية أو فلسفية فى شكل إبداع روائى أو قصصى مثلما حدث فى حارة العشاق أو نهاية أولاد حارتنا، أو غير ذلك.

تلك الرؤوس التى تبرز وتختفى بسرعة، استقبلتها من منطق التحليل التركيبى structural analysis على أنها ما نخويه من ذوات متعددة، الأمر الذى يختلف مع منظور فرويد عن اللاشعور وكيف أنه "فوضى مشحونة"،

ذوات الداخل يمكن أن تمثلها تلك الرؤوس التى تطل وتختفى بسرعة، على مسار النمو.

إذا لم يتمكن الشخص من تنظيم ذواته المتعددة فى الداخل والخارج فى حركية جدلية متصاعدة واكتفى بطغيان الظاهر فهو الكبت القامع المثير للأعصاب،

من ثم فهى الحرب داخلنا (الصراعات بين الذوات وليس فقط بين "الذات" و"الهو" الفرويديتين)،

رجل الأمن الذى ظهر بدا لي توليفا من الناضج (حالة "ذات" الواقع) والوالد (حالة: ذات الوالد)، ومهمته هى الاحاطة بكل هذه الحركية واحتمالاتها، وضبط توقيت أدوارها، وتسكينها (إعداد موقع في التركيب البشرى، وتسكين من السكّن وليس من السكون).

هذه الإحاطة من هذه الذات الانضباطية لا تمنع ترتيبات الحرب بين الذوات المتنافسة والمتحفزة.

الذى يحدث على مسار النمو هو أننا نستبعد بعض هذه الذوات بشكل مؤقت أو دائم: في غيابات الذاكرة، أو سراديب الكبت تحت زعم (وأمل) ترويضها أو تسكينها، وهى تظهر أو لا تظهر في نشاطات الحلم، ترضى أو لا ترضى بالتخزين المؤقت أو الدائم تصوّراً لأمن شكلى يتحقق حسب قوة الكبت وكثافة تخزين الذكريات بعيدا عن ساحة الحرب.

هذا ما صورته من فقرة "ورأيت من يحمل تمويينا لتخزينه. وجعلت أتذكر تلك الأيام المكدره، هل نبقى أم تهاجر؟ ولكن إلى أين؟ ولذت بمقر المكان الآمن من الخطر".

ولكن هل يوجد داخلنا مكان آمن من الخطر، والحرب دائرة، أو مندرة.

مرة أخرى رجل الأمن هنا ليس ذاتا داخلية مستقلة، وإنما هو أقرب إلى الذات الضابطة الظاهرة المحافظة على قوانين العلاقات والأداء، وترتيبات النظام، بما في ذلك ترتيب التعاون والتسكين والتأمين للذوات القلقة والمهددة، وهى جاهزة للصراع فيما بينها.

الخل النمائى الأمثل الذى يمكن أن يحتوى هذا التعدد كما بدا هنا هو جدل كل الذوات معا مع احترام التباديل والتوافيق الممكنة والمتغيرة على مسار النمو، وهو ما يبدو أن الأم (الذات الناضجة للتكامل Integrated adult) التى هى ليست ذاتا جاهزة مشاركة في الصراع أو لعبة الظهور والاختفاء، بقدر ما هى ذات ضامة في حالة تكون دائم always in the making، وهذا هو ما يجعلها على استعداد لإيواء الأسرة الكاملة (الأم)،

الخل التنظيمى المؤقت، وهو ما يمثله - عندى - موقف الراوى هو ليس إلا جانب محدود من آليات التكيف، حين يقوم الكبت (الذات الكابته) بالإزاحة والإخفاء فنحشر في حجرة واحدة شخصين فحسب (ربما كعينة للباقيين على وشك الصراع وهذا هو ما قد يقابل الاستقطاب الفرويدى إلى: الهوى والأنا الأعلى، وكلاهما لا شعوريين).

الحذر عند سماع أى صوت أو الإجابة على أى سؤال يعلن أن الخل التنظيمى، قد يصلح لهدنة مؤقتة، أما أن ينقلب حلا دائما، فالتهديد القادم من الداخل لا يهدم، هذا التوجس الحذر يعلن أن الذوات المستتبعة، حتى في حجات نائية، هى جاهزة للهرب، ومستعدة للانقضاض في أى وقت، فهى الحرب.

الشعور بالذنب هو النتيجة الطبيعية للكبت غير المُبرر حيناً أو حذراً أو تحسباً، وهو المعيق لحركية النمو، والمخير هنا هو غير رجل الأمن في البداية، بينما لا يعرف المدعو للمساءلة جريمته، لتنطلق صفارة الإنذار، فنتوقع هجمة من الداخل أو مزيد من الكبت.

وهذا هو نذيرها "صفارة الإنذار".

وبعد

هذه هي قراءة الحلم على مسرح الداخل

والآن

هل ثمّ داع لقراءته من جديد على مسرح الواقع الخارجى؟
لماذا؟

حين دخلت امتحان هذا الحلم، تصورت أن على أن أجيب على الأسئلة بلغتين حتى أضمن مجاحى بأيهما، وتصورت أن لغة الداخل هي لغة مشفرة لن يفك شفرتها إلا خبير،

لكنني حين أعدت تلقيها الآن شعرت أنني لست بحاجة إلى الإجابة باللغة الأخرى، الأسهل والأعم.

مقدمة

كدت أؤجل الحوار هذا الأسبوع حتى أكمل لعبة أول أمس عن الوجود والتعدد في الكيان البشري "أنا واحد ولأكثر"، لأننا لم نعرض إلا لنصف الاستجابات، والفكرة شديدة الجذبة والحساسة، وأيضاً لأن أصدقاء هذه اليومية تناقصوا بشكل واضح، ولكنني عدلت احتراماً لكرمهم، وتقديراً لآرائهم ولينظرننا من يريد أن يتابع حلقة أول أمس عن الوحدة والتعدد إلى الغد (السبت).

د. عدلى الشيخ

About love \"for the teens\" and often others

MAN is closer to his emotions and so worthy to earn the originality in love and following your concept of movement that you end up talking about all the time I believe that man is the one going "in and out" all through the length of the relation....

ترجمة (قمت بالترجمة رغباً عنى!):

...أعتقد أن "الرجل" أقرب لمشاعره (من "المرأة")، وبالتالي فهو الأحق أن يوصف بالأصالة في الحب، ثم حسب مفهومك عن "الحركة" الذى طالما تردده لنا، أعتقد أن الرجل أقدر على ممارسة برنامج الدخول والخروج طول مدة العلاقة.....

د. يحيى:

"برنامج الدخول - و- الخروج" In-and- out- program هو أحد قوانين النمو الأساسية، ولا يختص به ذكر أو أنثى، نحن - بشرا - ندخل في النوم ونخرج إلى اليقظة، ندخل في الحلم ونخرج إلى النوم، ندخل إلى البيات (الرحم) ونخرج إلى الشمس (الواقع) - أما حركة الرجل كما وصلتني من تصورك، فهي أكثر اتساقاً مع فكرة تماهيه مع الحيوان المنوى الخائب القلق الذى لكى يصل إلى هدفه الراسخ الوثائق (البويضة)، يصطحب معه آلاف من الحاشية وربما الرعية، ويا تزي!!! .. ثم إنه يدخل ولا يخرج.

الرجل الذي يمكن أن يساهم في ترسيخ الحياة الإنسانية بعلاقاتها الأصيلة المتشابكة هو الذي تصالح مع أنثاه بداخله، "حالة كونها في جدل متجدد مع رجولته، ولكنه ليس الذكر القلق المغرور". ثم إنني لم أتناول بعد - إلا عرضاً - مراحل وآليات النمو من وجهة نظري، اللهم إلا ما أشرت إليه فيما يتعلق بمفهومي عن الفطرة كحركية ضامة جدلية، الذي يشغلني الآن هو تقديم فكرة "التعدد في واحد" مدخلا إلى الفصام، ولو أنها أيضا لم تتضح بدرجة مناسبة كما يبدو من تحفظ الإبن يوسف عزب،

أ. يوسف عزب (الفصام) (عن الفصام: حالة عصام) علاقة الحالة (عصام) بالتعدد بعيدة شوية، أو ليست هي الحالة النموذجية للتعدد.

د. يحيى

يا عم يوسف، وهل أنا قلت أو أشرت أنها الحالة النموذجية؟ لقد عرضت هذه الحالة لأوضح الفكرة المبدئية عن تعدد الذات، لأوضح أننا، حتى نفهم الفصام، علينا أن نلّم بمدى علاقته بفكرة التعدد التي أوضحت بعضها بعد ذلك في يوميات: (يومية 10-30 "عن الفصام") - (يومية 11-4 "الفطرة، والقشرة والانشقاق" بعض أحوال عصام الجزء 2) - (يومية 11-5 "إن لم ننجح فلننجح مع أنفسنا! بعض أحوال عصام الجزء 3)

حتى في حلم محفوظ أمس استعملت فكرة التعدد لأقرأ الحلم رقم (12)، وأنت تعلم أنني سوف أوصل شرح هذه الفكرة ربما طول الوقت، أو طول العمر.

وما دام تعليقك بهذا الإيجاز، وربما البخل، فسأسطجك معي إلى طلاقة كريم المتعددة المداخل والتوجهات.

د. كريم شوقي عن الحب "للشباب" و(غيرهم غالبا)

..الهرمون الذي تقصده السائلة في السؤال الرابع هو الأوكسيتوسين على ما أعتقد oxytocin ، فعلى قدر علمي لا يوجد هرمون يدعي اكستوبين و ربما هي غلطة مطبعية؟

د. يحيى

أنا أعرف يا كريم، لكنني تركت الخطأ كما وصلني، ولا فرق عندي بين الأوكسيتوسين والأوكسيتوبين، كلها أسماء ينبهر بها الناس لأنها لاتينية توحى بجقائق علمية وراءها، لقد قصدت في الرد على الحررة الشابة دون تصحيح حتى أنبهه إلى خطورة اختزال أرقى ما وصل إليه البشر وجداناً نابضاً، إلى مفعول هذه المواد أيما كان أسماها، أردت أن أعزى هذا الاختزال شبه العلمي، أنا أحيانا يا كريم أداعب مرضى حين يسألون عن سبب ما عندهم بعد أن يكون قد وصلهم من زميل أو من الإعلام مثل هذا الكلام عن تغير كيمياء المخ، أحيانا أقول لهم إن عندهم زيادة في الـ Rozzeblabine hydrochloric فيسألون وكيف نتخلص من هذه الزيادة، أقول بمعادلتها بمادة Mehallabima، ثم أشرح المداعبة كيف أن

الكلمة الأولى مشتقة من الرز بلبن (الأرز باللبن)، والثانية من المهلبية، فنضحك، ثم نبدأ معا في التخطيط العلاجي للعودة إلى المسئولية والحياة دون إهمال دور الدواء، ولكن دون حاجة إلى هذا اللعب بالأكسيتوسين، أو الأكسيتوبين وما شابه.

هل تتصور يا كريم أنه يوجد من يدافع عن هذه النظريات المختزلة ويتحمس لها، ليس من شركات الأدوية فحسب، ولا من الزملاء الطيبين، ولكن من المرضى والأسوياء أيضا، ربما استسهالا واختصارا، بديلا عن الوعي مجردية الوعى وزخم العواطف واحتمالات مسرة وشرف الوعي مجردية الوجدان بلا تحديد أو تسمية، وكذلك بديلا عن الام التواصل البشرى المتعدد المستويات، وكل هذه هى الوسائل الأهم والأرقى حتى نستمر نحيا ونشعر "بشرا" كما خلقنا الله بفطرتنا وكيميائنا وتوجهنا؟

وهم يصفون من ينقد التفسير الميكى الكميائى للعواطف - مثلى - بأنه جاهل، بل و ضد العلم؟

د. كريم شوقى: عن الحب "للشباب" و(غيرهم غالبا)

لقت نظري فرضك عن المرأة بانها الأقوى بيولوجيا وإنسانيا وحاضرا، و أن الرجل أقل التحاما بالمسيرة التطورية و ذلك ناتج عن خبرتك العملية كما ذكرت.

تفوق المرأة بيولوجيا هو كلام قديم ومحسوم بعوامل كثيرة أشهرها اقتصاديات الجنس حيث تساوي بويضة شهرية واحدة من المرأة ملايين الحيوانات المنوية التي ينتجها الرجل يوميا....

د. يحيى

اكتفيت بهذا الجزء من حماسك، لأضيفه للرد على الإبن د. عدلى الشيخ الذى غاظى وهو يكتب بالانجليزية (أنظر قبلاً)

د. كريم شوقى

... واخيرا أتشوق لسماع حديثك عن السر (The Secret) سنوات مع هذه الكتب التى كنت أجمعها بالكيلو، و قد قرأت معظمها على ما اعتقد... بانتظار رأيك لأنه لدى ما أقوله في هذا الموضوع.

د. يحيى

سيحدث (حاجمصل)

د. كريم شوقى (من أرشيف ما لم ينشر: جنون صبي ثنائز، فتجمد، فتجمع)

... إذن فكل واحد منا هو مشروع مجنون و هو و حظه... و ابوه و أمه و بيئته... (هذا ما وصلنى من قولك).

"أول خطوات الوقاية من الجنون المريح، هى احترام \الكثير فى داخلنا\، وإعطائهم الفرصة للتناوب والتعبير من خلال الأحلام أو اللعب أو الإبداع، بل كل ذلك معاً"

د . يحيى

شكرا لاقتطفاك رأي هذا، فأنا أريده ان يصل إلى الناس مكررا، نعم "بل كل ذلك معا".
كيف نوصل كل ذلك معا، إلى أصحابه معا؟

د . كريم شوقي

(وهذا المقتطف ايضا من كلامك) "

... "الجمود هنا يوقف الحياة الفاعلة بقدر ما يوقف حركية التناثر، وكأنه دفاع ضد مزيد من التناثر عكس ما يعتقد كثر من الأطباء ويعتبرونه هوة التدهور".

" ا تعليق عندي غير إنه تفسير جميل للتصلب الكاتاتوني لم أكن لأصل إليه في حياتي".

د . يحيى

... لقد وصلت أنا إليه بالصدفة. وأنا أخاطب المرضى المتصلبين هموداً كأنهم حماد، إلا لمعة متألنة في العيون، وحين غصت في هذه العيون جاوبتني، قالت لي ما يكفي، فرددت بما تيسر. التخابط بالعيون يا كريم من أرقى مستويات التخابط، وقد كان سبيلي لوصف لغة 16 (ستة عشر) عينا في ديوان "أغوار النفس" وحين كان هؤلاء المرضى يفيقون كانوا يحكون لي عن الذي كان بينا، وقد يتطرق الحكى إلى التصريح بأن هذا السكون التجمدى الذى كانوا فيه لم يكن إلا احتماءً فعلا من التناثر، ولعله هو ما يقابل البيات الشتوى لبعض الأحياء وربما هو ما ترمز له قصص أهل الكهف.

د . كريم شوقي (عن الفصام (3) عن القشرة والفطرة والتعدد والواحدية)

... الاستفاضة في شرح مفهوم تعدد الذات ساعدني بلا شك في محاولاتي لفهم نفسى و قد حل لي إشكالا ظل يؤرقني لمدة ليست بالقصيرة .

إن ما يعتريني الان هو الاحساس بالدهشة قبل أى شئ أمام هذه الفروض المتلاحقة و لا ادري هل ما تكتبه عن الفصام تحديدا يندرج تحت مفهوم علم النفس ام الفلسفة ام الدين ام هو علم مستقل بذاته؟؟؟؟.

د . يحيى

ولماذا التحديد؟.

مصادري الأولى - كما تعلم - هي خبرتى مع مرضى ونفسى وقراءاتي، أما وسيلتي في توصيل خبرتي، فهي أى لغة يتصادف أن أتصور أنها قادرة على حمل الخبرة، فأحاول أن أجرب استعمال معظم اللغات المتاحة، ودائما يا كريم "التعبير فالتوصيل أعجز من الخبرة"، ولعل هذا ما يفسر تعدد اللغات التي حاولت استعمالها: من الشعر بالفصحى والعامية، إلى الرواية، إلى اللغة العلمية، إلى الطلقات

اللفظية (حكمة الخانين)، أما تسمية أى من ذلك فهي أمر ثانوى بالنسبة لى، وأرجو أن يكون كذلك بالنسبة لك.

د . كريم شوقى

وددت لو توجهت غدا لأحد مراكز الأشعة لعمل أشعة مقطعية بالصيغة على نفسى للتأكد من سلامة قشرتى، ولكنى لا اعرف ما هو الاختبار الخاص بقياس مدى حركية النمو وتناغم الذوات المتعددة، فأرجو الافادة و شكرا لك

د . يحيى

حلوة هذه، دعنى أقترح عليك أن يكون المقياس هو:

دوام الدهشة، ومعاودة النقد، والكدح إلى وجه المعرفة، مع آخر وأخرى وآخرين إلى وجه الحق تعالى.

(ملحوظة إذا حصلت على المقياس الذى يقيس ذلك فأخطرنى لأننى لم أعثر عليه بعد).

والآن هيا إلى الصديقة إيمان التى أخشى أن تكن متفرغة للقراءة والحوار الطيب والمراجعة الأمنية.

أ . إيمان (حوار بريد الجمعة)

.... أود أن اعتذر عن قولى بأن الأبيات الرقيقه من قصيدة المساء التى ذكرتها بانها للمتنى ,هى للشاعر خليل مطران، اكتشفت هذا عندما فتحت الأوراق التى أحتفظ فيها بكلمات تمس مشاعرى مما اقرأه، فوجدت أن الشعر لخليل مطران (شعرت بالخزى).اعتذر عن المعلومة الخاطئة ويبدو ان اندهاشك كان صحيحا عن انه كيف يجيش وجدان المتنى بكل هذا الحب، وأنتك لن تتصالح مع المتنى إلى أن تظهر لك وجهة نظر أخرى، أعلم أنك متفائل وشديد التواضع.

د . يحيى

... رفضت شعورك بالخزى، لاشئى فى الدنيا يستحق هذا الشعور، الخطأ وراذ ورائع، ثم إني أشكرك لأنك عرّفتنى على هذا الشعر الجميل، ومن ناحية أخرى لأنك عرّفتنى على مدى جهلى وثقصيرى فى أن أرجع إلى التيقن من أن ما ذكرت هو شعر المتنى، وخاصة أنه بفضل "سيدنا جوجل" يمكن أن أحصل على معلومات عن أى شطر بيت شعر: كاتبه وتاريخه، وتواتره والاستشهاد به بمجرد أن أكتبه للبحث، كان على أن أصر أن هذا ليس هو المتنى.

أ . إيمان

بالنسبة لتعليق حضرتك على علم التنمية "البشرية" اعتقد أنه إذا كانت هناك أهداف نبيلة بجانب التجارة، فليّم لأ؟

د . يحيى

ربما من الأفضل أن تنتظرى حتى أكتب عن "السر" The Secret وآمل أن أوفى - ضمناً - هذه المواضيع حقها.

أما حكاية الأهداف النبيلة بجانب التجارة، فليس عندي مانع، شريطة أن تكون نبيلة، وليست استسهالية أو بديلة،

(وضع السم في الدسم هو عكس العثور على اللؤلؤ في داخل حجارة مهملة في كوم قش).

أ. إيمان

(دعنا) نستغل الاحجار الكريمة التي في اكوام القش كما ذكرت، وأعتقد أن جزءاً كبيراً من تحقيق هذا الهدف يعتمد على المتلقي، وليس على الذى يقوم بنقل هذا العلم.

د. يحيى

صحيح، ولكن الأحجار الكريمة في أكوام قش "السر" وجدتها ملقاة على أنها أجسام غريبة وبالصادفة، "مجرد حجارة هنا وهناك"، وقد بذلت جهداً "في التلقي" حتى أجمعها، وهى لا تزيد عن خمسة أو عشرة، وقد اضطررت أن أكسر الحجر تلو الآخر حتى أصل إلى الجوهرة بداخله، ولا أظن أن أصحاب أكوام القش كانوا يعرفون أن بداخل أى من هذه الأحجار جوهرة، وأكتفى بالإشارة الآن إلى جدوى (ومخاطر) التركيز على مبدأ الـ "هنا والآن"، وهذا ماسوف أتطرق إليه لاحقاً.

أ. إيمان (عن الحب للشباب وغيرهم غالباً)

دعنى أقتطف قولك:

"...المكسب الذى أعنيه هو أن تكون النتيجة المتجددة المتزايدة من خلال هذه العلاقة هى أنى (أحد الطرفين) أكسب نفسى أفضل وأنصح وأكثر عطاء وأصبر ألماً وأوسع وعياً، وأجهز إبداعاً، وأن يكتشف الطرف الآخر بنفسه تقدمه من خلال العلاقة، مقاساً بنفس المحكات: يكسب نفسه أفضل وأنصح وأكثر عطاء وأصبر ألماً وأوسع وعياً وأجهز إبداعاً، ثم من خلال ذلك يكتشف كل منهما أن ما يتحقق له هو نتيجة هذه المشاركة المتبادلة،

"أحمد الله انه قدر لى أن أقرأ كلمات بها من النور ما يهدى إليهِ.

د. يحيى

...ومع ذلك، هل تتصورين أن هذا المقطع الذى وصلك هكذا، حتى أعدته هكذا، لم يلق انتباهاً من كثيرين وكثيرات، بل إن آخرين وأخريات رفضوا فكرة "الصفقة" من حيث المبدأ، حتى لو كسب منها الطرفان كل هذه المكاسب التى جاءت فى هذه الفقرة

لعلهم يفضلون أنواعاً أطيّب وأسهل من الوجبات السريعة للتواصل الساخن، أو حتى المخدرات الغرامية اللذية، هم يرون أنهم عندهم حق...!! ربما.

أ. إيمان (الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى)

ملحوظة: فى بداية اللعبة وجدت صعوبة فى أن أكون كثير،

وكنت أفضل أن أكون (واحدة؟).

د . يحيى

أرجو أن أعرفك أكثر يا إيمان حتى أتبين من أحاور.

أ . إيمان

أنا بكالوريوس طب بيطرى ودرست دبلومة في صحة الأغذية والرقابة الغذائية وحاليا لا أعمل، وهوايتي القراءة.

د . يحيى

لا أريد أن أتدخل في حياتك، لكن من حقى أن أبدي رأيي، فأنا أعتبر العمل عبادة للرجل والمرأة على حد سواء، بل للمرأة بشكل خاص، والقراءة وحدها لا تكفى، القراءة تصبح حياة فقط حين نتحمل مسئولية الكلمات التى نقرأها على أرض الواقع.

والآن هيا معاً إلى الابن رامى لعله يخفف عنا بعض هذه الجدية النصائحية الهادئة!

أ . رامى عادل (حب للشباب)

....لو أى ست من اللى أعرفهم وباسمعهن هجسى، سمعت غزلك ده فى اللى ما يتسمى "الخب"، هتقع فى حب الخب، آخر ست بنحب أنا وهى على بعض، اتعدت من مرضى النفسى إلى بافخر بيه.

د . يحيى

يا رامى، أنا معك أن المرض النفسى - الذى تتحدث عنه- قد يكون معديا بشكل إيجابى أو سلبى، وهذا يحتاج تفصيلا لاحقا، ولكن إياك أن تتماذى فى الفخر بالمرض النفسى، هو مجرد فرصة، فى مرحلة، ونحن لا نفخر به إلا حين نخرج منه أكثر إيجابية،

أما المرض نفسه، فهو المرض: الكسرة، والعجز، والتراجع، والاعتماد والنكوص،

فإذا خرجنا من كل ذلك بغير كل ذلك، أى خرجنا الناحية الأخرى، وجب الشكر والفخر معا.

أ . رامى عادل (حكاية صبي تناثر فتجمد فتجمع)

..... عايزك تعيش. عايزك تجدف وتجمع. وتبقى جدد. تفضل تجدف لآخر العمر.

د . يحيى

تعنى طبعاً التجديف فى مركبى الصغيرة، خشيت أن يفهم أحدهم التجديف بمعناه الآخر، ربنا يسهل يا رامى، ربنا يسهل.

أ . رامى عادل (الفصام عصام وعلاء)

... وعايز أقابل الموتى، وعايز أعيش، وعايز أتمنن، وعايز ارتبط بالواقع بالناس، وعايز أبقى لوحدى، ومش عايز تقول على متسول، وعايزك تجيبلى شيبسى،

وعايز أبقى معاك. وعايز أحب ماما واطخانق معاها، وعايز أتجوز ومش عايز أتجوز، وعايز أستقر وعايز اتغير.

د. يحيى

أوافق، على شرط ألا تكون المسألة "إما أو" ولا تكون تناقضا فاشلاً مُشلاً!، ولا تكون "شوية" من كل شئ دون استثناء أو شبع.

أنا أدافع عن الحق في "العوزان"، لكنني في نفس الوقت أنبه إلى ضرورة أن نتعلم كيف نتوقف عند الجرعة المناسبة في الوقت المناسب.

أ. رامى عادل (مقتطف وموقف)

... ليعلمك كيف تعزف (يا عم يحيى) بدمعة أروع لحن،

ليعلمك كيف تناسب (يا عم يحيى) أنت دمعاً

ليعلمك كيف تبكى وأين.

ليعلمك كيف تركض وإلى متى؟

ليعلمك وهو يلقنك دروس من الخوف .

ويديك عكازه في آخر الدرس..

تنسى العجز يا عم يحيى.

د. يحيى

شكرا يا رامى أنك توقفت عن نعتي بـ "عم دهب" واعذرتني أني حذف من كلامك ذكر "من هو" هذا الذي سيعلمني كل ذلك!

أ. رامى عادل (أنا واحد ولا كثير)

1- هو أنا واحد ولا كثير دانا بيتهيال اني مفيش خالص

2- ساعات الشخص اللى جوايا يبقى عايز يتخانق معايا ومش عارف

3- يمكن الطفل اللى جوايا مش مجرد ذكريات طفوله الظاهر انه عفريت

4- طب لو أنا كثير كده إمال أنا بارفض ليه يمكن مش عايز

5- الست اللى جوايا بتقوللى لازم تسترجل

6- أنا شايف المسأله مش مسألة صراع ولا خناق، المسألة إنى لو كثير، احتمال ماعرفش ألم نفسي أبدا أبدا

7- يكونش الكثير اللى جوانا هما الجن اللى بيقلوا بيلبس الناس، معنى كده بقى إنى عندى جوش من الجن، دانا جامد أوى حاسب يا عم يحيى أوعى الجنيرى يعضك

• أنا كده اتلخبطت يا عم يحيى لكن بيتهيال انى ممكن استفيد بإنى أروضنى وأعيش ويايا بالذوق بالراحه بهدوء .

أنا نفسى الكثير اللى جوايا يتصالحوا مع بعض بس مش على حساب هبه ونجلاء وشيماء ودكتوراة الجامعة،

• ووفاء، وأمل، وأنت ياعم يحيى كمان هتستفيد، شد
حيلك.

د . يحيى

تركت إجاباتك على اللعبة يا عم رامى كما هى دون أى
تصحيح أو ترتيب إلا حذف رقمى (8، 9) من آخر فقرتين
لأنهما لم يكونا ألعابا ووضعت بدلا منهما دائرة سوداء .

أما تعليقي على إجاباتك فدعني أؤجله أملاً في أن تصلني
استجابات أكثر فأستطيع أن أصنف إجاباتك مع ما يصلني
ربما نخرج منها بشئ أكثر فائدة عامة .

نوفمبر 2007: الجزء 3

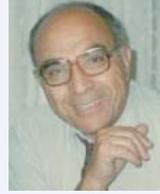


إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007

أ. د. يحيى الرضاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي



الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليهاو مشاركته عبيد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباتولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباتولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- ترحلات يجيي الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجره (ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعري الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا لنعب يا جدي سوياء مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007

